هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

إسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٥٣ - المحرم ١٤١٦هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٩٥م

المهاجر من هجر السوء

- ماذا أعددنا لمستقبل أمتنا
- مقدمات في تجديد الفكر الإسلامي
- الحوار مع الأديان الأخرى

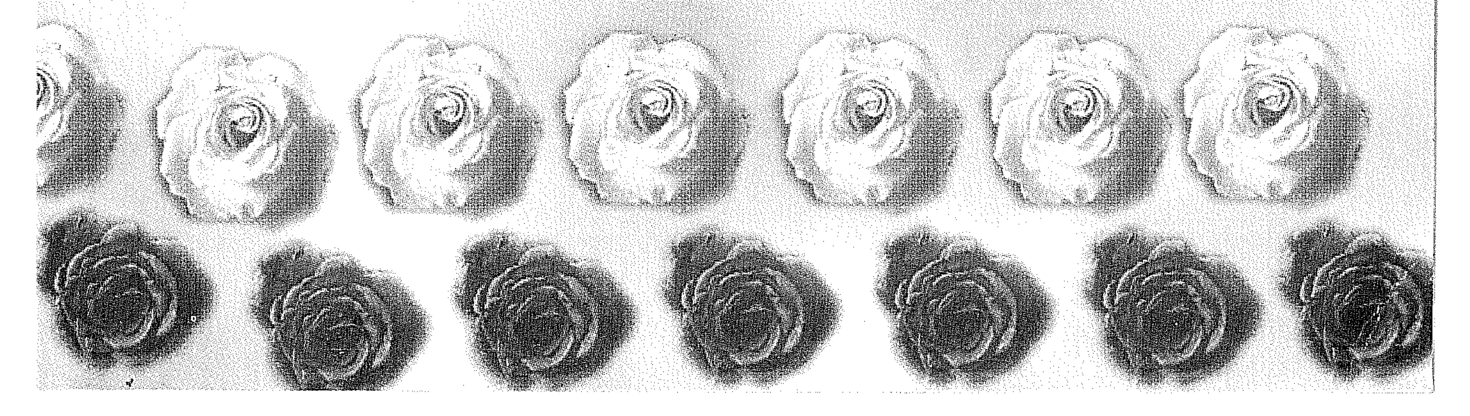
لا عدالة ولا مساواة إلا في الإسلام

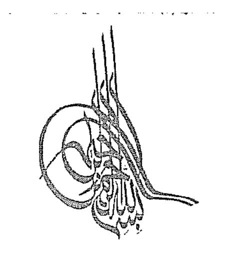
تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
و مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد
وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

والشعب الكويتي الكريم والأمة الإسلامية
بأطيب التهاني وأرقها بمناسبة العام
الهجري الجديد.. سائلين المولى سبحانه
وتعالى أن يرحم الشهداء الأبرار ويفك
قيد الأسرى ويعيدهم سالمين.

كل عام
وأنتم بخير





الوعي الإسلامي
AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٣ – السنة الثانية والثلاثون –
المحرم ١٤١٦هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٩٥م

المراسلات:

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٤٨١٦٨٨٤/٥–٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

خطوة على الدرب..

سيرى القارىء في عدد المحرم الذي نبدأ به السنة الثانية والثلاثين من (الوعي الإسلامي)، خطوة جديدة على طريق التطوير الذي تعاهدنا وإياه عليه، فقد راعينا في المظهر والمضمون الملاحظات والمقترحات التي وصلتنا من خلال عشرات رسائل الشكر والثناء التي تقدّر الجهد المبذول، والموجهة إلى الإخوة أعضاء أسرة التحرير والعاملين فيها جميعا..

وما كان للكلمة أن تكون فاعلة إن لم تتفاعل بين الكاتب والقارىء.. والذي يتعامل مع الكلمة عموما، والكلمة المطبوعة خصوصا يقدّر الجهد المبذول لتكون المجلة – أية مجلة – في ثوب جذاب ومضمون مفيد، وفي عصر التنافس الإعلامي..

وأمام شبكة المعلومات الهائلة التي كادت أن تلغي المسافات والزمن، تبقى المطبوعة – مهما بلغت – محتاجة إلى كل رأي وجهد وتطور لتأخذ مكانتها بين هذا الكم الهائل من وسائل الإعلام..

وفي عددنا هذا بالإضافة إلى ملف الهجرة، التفاتة واضحة إلى الوجود الإسلامي خارج بلاد المسلمين، فهي هجرة ودعوة، فمقال (وسائل التعليم الإسلامي في الغرب) للدكتور أحمد جاباللـه من باريس، ومقال (الحوار مع الأديان) للدكتور عطاء اللـه صدّيقي من ليستر، والحوار الدعوي مع حمد الماجد نائب مدير المركز الثقافي الاسلامي في لندن، تصب كلها في الخروج من ضيق الواقع إلى أفق رحب واسع يبين مدى وأهمية الانتشار الإسلامي، وضرورة توظيفه ليخدم أهداف (الهجرة) التي نحتفل بسنتها الجديدة..

هو عهد على عاتقنا، حملناه والتزمنا به، ونسأل الله تعالى أن يثيبنا عليه ويعيننا على متابعة طريقه.. نعم المولى ونعم النصير■

الاشتراكات

داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير — للمؤسسات ١٠ دنانير —
الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ دينارا كويتيا (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ دينارا كويتيا (أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

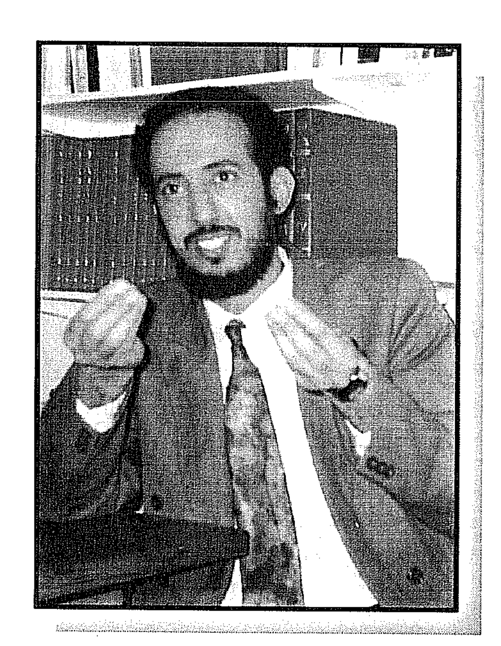
الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

في هـذا العـدد

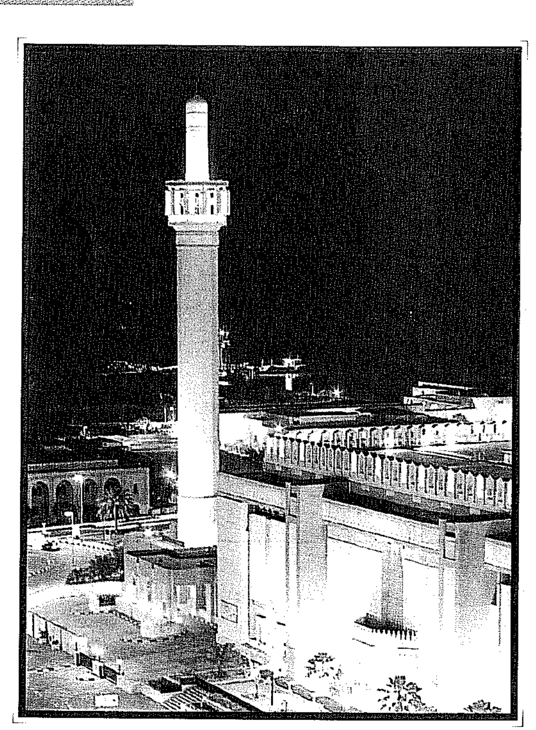
ارتباط القول بالفعل

الحوار مع الأستاذ حمد الماجد (نائب رئيس المركز الثقافي الاسلامي في لندن) ينطلق بنا من الحاضر إلى المستقبل، لأن التفاعل الحضاري ما بين الشرق والغرب - حيث يقيم - يدفع إلى عدم الاكتفاء بالوصف الخارجي ويحث على طرح الحلول. والرجل لم يقل كل ما في نفسه ولكنه اختصر داءنا ودواءنا بالدعوة إلى ارتباط القول بالفعل

٨



اقـرأ في الأعـداد القادمـة



- انفجار أوكلاهوما ومجموعات العنف في أمريكا
- التراث العربي والاسلامي/ د. اسماعيل عبد الكافي
- القرابين البشرية في التاريخ اليهودي/ احمد حافظ عبد الله
- المستشرقون وكيفية التصدي لهم/ محمد عبد الله حافظ
- الاعجاز العلمي في القرآن/ د. إبراهيم سليمان عيسى
- الاعلام والصحوة الاسلامية/ حسن آيت الحاج
- الجات وامـا الحرب/ مصطفى محمود شاهين
- الانماء الاقتصادي في الدول الاسلامية/ عبد الفتاح المنسي
- الابل والتكيف مع حياة الصحراء/ د. عواد جاسم الجدي
- الاعلام ومشاكل البيئة/ د. بركات عبد العزيز محمد
- تأديب الولد/ مصطفى بو هلال
- مستقبل الجاليات الاسلامية في اوروبا؟ نجلاء عبد الحليم
- الذوق في القرآن الكريم/ مصطفى بوهلال
- قبسات تربوية/ محمد الجاهوش
- استطلاع- مسجد الدولة الكبير

ملف الهجرة

الهجرة النبوية الشريفة التي يحتفل بها العالم الإسلامي في مطلع شهر المحرم من كل عام، لم تكن نقطة تحول تاريخية فقط، وإنما كانت تحمل من معاني التغيير والتجديد والإصلاح والاستمرار المستقبلي ما يتجاوز حدود الزمان والمكان، وتطرح تساؤلات خطيرة مستقبلية، لاسيما والمجتمع الإنساني المعاصر يواجه معارك وتحديات حضارية لا تقل عمّا واجهه النبي ﷺ وصحبه مع (الجاهلية) الأولى

نقرأ في ملف العدد عن حديث (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) للأستاذ الدكتور نزيه حماد، و(ماذا اعددنا لمستقبل امتنا) للأستاذ الدكتور سيد رزق الطويل، و(الهجرة بناء حضاري متميز) لمصطفى احمد حسين قنبر، و(خواطر حول الهجرة) للدكتور ابراهيم سليمان عيسى



انسانية الرسول ﷺ

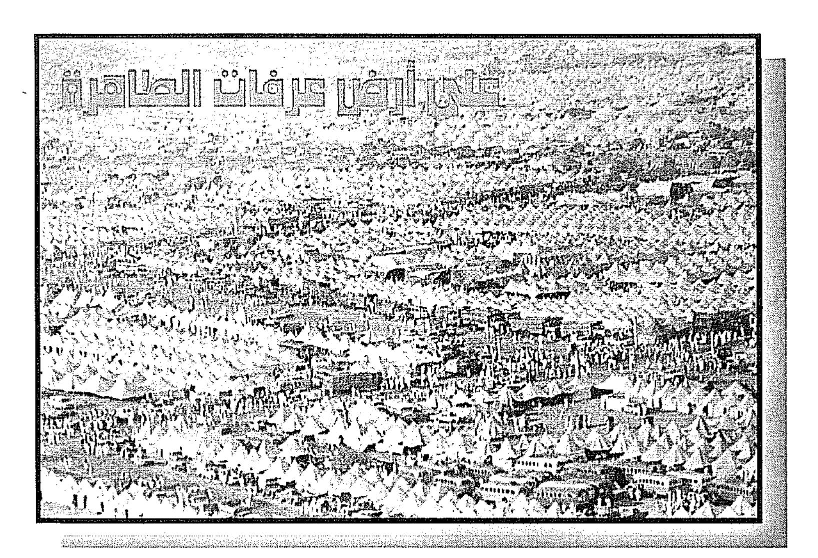
الشيخ جاسم المهلهل الياسين يقف أمام شخصية النبي ﷺ دارسا واعيا، وملتزما مقتديا، ولكن في ميدان قلّما التفت إليه دارسو السيرة الشريفة، وهو ميدان الإنسانية، والنبي ﷺ مبعوث رحمة للعالمين، وخطابه للناس كل الناس



ازدواجية الشخصية المسلمة

لعل ازدواجية الشخصية واختلاف القول عن الفعل، والموعظة عن الالتزام من أخطر ما يواجه الفرد والمجتمع. والكاتبة ابتهال قدور تساهم في إثارة الموضوع من الناحية الفكرية مع نماذج من الواقع، ودعوة ملحة لتدارك الأمر ومعالجته





لا عدالة ولا مساواة الا في الاسلام



العدالة والمساواة والحرية، وغيرها من الشعارات والمبادىء التي تسعى البشرية إلى تطبيقها والعمل بمقتضاها، فتنجح أحيانا، وتفشل في أكثر الأوقات. وأشرف شعبان أبو أحمد يبين أن تطبيق العدالة والمساواة لا يتجلى بقيمه القانونية والواقعية، كما يتجلى في الالتزام الإسلامي

الفهرس

١٢– فكر اسلامي/ مقدمات في تجديد الفكر الاسلامي .... د. علي فهد الزميع ٢/١

٠٨– حوار الشهر/ حمد الماجد: ارتباط القول بالفعل .... د. صلاح الدين ارقه دان

١٦– جاليات/ واقع التعليم الاسلامي بين الاقليات الاسلامية في اوروبا الغربية .... د. احمد جاباالله

٢٢– مداد قلم/ قراة في خطاب الرئيس البوسنوي .... د. صلاح الدين ارقه دان

٢٤– ملف الهجرة/ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية .... أ.د. نزيه حماد

٢٦– /في رحاب الهجرة.. ماذا اعددنا لمستقبل امتنا .... أ.د. سيد رزق الطويل

٢٨– / بناء حضاري متميز .... مصطفى احمد حسين قنبر

٣٠– /خواطر حول الهجرة النبوية الشريفة .... د. ابراهيم سليمان عيسى

٣٥– / شعر/ يا هلال المحرم .... رفعت عبد الوهاب محمد

٣٦– / شعر/ على عتبات الغار .... رشاد محمد يوسف

٣٨– شخصيات اسلامية/ حسان بن ثابت .... أ.د. عبده محمد بدوي

٤٢– سيرة/ انسانية الرسول (٢/١) .... الشيخ جاسم المهلهل الياسين

٤٤– حج/ الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية (٢/٢) .... طه الولي

٤٩– حضارة وتراث/ علم التخدير في الاسلام .... أ.د. ماهر خليل

٥٠– حقوق الانسان/ لا عدالة ولا مساواة الا في الاسلام .... اشرف شعبان ابو احمد

٥٤– دعوة وصحوة/ الحوار مع الاديان الاخرى .... د. عطاء الله صديقي

٦٠– ندوات اسلامية .... التحرير

٦٢– نافذة على الاخبار/ ٣٠ مليار دولار .... التحرير

٦٦– سلوك/ ازدواجية الشخصية المسلمة .... ابتهال قدور

٦٨– صحة/ المخدرات والانتحار بالوهم (٢/١) .... فاروق حسان السيد

٧٣– لغة/ اخطاء لغوية شائعة .... اسماعيل عبد الفضيل خير الله

٧٤– صحة/ مرض وهن العظام .... د. سلوى جلباية

٧٦– حضارة اسلامية/ بعث الاشعاع الحضاري الاسلامي .... محمد علي وهبة المحامي

٨٠– الفتاوى/ احكام الهدي والفدية .... ادارة الفتوى

٨٢– كتاب الشهر/ ثقافة الطفل المسلم .... صلاح احمد الطنوبي

٨٦– ترجمات/ اللعبة الكبرى .... التحرير

٨٨– شعر/ صوت الاسلام من البوسنة .... عبد الخالق عطية نصير

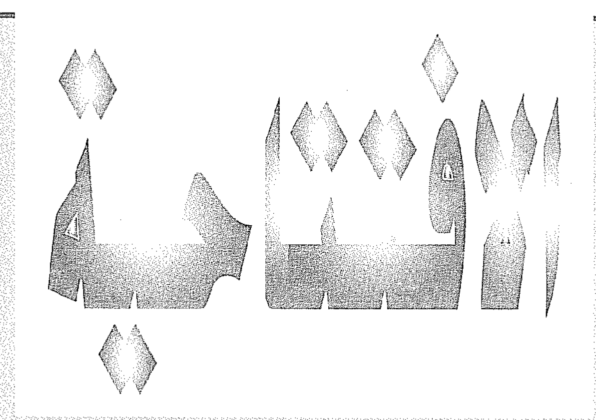
٩٠– قصة بين الحق والباطل .... عبد الله جوزيف ميشال

٩٢– حديقة الوعي/ .... التحرير

٩٤– ثمرات المطابع/ .... التحرير

٩٦– رسائل القراء .... التحرير

٩٨– مرسى/ شبهات حول الاسلام .... أ.د. حاتم محمد ابو العباس



يحتفل العالم الإسلامي مطلع كل سنة هجرية بالعام الجديد، وتتخذ الاحتفالات في بعض البلدان جوا (فولكلوريا) تنتهي مراسمه عند حدود الخطب والكلمات وتوزيع الحلوى، بينما تتجه مناطق ساخنة في العالم الإسلامي إلى توظيف المناسبة في اتجاه الثقافة والتربية والتعبئة العامّة، لاسيما وهي تشهد حملة اضطهاد تطال معتقدات الأمة وتاريخها وواقعها، وأشد من ذلك كله، تزويراً لحقائق تريد الثقافة المعاصرة طمسها، أو تزويرها، لتوافق مسار القوى الجديدة..

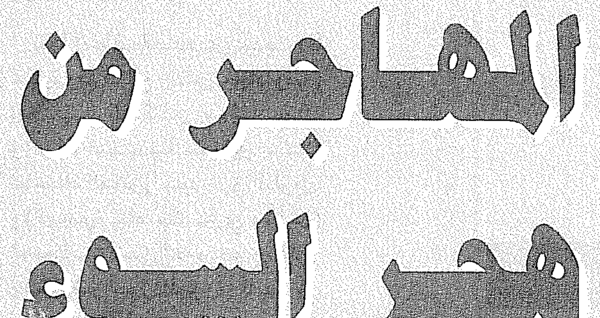
وفي خضم احتفالات الذكرى الخمسينية للحرب العالمية الثانية، وانبثاق قوانين دولية تراعي السلم العالمي وحقوق الإنسان، حقيقٌ بالعالم كله أن يهتم بالهجرة النبوية الشريفة ومعانيها، لسبب بسيط جدا، ذلك أن الهجرة مفصل تاريخي إنساني، لم يتوقف أثره في لحظة معينة في التاريخ، ولا مساحة محددة من متطلبات الإنسان..

لقد أسست الهجرة (للإنسان) وجودا قانونيا معترفا به، واحترمت رأيه، وكفلت له حرية التعبير، بغض النظر عن لونه أو جنسه أو فكره أو زمنه، فرسول الإنسانية محمد ﷺ حمل رسالة إلهية لمصلحة الإنسان (الفرد) و(الجماعة)..

وكثير من مكتسبات الإنسان المعاصر: الفكرية والحقوقية والاجتماعية والثقافية، تدين بالوجود والفاعلية لصاحب الرسالة ﷺ وهجرته. ولئن احتاج الغرب إلى ملايين القتلى والمعوّقين، وعشرات المليارات من الخسائر المادية، وسنوات طويلة من المعاناة وإعادة البناء، بالإضافة إلى الآثار السلبية الأخرى، فإن الإسلام قرّر منذ اللحظة الأولى المساواة بين أبناء الجنس البشري: «كلكم لآدم، وآدم من تراب»، ولا تفاضل لجنس على جنس، ولا لعرق على آخر، والعمل وحده مقياس التفاضل الدنيوي: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود»، والأخروي: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾..

ومقياس التفاضل في العمل والإسراع في خدمة (البشرية) أعلنه النبي المهاجر ﷺ بقوله: «الخلق كلهم عيال الله أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»..

ولئن كانت (الحرية) أبرز ما تعاهدت عليه قوى العصر الراهن السياسية، فإن الحرية في التصور والممارسة الإسلامية لم تقتصر على فرد أو جماعة أو أمّة، ولم تتعلّق بحكم القوى الكبرى على الأمم الأضعف، لأنها قادرة على حماية الحريات العامة أم لا، ولم يتخذ الإسلام مبررا لإيقاف مسيرة الحرية تحت أية حجة من الحجج، وكان العلماء والفقهاء حراس الأمة الأمناء، يتدخلون إذا لمسوا تغافلا أو تكاسلا أو انحرافا من السلطة الحاكمة، ولقد كتب الأوزاعي إلى الخليفة المنصور – وما أدراك ما المنصور في سلطانه وقوته – يؤنبه على التنكيل بموارنة لبنان النصارى، ويذكّره بحكم الله في أهل الذمّة، حتى



ردّه، وردّ جنده عن التعرّض لهم. وكانت الفرصة سانحة له للتخلص من مخالفيه في العقيدة، والولاء السياسي، فالموارنة كانوا يومها حلفاء العدو البيزنطي..

و(الحرية) في التصور الإسلامي تجاوزت في حدودها وآفاقها ما فهمته الحضارات الأخرى من (الحرية)، فهي انعتاق من أسار النفس وشهواتها وأوهامها، أفي الكون حرية أوسع وأكبر وأعظم من (التوحيد)، الذي يخرج أبناء من الظلمات إلى النور، ويجعلهم مالكين لأنفسهم، تخضع لتوجهات الخير والحق، يقودونها ولا تقودهم، وفي امتلاك ناصية النفس، والإرب، وامتلاك للحرية، وانسلاخ من عبودية الشهوة والطمع، وابتعاد عن الحسد والبغضاء، وفي ذلك خير للفرد وصحته النفسية، وللمجتمع وعلاقاته الاجتماعية. وجل ما نسمعه من مشاكل اجتماعية ونفسية، وما يترتب عليها من عنف واغتصاب واعتداء على حقوق الآخرين، إنما مردّه إلى توتر الفرد، وخلل العلاقات الاجتماعية..

ولم يحصر الإسلام الحرية في دائرة واحدة، وإنما جعل حرية الاعتقاد بابا واسعا يدلف منه أحدنا إلى ساحات من الحرية الفكرية والسياسية.. بل جعل الإسلام (التفكير) الحر فريضة، وحث في الكتاب والسنّة على (التدبر)

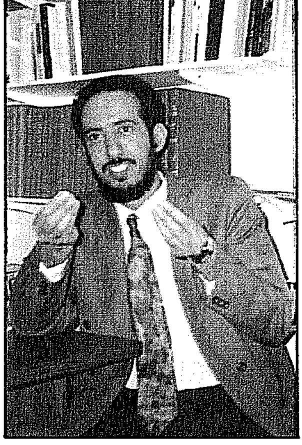
و(التفكر) و(التأمل) و(التذكر): «تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة ألف سنة» [أي بلا تدبّر]..
وجعل الاسلام (العقل) مناط التكليف، بالإضافة إلى البلوغ، وشروط تختص بعبادات دون غيرها، كالقدرة الجسدية للجهاد، والجسدية والمالية للحج إلخ.. وأسقط التكاليف الشرعية عن فاقد الأهلية كالمجنون والطفل، وللمتأمّل أن يرى اشتراط الإسلام (الحرية) لتكاليف لا يقوم بها إلا (حرٌ)، ذلك لأن العبودية رزء تضيع تحت أغلاله حقوق الناس المادية والمعنوية. وحارب الإسلام الرق والعبودية، وفتح باب التحرير بالكفارات والمكاتبة، وجعل الإعتاق من القربات المشكورة، وحثّ عليها، وجعل جزاءها الجنّة..
ولم يعرف العهد النبوي، ولا عهد الخلفاء الراشدين، ولا عهد صالحي هذه الأمة من الحكام والسلاطين كبتا للرأي الآخر، أو حجرا على فكر، وحفظ لنا القرآن الكريم قصص الأمم السابقة، وحجج إبليس، والمشركين، والعتاة، وما زلنا نقرأ عتاب الله تعالى لنبيه ﷺ في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾، ولو كان محمد ﷺ كاتما شيئا أو مخفيه، لكان هذا أول ما يخفيه، ولكنها الثقة والجرأة في الحق، وتعليم المؤمنين كيف تكون الحقيقة واضحة، لا لبس فيها ولا غموض..
ولإن وُجد في تاريخنا حاكم أو سلطان ظلم الناس، واعتدى على حقوقهم، وحجر على أفكارهم، فإنما ظلمه كان على الجميع، على المسلمين قبل غيرهم. لم يكن قط انحرافه هذا مرضيا عنه، أو محسوبا على الشرع الحنيف، وما أصاب أهل الذمة وغيرهم من أبناء الملل والنحل في بعض عصورنا، على أيدي حاكم ظالم، أو سلطان مستكبر، إنما أصاب أضعافه المسلمين أنفسهم وعلماءهم على وجه التحديد..
وفي عصر (السلم العالمي) لابد أن نتذكّر – نحن قبل غيرنا – أن شعار الإسلام هو (السلام)، وأن تحية المسلمين هي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) بما تحمله من معاني السلم والرحمة والتوادّ، وأن من أركان الخيرية في هذه الأمة العمل بالمعروف وترك المنكر، وهل من منكر أشد من منازعة الله سبحانه وتعالى سلطانه، وظلم عبده، وأكل الحقوق بالباطل؟
وتؤذي المسلمين مظاهر العنف والتناحر في بعض أقطار العالم الإسلامي، وبين جماعاته المختلفة، كالحاصل في أفغانستان والصومال والجزائر وبعض مناطق باكستان، وغيرها من بلاد عزيزة على قلوبنا جميعا، وحق لنا ولكل مخلص أن يتألم من وقائع الاختلاف والتقاتل، ولكن لا يصح نسبة ذلك إلى الإسلام نفسه، لأن الجهل بالإسلام، والتنكر لأحكامه هو الذي ولّد المظاهر والممارسات السلبية التي نراها هنا وهناك، فالمؤمنون في حكم الإسلام إخوة والمطلوب الإصلاح بينهم، والأخذ على يد الظالم منهم، وتحقيق أرقى مستويات الأمن النفسي والاجتماعي والسياسي فيما بينهم، والعاملون على خلاف ذلك خاطئون يستحقون وقفة جادة تعيد الأمور إلى نصابها، ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ وآخر الدواء الكي..
تجتمع أمم اليوم لتتحدث عن (الإنسان) و(الإنسانية)، ولكن كم من الباحثين والدارسين الحقوقيين والحضاريين درس بتمعن وعمق تجربة المجتمع الاسلامي الأول في المدينة المنورة الذي بنته الهجرة؟ وكم من العلماء والباحثين وقف عند مبدأ الأخوة الذي حل محل علاقات النسب والقبيلة؟
أليس في تفاهم الأوس والخزرج، وتعانق المهاجرين والأنصار، تجربة تستوجب الدراسة والاقتداء؟ في زمن كان الرجل يقتل أخاه ويتنكّر لأبيه إن تضاربت مصلحته مع مصالحهما، في زمن الثارات وحميّة الجاهلية يفتح أهل المدينة قلوبهم وبيوتهم وأسواقهم ومزارعهم لإخوة لهم في الدين لا نسب بينهم ولا قربى؟
عندما يجتمع ممثلو العالم الصناعي ويبحثون المشاكل الحضارية المترتبة على الترف وتخمة التقنية المعاصرة لعلهم يسترشدون بتجربة المدينة، ليستقوا منها روح الطريق الصحيح لنصوص ميثاق الأمم المتحدة، عوضاً عن عرض العضلات الذي لا يطال سوى الصغار والضعفاء، ذلك لأن الكبار هم اللاعبون الوحيدون على مسرح السياسة المعاصرة، والحسن والقبيح هو ما يرونه حسنا وقبيحا تبعا لمصالحهم، لا تبعا للقانون والعرف الإنساني العام الذي لا يتعارض في مبادئه العامة المتعلقة بالحقوق، ولواجبات الحريات، مع ما قرره الشرع الإسلامي ومارسه خلال قرون طويلة..
قد نسيء لذكرى الهجرة النبوية الشريفة إن نحن ابتدعنا فيها ما لم ينزل الله به سلطانا، ولكن إساءتنا أكبر ونحن ننتهك معاني (الهجرة) وإسقاطاتها في حياتنا اليومية، فتغيب عنها (الأخوة) و(الحرية) و(العدالة) و(الرحمة)، ونصبح غرضا يُرمى، ويخرب بعض أبنائنا بيوتهم بأيديهم فيوفرون على العدو جهدا ومالا ووقتا..
آن الأوان لإعادة النظر في مفاهيم كثيرة طاغية، ومواقف يعتبرها البعض من المسلّمات، فروح التخاذل والخنوع والاستكانة لا تعالجها النظرية، ولكن تحتاج إلى حركة لا تقل عن حركة الهجرة الأولى التي أقامت مجتمعا إنسانيا بفكر وممارسة متميزة، بقيت عنوان فخر لكل منصف، ولا ننسى قط أن المهاجر من هجر السوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

تـدخل (لنـدن) قـادمـا من المشرق، فتتحـول إلى رقـم، فمثلك مـلايين، وتبحث عن ذاتك وهويتك فتجـدها في مسجد لنـدن المركزي واسمـه الرسمي (المركز الثقـافي الإسلامي)، تسأل عنه في محطـة (باكر ستريت) لقطـارات الأنفاق، فيتطوع أكثـر من شخص ليدلك على اتجاهه، فقد أصبح من معالم المدينة المشهورة.. وترى مئذنته منتصبة شامخة عن بُعد، أمام حدائق (ريجنت بارك) الممتدة ببساطها الأخضر تتخللها برك المياه والأشجار الـوارفة، تقضي يـومك هناك إن شئت تمتع نظـرك بالخضرة والماء والأزهـار المتنوعـة والطيـور الباحثـة عن لقمة العيش في يـدك أو أيدي الآخـرين.. وتلبي نداء الصـلاة، في وقته، تزيد سواد المصلّين وتحصّل أجرا كبيرا. كأنك في عالمك الشرقي لم تغادره..

حمد الماجد لـ(الوعي الإسلامي):

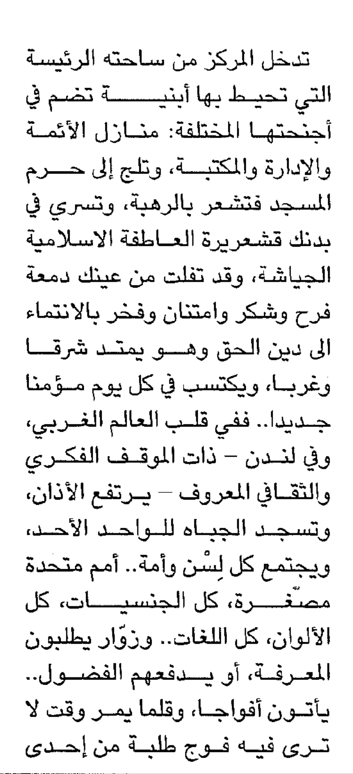
ارتباط القول بالفعل مفتاح الحل

حاوره في لندن: د. صلاح الدين أرقه دان



● حمد الماجد (نائب مدير المركز)

تدخل المركز من ساحته الرئيسة التي تحيط بها أبنيـــة تضم في أجنحتها المختلفة: منازل الأئمة والإدارة والمكتبـة، وتلج إلى حـرم المسجد فتشعر بالرهبة، وتسري في بدنك قشعريرة العاطفة الاسلامية الجياشة، وقد تفلت من عينك دمعة فرح وشكر وامتنان وفخر بالانتماء الى دين الحق وهـو يمتد شرقـا وغربـا، ويكتسب في كل يوم مـؤمنا جـديدا.. ففي قلب العالم الغـربي، وفي لنـدن – ذات الموقـف الفكـري والثقـافي المعروف – يـرتفع الأذان، وتسجـد الجبـاه للـواحـد الأحـد، ويجتمع كل لِسْن وأمة.. أمم متحدة مصغّـرة، كل الجنسيـات، كل الألوان، كل اللغات.. وزوّار يطلبون المعـرفـة، أو يـدفعهم الفضـول.. يأتـون أفواجـا، وقلما يمـر وقت لا تـرى فيـه فـوج طلبـة من إحـدى



المدارس الإنكليزية، جـاؤوا يحملون معهم بعض الأسئلة ،ويـدونـون ملاحظاتهم عن الإسلام وأهله..

فـالمسجد سفـارة الإسلام هنـا، ورواده المسلمـــون سفـــراء مجتمعـــاتهم، يمثلـــون في أعين الآخـرين النموذج الإسـلامي، ومن هنا تأتي الأهمية والخطورة في وقت واحد.. أهميـة شموخ هـذا الصرح، وخطـــورة تهاون المسلمين في أن يكونوا عند متطلبات المسؤولية..

ولا تملك إلا أن تـدعـو من عميق قلبك أن ينجح العمل، وأن يجنّب الله جـاليـاتنا الإسـلاميـة شرّ الفتنـة، ويقيها ما تراه بعض ساحات وطننا الإسلامي الكبير من ثغرات تضر ولا تنفع، فبعضنـا يهاجر ويحمل معـه مشاكله وانقساماته وانغلاقه..

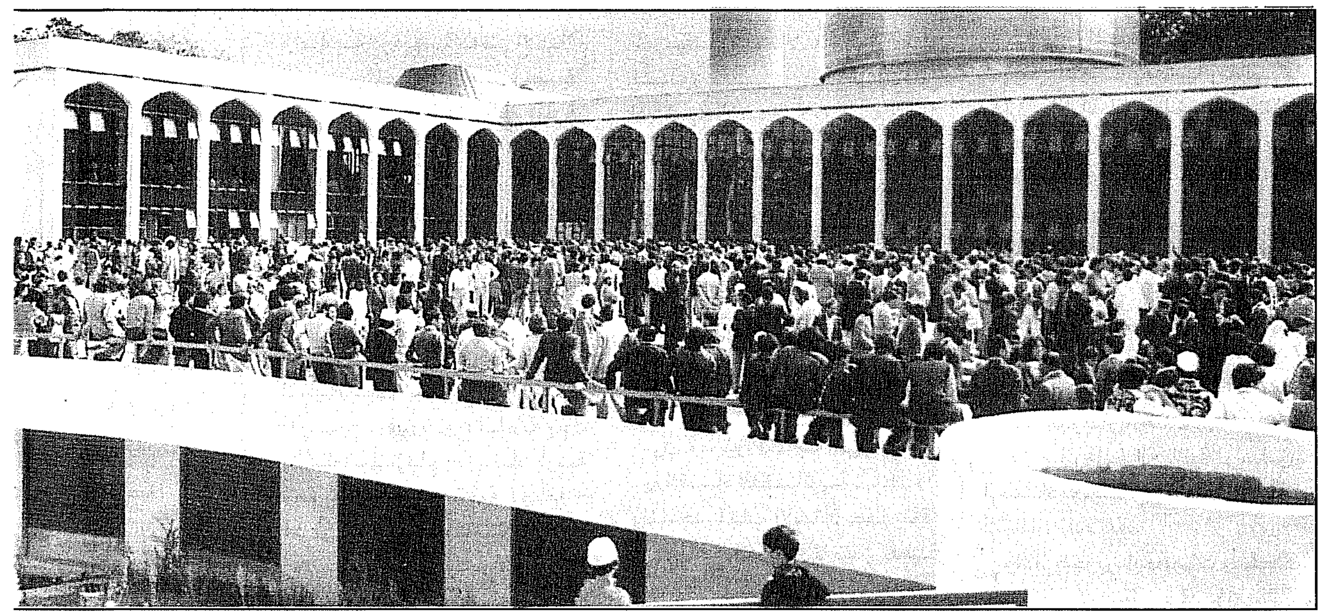
حملنـا أسئلتنـا إلى إدارة المركـز، وكان حـوارنا، مع الداعيـة الفاضل حمد الماجد نائب مدير المركز، فوجدنا عنـده صـدرا رحبـا، وحسن وفـادة، بالرغم من ضيق الوقت وكثرة العمل، ورنين الهاتف الـــذي لا يتـــوقف، ودخـول الـزوار بـلا مـوعـد مسبق، ولكنهـا سيـاســة (البـاب المفتـوح) وضريبة الدعـوة، في بلاد غربة الـوجه واليد واللسان..

تنوع الجالية وتوزعها

كـان سـؤالنـا الأول عن الجاليـة الإســلاميـــة في لنـدن وانتماءاتها الإقليمية..

وبيّن لنـا الأستـــاذ حمد أن جل أبنائها متحدرين من أبناء شبه القارة الهنـديـة، لأسبـاب تـاريخيـة بحكم خضـــوعهم الســـابق لـــلاستعمار البريطـاني، وقـدومهم كأيـد عـاملـة رخيصـــة، ثم تـــوطنهم البـــلاد

مسجد لندن (المركز الإسلامي الثقافي) منارة هدى في عاصمة الضباب



● من جميع الجنسيات والألوان، يجمعهم الإسلام

واستدعائهم أسرهم، وارتفاع عدد المواليد النسبي بينهم، ويليهم العرب، ويحتل العراقيون النسبة الكبرى، وذلك لأسباب كثيرة منها الظلم الواقع بالشعب العراقي الذي يدفع بأعداد متزايدة منهم إلى الهجرة، وتوفّر بريطانيا – كأية دولة أوروبية – مميزات للاجيء السياسي، او اللاجيء لأسباب انسانية، كالقادمين من مناطق الحروب الاهلية والعرقية والدينية.. ويلي العراقيين أبناءُ المغرب العربي لاسيما الجزائر والمملكة المغربية.. فاليمن، واليمنيون بحّارة مشهود لهم، عملوا في صناعة السفن وما يتعلق بها، كما برعوا في التجارة.. فالصوماليون الذين تكاثروا بشكل لافت للنظر منذ ابتداء الأزمة السياسية الصومالية وحروب القبائل، ثم بقية العرب بنسب متفاوتة.. بالإضافة إلى الجنسيات الإسلامية الأخرى: كالفرس والأتراك والأكراد إلخ..

وبالإجمال.. المسلمون في بريطانيا إما قادمون من الدول الإسلامية لأسباب سياسية (كاللاجئين السياسيين) أو اقتصادية (كاللاجئين لأسباب إنسانية أو التجار ورجال الأعمال) أو ثقافية (كطلبة الجامعات والدراسات العليا)، أو هم ممن استوطن البلاد تبعا لاستيطان والديه، وهناك عدد لا بأس به ممن اعتنق الإسلام من أهل البلاد نفسها.

التعامل مع هذا التنوع

كيف يتم تعامل (المركز) مع هذا التنوع البشري الواسع بخلفياته وثقافاته ومذاهبه الفقهية.. وهناك دول تعجز عن ذلك، أو قد يؤثر فيها مثل هذا التنوع سلبا؟

لم يخف الأستاذ حمد حساسية التنوع وضرورة مراعاة أسلوب متميز لمعالجة أية سلبيات قد تنشأ بسبب اختلاف الثقافات الوافدة، ولذلك اتبع المركز سياسة (الانفتاح) و(الباب المفتوح)، فهو لجميع المسلمين على اختلاف انتماءاتهم العرقية واللغوية والمذهبية، يسعى إلى تلبية حاجاتهم الدينية والثقافية الملحّة، ويوفّر لهم الخدمات الأساسية، ويعمل أعضاؤه جميعا على إنجاح هذه السياسة المنفتحة، التي قد يراها البعض واسعة الأطراف، هلامية الشكل، ولكنها تجنّب الجالية خضّات هي في غنى عنها.. وفي حال السؤال عن استفتاء يترك لورع الشيخ المسؤول تقدير الواقعة، وهذا يكفينا المؤونة..

ويبيّن لنا الأستاذ حمد أن كثيراً من أبناء الجاليات يرجعون إلى أئمة الجالية نفسها، فعوامل اللغة والقومية والمذهب تأخذ حظها في اطمئنان السائل للإمام أو الشيخ المجيب عن السؤال أو الفتوى، وهؤلاء في العادة لا يلجأون إلى المركز للسؤال والاستفسار.

دور المركز الإعلامي

أيّدنا الأستاذُ حمد في كون الدعوة الإسلامية، عملية إعلامية، وأن الشخصية الإسلامية مؤسسة اعلامية حية متحركة، ويرى في التحدي الاعلامي المعاصر مسألة جديرة بالمراعاة ، ومدعاة للعمل والتفوق وعدم الاكتفاء بالمجاراة..

ولندن ساحة إعلامية متميزة

صورة الإسلام السلبية.. لا تقع مسؤوليتها بالكامل على شبهات الخصوم..

وجاذبة، وفيها معظم الاعلام العربي المهاجر مما يضيف مسؤولية جديدة على عاتق (المركز الثقافي الإسلامي) في لندن..

ويوضح لنا الأستاذ حمد أهمية ومركزية (خطبة الجمعة) في (الإعلام الإسلامي)، وجمعة لندن مميزة بالأعداد الغفيرة التي تستمع إليها، بالإضافة إلى التنوع الكبير في الجمهور، مما دفع المركز إلى انتهاج السياسات التالية في مراعاة المواضيع.. فموضوع الخطبة يترك بالكامل، للإمام – وهناك أربعة أئمة يتناوبون على خطبة الجمعة – على أن يراعي فيها تغطية أهم احتياجات الجالية الفكرية والتربوية، وأن يتفاعل مع قضايا الامة الاساسية، ويعبر عن توجهاتها فيها كقضية كشمير والبوسنة والشيشان إلخ.. وتجنّب المواضيع المثيرة للجدل والمؤدية إلى الخلافات.. وحرصا من الإدارة على تعميم الفائدة – ومن خلال المجلة الدورية التي يصدرها – يتم نشر ملخص لخطب الجمعة.. أما اللغة، فالخطيب يستخدم اللغتين العربية والإنكليزية، يستخدم العربية حرصا منه على الحفاظ على (الهوية الثقافية) ولغة القرآن الكريم، والانكليزية لإيصال المعنى للحضور، وبينهم من لا يعرف العربية.. (وإجمالا، نحاول القيام بدور تعبوي سليم، وتلمس المواضيع الإسلامية ضمن السياسات المذكورة آنفا من خلال المحاضرات والدروس والندوات وغيرها من الفرص الإعلامية والجماهيرية والتعبدية المتاحة لنا).

العلاقة مع التلفاز والإذاعة

وفي معرض إجابته عن العلاقة بين القناة الفضائية M.B.C. والمسجد، أجاب الأستاذ حمد بقوله إن الإذاعة العربية لا تنقل خطبة الجمعة والعيدين وشعائرهما لأسباب تقنية، ولارتفاع التكاليف، ومع ذلك فنحن على صلة بالإذاعة العربية التي تسمع في لندن ومحيطها، وقناتي التلفزة M.B.C. و TV ASIA، وهي تنقل ما يهم الجالية كتحديد رؤية هلال رمضان وشوال (عيد الفطر) وعيد الأضحى إلخ.. (ونمدهم بمواقيت الصلاة، وأوقات الإفطار والسحور في رمضان، وما أشبه ذلك).

ومن خلال معايشته للجاليات يرى الأستاذ حمد ان الجاليات الوافدة من شبه القارة الهندية، لاسيما الباكستانيون، يصعب ذوبانها في المحيط البريطاني، فهي شديدة التمسك بعاداتها وتقاليدها، بما في ذلك اللباس والطعام والتقاليد الاجتماعية وحصر الزواج فيما بينها – إلا فيما ندر – وهي تستدعي أئمة المساجد والقرّاء من مواطنهم الأصلية. وما زال أبناؤها يدرسون القرآن بنفس الطريقة التقليدية في بلادهم، في حلقات ملحقة بالمسجد ويسمونها (MADRASA)، والجاليات العربية أكثر الجاليات عرضة للذوبان، ولذلك أسباب أيضا تتعلق بالروابط العائلية، وأسلوب الحياة، وميادين العمل، وتنوع الثقافات المختلفة..

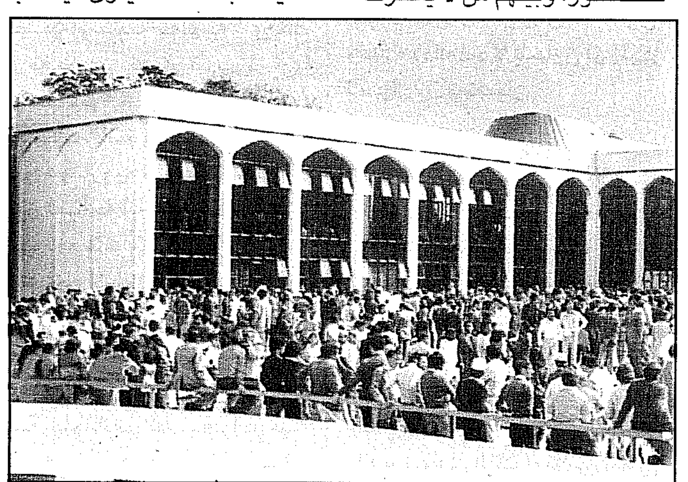
ولكلا الجوين إيجابيات وسلبيات، فالحفاظ على التقاليد قد يؤثر بشكل سلبي في الحضور الفاعل في الحياة البريطانية اليومية، والتفاعل السياسي والاجتماعي والثقافي فيها، ولكنه يحفظ الجالية من الذوبان.. وفي المقابل؛ قد يساعد الانفتاح على التفاعل مع المحيط البريطاني، ولكنه يؤدي إلى الذوبان..

(نحن بصراحة نحتاج إلى استراتيجية تحقق لنا إيجابيات الأمرين: انفتاح يؤدي إلى التفاعل وفي نفس الوقت نحفظ هويتنا الدينية والثقافية وتميّزنا الاجتماعي، والأمر ليس بالسهولة التي نظنّها).

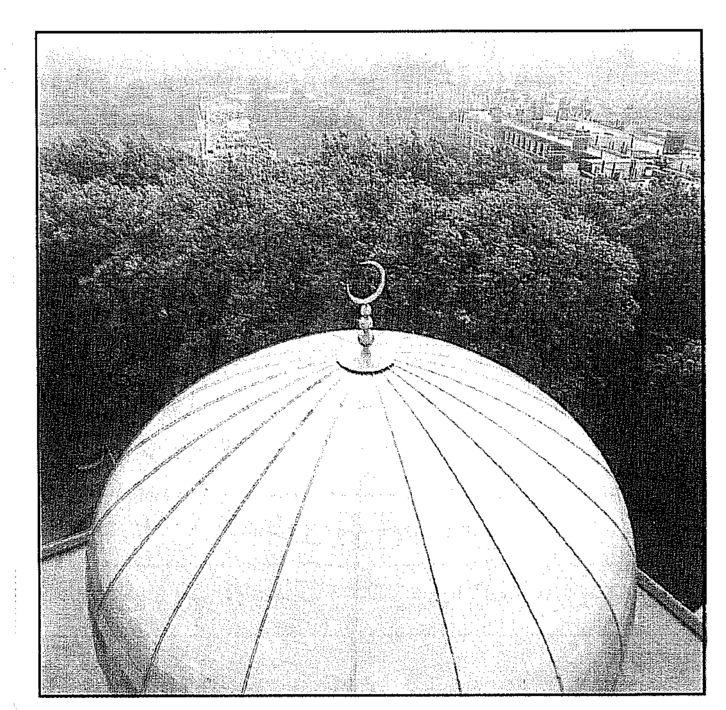
زيارات طلبة المدارس

لاحظنا وجود طلبة – مدارس بريطانيين داخل حرم المسجد، ينصتون إلى شرح أحد الاخوة عن المسجد وأقسامه، والإسلام وأركانه، وبعد ذلك سألوا ما بدا لهم عما سمعوه، وعمّا في أذهانهم من تساؤلات.. وإيضاحا للأمر قال الأستاذ حمد الماجد:

(مادة الأديان، جزء من مناهج التعليم البريطاني، ويفضّل التربوي البريطاني الدراسة الميدانية على النظرية المحصورة في الكتاب أو لوحة



● جموع المصلين يوم العيد في الساحة الامامية للمركز



● قبة المسجد في وسط لندن وحدائق (ريجنت)

الحائط، وبناء عليه استجبنا لطلب وزارة التعليم البريطانية لاستقبال طلبة المدارس للمراحل التعليمية المختلفة، ونحن نستقبل يوميا ثلاثة أفواج - بترتيب مسبق - وقد تم تخصيص أخ يرافقهم ويشرح لهم ملخصا عن المسجد وأقسامه ودوره، وأهم المعلومات عن الإسلام، وبعض ما يتعلق بعادات وتقاليد الجالية المسلمة في بريطانيا. بالإضافة إلى تزويدهم بكتيبات تتعلق بالمواضيع نفسها..

ولقد لمسنا - من خلال هذه الزيارات - الرأي العام بين البريطانيين تجاه الاسلام، ولمسنا تأثير الاعلام في الجمهور، وأفلحنا من خلال الزيارات هذه - إلى حد ما - في إعطاء تصور جيد عن الإسلام يواجه الصورة السلبية التي تحملها بعض وسائل الإعلام (تلفزة، إذاعة، صحف، مجلات إلخ..). ومن خلال السؤال والجواب نحاول إزالة كثير من الشبهات التي تعلق في أذهان الشباب، إما من خلال تجربة شخصية، و إما من خلال البث الإعلامي).

آثار طيبة وإيجابية

وعن آثار هذه الزيارات الإيجابية، يقول الأستاذ حمد:

(يظن كثير من غير المسلمين أن المساجد والمراكز الإسلامية ومناطق تجمع الجاليات الإسلامية، قلاع محصنة لا ترحب بالزائرين، ولا تستقبل غير المسلمين، ويستغرب بعضهم حسن الاستقبال والترحيب الحار بدخولهم دون موعد مسبق، ودون مراسلات رسمية، وإيجابية، مثل هذا الأمر لا يخفى على أحد..

وفي العادة؛ نتلقى رسائل شكر من المدارس والمدراء، مما يعطينا الانطباع بإيجابية هذا النشاط وأثره في العملية التربوية، وعلاقة الطلبة البريطانيين بالإسلام.. وأحيانا تكون النتيجة إعلان بعض المدرّسين والطلبة إسلامهم اقتناعا منهم بما رأوه وسمعوه).

أسباب الصورة السلبية

وبسؤالنا عن أسباب الصورة السلبية كما تتبدى من أسئلة الزوار البريطانيين، يجيب الأستاذ حمد:

(إن صورة الإسلام السلبية لا تأتي فقط من خارج الصف الإسلامي، بل منها ما يترتب على عدد من ممارسات بعض المسلمين أو الدوّل الإسلامية، ممن لا يراعون - في تصرفاتهم وأقوالهم - حق الله ولا حقوق عباده، ويبتعدون في تصريحاتهم السياسية، أو الفكرية، أو ممارساتهم الاجتماعية عن العرف العام السائد، لاسيما في ميدان (الحكمة والموعظة الحسنة). ويتم توظيف هذا كله - للأسف - للنيل من الإسلام نفسه..

وأكثر ما يواجهنا من أسئلة الطلبة البريطانيين والزوار غير المسلمين يدور حول: سلمان رشدي وموقف المسلمين من الرأي الآخر، ومن الغرب عموما، ومن الحريات العامة خصوصا.. بالإضافة إلى ما يثيره المستشرقون عن حقوق المرأة في الاسلام، وتعدد الزوجات، ونظام توزيع الإرث.. إلخ).

حلول وتمنيات

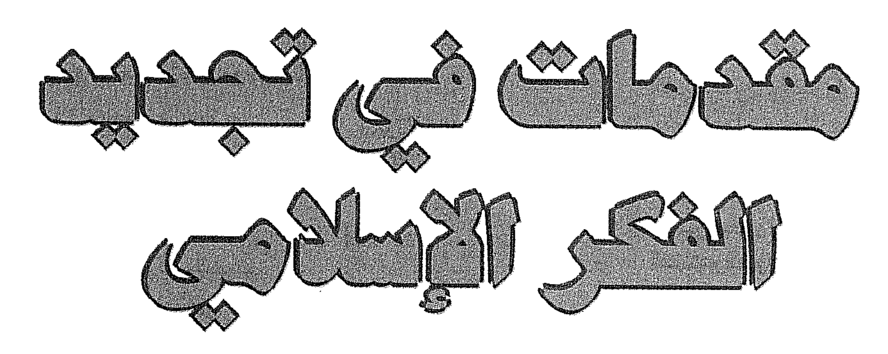
وعن الحلول التي يقترحها - من خلال تجربته الميدانية - لتحسين صورة الإسلام والمسلمين، يرى الأستاذ حمد أن الموضوع برمته يقع على عاتق الجميع، فالفرد والجماعة والدولة والأمة، لكل منهم مسؤولية شرعية في التطبيق والممارسة، وعلى رأس الأمر أن يطابق القولُ العملَ، فقد عاب تعالى علينا أن نقول ما لا نفعل: ﴿كبُر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾، وقد تكون هذه القاعدة مفتاح الحل، وكل ما عداها ما هو إلا تفاصيل تأتي بالدراسة، وتأتي بتكامل التجربة■

سياسة الانفتاح والاستيعاب على رأس سياسات (المسجد) أمام السيل الكبير من الاتهامات والانقسامات

يعيش عالم اليوم عددا من الأزمات المعاصرة، ويشكو عالمنا الإسلامي أزماته الخاصة المستجدة لأسباب وظروف تاريخية وموضوعية عديدة.. ولعل أبرزها (أزمة الفكر) التي تحكم الأداء والمسار وكثيرا من مظاهر التراجع والجمود الذي نعاني منه.. ولقد قامت أصوات كثيرة تدعو إلى تدارك الأمر وإصلاح ما يمكن إصلاحه قبل فوات الأوان، فشهدت الساحة الإسلامية عددا من المؤتمرات والندوات الفكرية، بهدف بلورة الموضوع واقتراح الحلول، ومن جملتها ندوة (أزمة الفكر العربي المعاصر في ضوء المتغيرات الجديدة) التي أقامتها (المجلة العربية للعلوم الإنسانية) بالتعاون مع (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي) في الفترة من ٣-٥/٤/٩٥م، وشارك فيها عدد من المفكرين والباحثين والمهتمين.. وفيما يلي ورقة الدكتور علي الزميع تتناول في قسمها الأول مدخلاً إلى خلفيات الأزمة المعاصرة، على أن يستكمل القسم الثاني والأخير مقترحات الحل.

الدكتور على فهد الزميع

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية



افتقد الوطن العربي - لسنوات طويلة - ساحات للحوار العلمي المتجرد

١/٢

لقد افتقد الوطن العربي - لسنوات طويلة - ساحات للحوار العلمي، يلتقي على أرضها مفكرو الأمة، ليدرسوا قضاياها، ويحللوا بأسلوب علمي أهم مشكلاتها، ويستخلصوا الحلول العلمية والعملية التي تدفع عوامل التقدم والنمو، وتعالج أسباب الضعف والوهن.

ونشكر للقائمين على تنظيم هذه الندوة أنهم يعالجون هذا الخلل الذي أصاب حياتنا الفكرية، فضلا عن أنهم أثروا الندوة بالاختيار الانتقائي للمشاركين فيها الذي يضمن الجدية والأصالة والتنوع.

والتنوع الذي نريده لهذه الندوة، يتحقق بالتعبير المحايد عن مختلف التيارات الفكرية في الوطن العربي، بعيدا عن روح التعصب، أو الانغلاق، بل بتجرد الباحثين عن الحقيقة والساعين لها، على اعتبار أن الحقيقة ضالة المؤمن، ودون التقيد بالتزام مسبق، أو انتماء لتيار فكري معين.

أزمة الوطن العربي

يمر وطننا العربي بأزمة حضارية كبرى، هذه حقيقة لا نعتقد بوجود من يشكك فيها، وقد بدأت عوامل تلك الأزمة في الوقت الذي توقفت فيه الطاقات الإبداعية للأمة، وجمدت فيها عوامل النمو والتقدم، وخمدت همم العقول الخلاقة التي قادت مسيرة النهضة العربية قرونا طويلة، كل ذلك في وقت انطلقت فيه حضارة عملاقة بسطت نفوذها - الفكري، والعقائدي،

والثقافي، والسياسي، والعسكري – على العالم أجمع، حتى أصبحت تشكل النمط الحضاري السائد في كوكبنا.

أهم أسباب الأزمة

تعددت الاجتهادات وتنوعت منطلقاتها، في مجال التعرف على أسباب أزمة الأمة العربية، وفشل مشروعاتها الحضارية. ويمكن رد هذه الأسباب بصفة عامة إلى الاختلاف الحاد بين التيارات الفكرية في تحديد الإطار الفكري الذي ينبثق منه مشروع النهضة، وذلك نتيجة لتمسك كل فريق بمنحى فكري تجريدي يبعده عن الواقع ومعطياته، فضلا عن عدم قدرة كل واحد منها، على حدة، على أن يشكل العناصر المتكاملة للإطار الفكري المشار إليه، وبالتالي افتقدت المشاريع الحضارية مشروعيتها الفكرية وفاعليتها واتصالها بالواقع على النحو التالي:

الدعوة إلى التغريب

توجهت بعض المشروعات إلى استعارة النمط الحضاري الغربي بمكوناته المادية والفكرية.. هذا النمط الذي يعرف استقلال الدين عن الدولة.. أي فصل الدين عن أوضاع المجتمع، وحصر دوره وتقييده.

تبني فكرة الأممية الإسلامية

تبنت بعض التيارات الإسلامية الطرح الخاص بالأممية الإسلامية حيث أقامت مشروعها، استنادا إلى الرابطة الإسلامية، وبهدف تحقيق الوحدة الإسلامية، ولم تعط أي اعتبار للأبعاد أو الهوية القومية، بل رفضت القومية، واعتبرتها دعوة غربية تتعارض مع المفاهيم الإسلامية.

تطبيقات تاريخية

كما تصورت بعض المشروعات امكان النقل الحرفي لتجربة ناجحة تمت في ظل أوضاع تختلف تماما عن أوضاعنا الحالية، وهي تكتفي من الإطار الشامل والمتكامل للإسلام، بتطبيقات تاريخية محدودة غافلة عن القضايا المعاصرة للمجتمعات الحديثة، والنظم، والعلاقات المستجدة التي يستحيل تجاوزها، أو تجاهلها.

عدم تكامل مفردات المشروع

لم يتضمن المشروع الحضاري العربي رؤية حضارية متكاملة وشاملة، واتسم في معظم أطروحاته بالمعالجة الجزئية التي أعطت اهتمامها لبعض مفرداته على حساب مفردات أخرى لا تقل عنها أهمية.

فلم ينجح هذا المشروع – بداءة – في بلورة الصياغة الملائمة لملامح هوية الأمة على النحو الذي يجسد بصدق وأمانة خصوصياتها ومكوناتها الذاتية، كما لم يركز اهتمامه على القيم والأهداف التنموية بمفهومها الشامل، والذي يضمن مواجهة حالة التخلف من جميع جوانبها، فضلا عن إهماله لقضايا الحريات وحقوق الإنسان، نظرا لطابع الأنظمة التي تولت تطبيق المشروع في العديد من الدول العربية.

توجهات خارجية

ويعزو البعض جانبا من أسباب هذا التباين في المنطلقات الفكرية الذي صاحب المشروعات العربية إلى ارتباط معظم هذه المشروعات بتوجهات خارجية في بعض الفترات لا سيما في فترات الاستقطاب الدولي، وبالتالي ضاعت الكثير من المصالح القومية قربانا لمصالح قوى الاستقطاب الفكري والسياسي الخارجي.

وقد تجسد في هذا الاختلاف النزاع الذي عانى منه الوطن العربي لسنوات طويلة، بين تيارات الفكر الإسلامي، وغيرها من التيارات التي ملأت الساحة العربية، وخلقت مناخا من الشك والريبة، وبددت طاقات الجماهير في صراع لم يكسب منه العمل العربي إلا افتقاد الثقة وضياع الطريق الصحيح بين أقدام كانت تسعى إلى التقدم والتنمية.

وإزاء عدم صلاحية المنطلقات الفكرية لبعض تلك المشاريع، وعدم كفاية منطلقات البعض الآخر، فإن الخروج من المأزق الحضاري يتطلب معالجة أسباب التخلف الفكري الذي يعاني منه الوطن العربي، حتى يكون في المقدور وضع الصيغة أو الإطار الفكري الصحيح

بدأت عوامل الأزمة الفكرية في الوقت الذي جمدت فيه عوامل النمو والتقدم

يعود فشل بعض المشروعات إلى تصورها إمكان النقل الحرفي لتجربة ناجحة تمت في ظل أوضاع تختلف تماما عن أوضاعنا الحالية

لمشروع النهضة على أن يكون هذا الإطار لصيق الصلة بهوية وواقع وخصوصيات الأمة وتاريخها.

من هنا، تأتي أهمية إحياء الفكر العربي وتجديده، وربط اجتهاداته بالواقع الحياتي للمجتمع العربي، وإجراء مصالحة بين مختلف تياراته، وإزالة آثار فترات الجفاء التي سادت بينها خلال حقبة طويلة من الزمان.

أهمية تجديد الفكر الإسلامي

يقع الفكر الإسلامي موضع القلب في الفكر العربي، فقد مكن الإسلام للأمة العربية طوال تاريخها من صياغة هويتها والتصدي لمحاولات استيعاب وتذويب حضارتها، والفكر الإسلامي هو اليوم – بما يملكه من مكانة في عقل الأمة ووجدانها، وقدرة واسعة على التأثير والتوجيه والتعبئة – هو المؤهل ليؤدي دورا فعالا لإيقاظ بواعث الإحياء العربي، وحفز إرادة النهوض والتقدم لدى الأمة.. وإكسابها القدرة على العطاء والإبداع الحضاري.. وهي حقيقة تعززها المراجعة الأمنية لأوضاع التيارات الفكرية، التي سادت هذا القرن، ومثلت أيديولوجيات مشاريع التحديث في العديد من دول عالمنا العربي، حيث تعاني تلك التيارات من ضعف خطير أفقدها – إلى حد كبير – حضورها الفكري والسياسي، وفاعليتها الجماهيرية نتيجة عجزها عن ترسيخ مفاهيمها وقيمها في الثقافة العربية والإسلامية.

وتحاول هذه الورقة أن تطرح للنقاش بعض المقدمات التي نطمع بها في الاقتراب من أحد أهم الموضوعات وأكثرها خطورة وحساسية وتشعبا واتساعا.. وهو موضوع تجديد الفكر الإسلامي الذي نعتقد أنه يمثل الروح والقاعدة لأي مشروع حضاري عربي، منطلقة في ذلك من الثقة الكاملة في حاضر الفكر الإسلامي ومستقبله، وفي قدرته على التجدد والابداع، واستيعاب التحديات المصيرية التي تواجه الأمة العربية، وتأكيد وصيانة هويتها وخصوصيتها الحضارية.. وفي ريادة مشروع النهوض بها.

وتستهدف هذه الورقة إثارة الموضوع، وإلقاء نظرة سريعة وموجزة على بعض عناصره على النحو التالي:

أولا: ضرورة التجديد ودواعيه.

ثانيا: بعض نماذج التجديد في التاريخ الإسلامي.

ثالثا: من شروط التجديد ومتطلباته.

رابعا: بعض إشكاليات التجديد.

خامسا: نحو تفعيل دور التجديد في النهوض بالفكر الإسلامي.

أولا: ضرورة التجديد ودواعيه

تبدو ضرورة التجديد ودواعيه من أوجه متعددة نوجز أهمها فيما يلي:

التجديد دعوة إسلامية

يحتفظ الإسلام باعتباره دينا خالدا ذو شمولية ببذور التجديد ويدعو إليه.. وقد أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». فهو إذن خاصية من خصائص الرسالة الخاتمة، ولازمة من لوازمها، ومما يؤكد أن التجديد جزء من نسيج الإسلام، تلك الحقيقة المتصلة بحركة الحياة والكون، كما وردت في الكتاب الكريم، والتي تراها حركة تطورية متغيرة.

كما أن الشريعة الإسلامية تتسم بخاصية المرونة والقابلية للتطور.. ومن أبرز دلالات ذلك أن الشارع الحكيم ترك منطقة واسعة خالية من أي نص ملزم، وأن معظم نصوصها جاءت بمبادئ عامة، وأحكام كلية.. كما صيغت الكثير من أحكامها الجزئية، بحيث تتسع لتعدد التفسيرات، بالإضافة إلى تقريرها لمبدأ رعاية الضرورات والأعذار والظروف الاستثنائية.

ضرورة التجديد

تبرز أهمية وضرورة مهمة إصلاح وتجديد الفكر الإسلامي، والتي باتت هاجسا للنخبة والجماعة، نظرا للتغيرات الكبيرة في العالم، وفي واقعنا العربي والإسلامي على عموم المستويات

الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، والتي أوجدت فجوة بين فكر الأمة وواقعها.. الأمر الذي يفرض استئناف مسيرة الاجتهاد والتجديد لتقديم الرؤى الإسلامية التي تفي بواقعنا المتجدد، وتتكيف مع معطيات وظروف وأحوال الوجود الإنساني المعاصر. كما يقوي من دواعي التجديد عمق الفجوة التي تفصل الأمة عن عصرها، وحجم التحديات التاريخية التي تنتظرها في مواجهة طابع العصر الذي نعيشه، باعتباره عصر المتغيرات الجذرية، والتطورات السريعة والمتلاحقة، والتحولات العالمية الكبرى، بأشكالها وصورها وميادينها المختلفة.. وفي عالم شديد التقارب والتعقيد والاستقطاب.. وعلينا أن نحسب هذه المتغيرات، وما ينبغي أن نعده لها من تطوير في الأفكار والمفاهيم والنظم والأساليب.

التدافع الحضاري المستقبلي

إذا كان الشغل الشاغل للقوى العالمية المختلفة، وهي تستعد وتتأهب لدخول القرن الواحد والعشرين، هو المستقبل، فإنه يبدو مصيريا إشراك الفكر الإسلامي في هذا التدافع الحضاري عن طريق لفت النظر – ضمن حركة الإصلاح والتجديد – إلى ضرورة اهتمامه بالتحديات المتوقعة إلى جانب التحديات الراهنة، وذلك باستشراف المستقبل، وتحديد آفاقه ومتطلباته، خاصة والإسلام يحمل دعوة حضارية ذات طابع عالمي.

ثانيا: نماذج تجديدية تاريخية

يقدم لنا التاريخ الإسلامي أبرز الحجج في ضرورة التجديد الفكري، وفي هذا السياق يمكن فهم وتفسير بعض الشواهد من بينها على سبيل المثال:

الدولة الحديثة وتبلور نظم الحكم والإدارة

فقد نشأت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، نشأة بسيطة، تتوافق وبساطة المجتمع، وتتلاءم مع احتياجاته المتواضعة، وعندما انتشر الإسلام وعمّ نوره بلادا كثيرة ذات حضارات قديمة، أنشأ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مؤسسات الدولة الحديثة والدواوين، ووضع حجر أساس الدولة الحديثة التي تحمل سمات تجديدية تختلف عن السمات التي عرفت بها في المرحلة الأولى، هذا فضلا عن اجتهاداته المعروفة في مجال فهم النصوص وتطبيقها على الواقع، والتي قررت مبدأ تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، وفي عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، بدأ تكوين دولة المؤسسات، وفي بداية العصر الأموي، تبلور نظام الحكم والإدارة والبنى المؤسسية التي تتناول مكونات الدولة، وظهرت قسمات دولة حديثة.

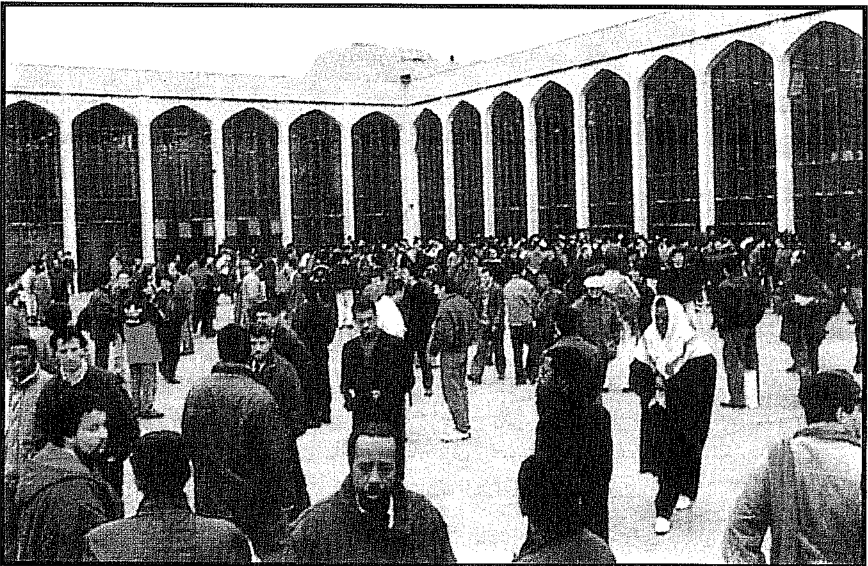
التجديد في عصر التألق

شهد المجال الفكري في عصر ازدهار وتألق الحضارة العربية والإسلامية اجتهادات مفكرين وفقهاء عظام من أئمة المذاهب وتابعيهم، أطلقوا ملكاتهم الذهنية وقدراتهم الإبداعية في فهم أمور الشريعة، وفي رحاب المعرفة الإنسانية الشاملة، ليجسدوا حركة اجتهاد وتجديد فكري، هي مواءمة نموذجية بين النص والعقل، واستجابة إيجابية للواقع والبيئة وقتئذ، وهي شاهدة على رقيهم البالغ، مقارنة بما كان يوازيها تاريخيا من تراث وضعي.

حركات الإصلاح والتجديد

كما عرف العصر الحديث الكثير من حركات التجديد والإصلاح الإسلامي (الوهابية – السنوسية – المهدية – الجامعة الإسلامية – الحركات الإسلامية المعاصرة وغيرها)، التي أفرزت أفكارا عديدة متنوعة المشارب، ومتعددة المسالك، وإن كنا نتحفظ على أطروحات بعضها، إلا أنها تمثل مشروعات للتجديد، حتى لو ارتبط التجديد لدى بعضها – للأسف – بالعودة إلى أفكار عصور سابقة، ولأن كل هذه الاجتهادات تؤكد منهجية الفكر الديني في التجديد، ودوام الاجتهاد في فهم النصوص في ضوء معطيات الواقع■

اتسم المشروع الحضاري العربي المعاصر في معظم أطروحاته بالمعالجة الجزئية



● أمام مسجد لندن المركزي

واقع التعليم الإسلامي بين الأقليات الإسلامية في أوروبا الغربية

د. أحمد جاء بالله*

*وكيل الكلية الأوروبية

للدراسات الإسلامية - فرنسا

لقد أصبح المسلمون اليوم في أوروبا يشكلون جالية كبيرة، حتى غدا الإسلام في كثير من دول أوروبا هو الديانة الثانية. ويقدر عدد المسلمين في أوروبا الغربية بحوالي خمسة عشر مليون مسلم.

إن مسلمي أوروبا يتشكلون أساسا من المهاجرين الذين قدموا من البلاد الإسلامية المختلفة بقصد العمل، إضافة إلى أعداد أقل من الطلاب الوافدين أو المبتعثين. ولئن كان هذا الوجود الإسلامي يتسم في بدايته بأنه وجود مؤقت، إلا أنه قد تحول في السنوات العشر الأخيرة إلى وجود مستقر، ومع ظهور الجيلين الثاني والثالث من أبناء المسلمين، فإن ظاهرة الاستقرار تتأكد، ليصبح المسلمون جزءا من المجتمعات الغربية، خاصة أن عدد المتجنسين وحاملي الجنسيات الأوروبية بسبب الولادة يزداد يوما بعد يوم. لا شك أن حاجيات الإقامة المؤقتة غير حاجيات الإقامة الدائمة، وكذلك حاجة الاجيال الأولى من المهاجرين المسلمين إلى العناية والتوجيه، غير حاجة الأجيال الجديدة.

ومن هنا كان لابد من التفكير في إقامة المؤسسات الإسلاميةالتربوية لحفظ الوجود الإسلامي، وحماية الناشئة من أبناء المسلمين، حتى لا ينسلخوا عن دينهم وحضارتهم. لكن أوضاع المسلمين الاجتماعية والاقتصادية وغيابهم عن مواقع التأثير في المجتمعات الغربية جعلهم يعانون إلى الآن من ضعف في إقامة المؤسسات الكافية والفاعلة. إلا أنه بفعل الصحوة الإسلامية التي يشهدها المسلمون في أوروبا، هناك جهود طيبة تبذل لسد هذا النقص.

أهمية التعليم الإسلامي

إن التعليم أهم مجال من مجالات النشاط الفكري لكل حضارة، لأن من خلاله يتم نقل الثقافة والتراث وغرس الأفكار والتوجهات، لذلك فإن الحضارات الغالبة هي التي خططت لاستيعاب من تريد احتواءهم من خلال التعليم والتربية، ليكونوا بعد ذلك حملة لفكرها وهويتها.

ومن هنا فإن الحفاظ على الوجود الإسلامي في أوروبا يحتاج إلى الاهتمام بالمؤسسات التعليمية الإسلامية اهتماما يكافىء مستوى التحديات المطروحة على المسلمين في هذه البلاد. وإن أهمية التعليم الإسلامي تتأكد في أوروبا للعوامل التالية:

١) غياب المحاضن التربوية الإسلامية في أوروبا، إذ إن الناشيء المسلم لا يجد في المجتمعات الأوروبية ما يشده أو يذكره بدينه أو بثقافته الإسلامية، وذلك ابتداء من العادات، إلى المفاهيم والأفكار العامة. فما يجده الناشيء في بلد إسلامي، مهما كان مستوى التدين فيه ضعيفا، من إبراز لشعائر الإسلام وعباداته، لا يجده المسلم في أوروبا كظاهرة اجتماعية سائدة، إلا ما كان من مظاهر إسلامية في دوائر خاصة محدودة.

٢) أوضاع المجتمعات الغربية – وما تقوم عليه من مفاهيم مادية وعادات إباحية – تشكل عامل ضغط نفسي يعيشه الناشيء المسلم، ويجعله في حالة صراع بين ما تقتضيه المفاهيم الإسلامية من التزام وتقيد بمبادىء الأخلاق، وما يجده في المجتمع من مغريات ودوافع تصرفه عن مقومات شخصيته الإسلامية. إن وجود الناشيء في مثل هذا الوضع النفسي والخلقي الصعب، يجعله يعيش حالة من الاضطراب، يزداد حدة مع غياب المحاضن التربوية الإسلامية.

٣) الأسرة المسلمة في أوروبا لا تؤدي في الغالب دورها التربوي تجاه الأبناء، وذلك بسبب عوامل كثيرة منها: ضعف الالتزام الإسلامي عند الآباء والأمهات، فيكونون بمثابة فاقد الشيء، وفاقد الشيء لا يعطيه، وكذلك اختلاف المستوى الثقافي بين الأولياء والأبناء مما يؤدي إلى فجوة فكرية ونفسية بين الآباء وأولادهم. وفي مثل هذا الوضع يلجأ الأولياء إلى أحد حلين، وكلاهما سلبي: إما إلى محاولة إلزام الأبناء بنمط من التربية يقوم غالبا على عادات البلاد الأصلية، مما يؤدي إلى تصادم ينتهي – غالبا – بتصدع العلاقات، وإما إلى تسليم بالأمر الواقع ، وترك الأبناء يتصرفون باختيارهم، بعيدا عن أي توجيه أو ضوابط تربوية.

فالدور التربوي للأسرة المسلمة في أوروبا معطل بسبب ما ذكرناه من عوامل، وبسبب التحديات الصعبة التي تحيط بالأسرة المسلمة.

وهذا مما يزيد من ضرورة وأهمية المحاضن التربوية الإسلامية التي سيكون عليها العبء الأكبر في الرعاية التربوية للأبناء، دون أن يكون هذا بديلا عن تصحيح وضع الأسرة المسلمة، لتقوم بدورها المطلوب.

واقع التعليم الإسلامي في أوروبا الغربية

إن التفكير في التعليم الإسلامي والبدء بإقامة المشاريع التعليمية والتربوية، يعد أمرا حديثا في أوروبا نسبيا، وقد يكون من أسباب التأخر في العناية بالمسألة التربوية منذ وقت مبكر هو ما عاشته الجالية الإسلامية في أوروبا بين تفكير في حلم العودة إلى البلد الأصلي الذي لم يتحقق، وبين الأخذ بأسباب الاستقرار في البلاد الأوروبية. لكنه قد ظهر في السنوات الأخيرة اهتمام بإقامة المشاريع التربوية، مما يعد نقطة تحول مهمة في حياة المسلمين في أوروبا. ويمكننا إذا سلطنا الضوء على المؤسسات والأنشطة التعليمية القائمة اليوم في أوروبا، أن نصنفها إلى ثلاثة أصناف: التعليم التكميلي، التعليم الكامل، والتعليم الشرعي.

التعليم التكميلي

ونقصد بالتعليم التكميلي هو ما تقوم به العديد من الجمعيات والمراكز الإسلامية من دروس خاصة بأبناء المسلمين، وذلك أيام العطل الأسبوعية المدرسية، وتحتوي هذه الدروس في مجملها على:

أ- تحفيظ القرآن الكريم.

ب- تدريس مبادىء الدين الإسلامي (ويكون غالبا باللغات الأوروبية).

ج- تعليم اللغة العربية.

د- تنظيم دروس تقوية في المواد الدراسية التي يتلقاها التلميذ في المدرسة النظامية(١).

إن هذا الصنف من التعليم يعد أكثر انتشارا من غيره، فلا يكاد يخلو مركز أو مسجد من وجود نشاط تعليمي، يقوم عليه غالبا الإمام، ويساعده غيره من أهل المسجد أو المركز، وينتظم في هذا النمط من التعليم أعداد كبيرة من أبناء المسلمين، ويمكن أن نقول إنه يحقق مردودا طيبا على مستوى الرابطة والانتماء الإسلامي، لكن هذا الجهد يمكن أن يكون عطاؤه أفضل لو أمكن التغلب على نقاط الضعف التي يعاني منها، وهي أساسا تتمثل فيما يلي:

– النقص الشديد في الكادر التعليمي المختص المدرب، حيث إن أكثر الذين يتصدون للتعليم هم من المتطوعين غير المختصين، الذين يجدون أنفسهم بحكم الحاجة أمام وظيفة تعليمية، تحتاج منهم إلى خبرات تربوية عالية حتى يتمكنوا خلال الوقت المحدد المتاح أن يحققوا المردود التربوي المطلوب، ولكن هذه الخبرات تنقصهم فيحاولوا أن يبذلوا ما في وسعهم. ولقد قامت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) بتنظيم دورات تدريبية للمعلمين الذين يمارسون التعليم في المراكز والجمعيات الإسلامية، وكانت هذه الدورات مفيدة ولها أثر طيب، لكن لا يمكن أن تحل بشكل جذري مشكلة الضعف على مستوى الكادر التعليمي.

غياب البرامج التعليمية المناسبة

إن البرامج المطبقة في التعليم الإسلامي التكميلي هي برامج

يشكل المسلمون في أوروبا جالية كبيرة حتى أصبح الإسلام الديانة الثانية

مأخوذة في الغالب من المناهج المطبقة في العالم الإسلامي، وأكثر المدرسين يعتمدون الكتب المدرسية المقررة في الدول الإسلامية، ولا شك أن هناك اختلافا في الظروف النفسية والتربوية والاجتماعية، يجب مراعاته وأخذه بعين الاعتبار على مستوى المناهج التعليمية.

وهناك بعض الجهود التي بذلها بعض المختصين في وضع مناهج وكتب ملائمة لواقع التعليم في أوروبا، وهي جهود مشكورة، ينبغي تشجيعها حتى تغطي الحاجة وتحقق المطلوب.

ضعف الانتظام

تشهد العملية التعليمية في كثير من المراكز والجمعيات شيئا من عدم الانتظام في الالتزام بالأوقات المحددة، مما يؤدي إلى ضعف المواظبة والاستمرار، وهذا الأمر له أثر سلبي في المردود التربوي. وقد تعود هذه الظاهرة إما إلى نقص في الجدية من القائمين على التعليم، وإما إلى إهمال من الأولياء في إحضار أبنائهم في الوقت المطلوب ومتابعتهم، وإما إلى تقصير من الجانبين.

مشكلة الوقت المناسب والمكان المناسب

إن اختيار الوقت المناسب أمر ضروري لنجاح العملية التربوية. لكن ظروف التعليم التكميلي - باعتباره محصور في أوقات الراحة الأسبوعية للطفل - تجعله يتصرف في خيار محدود من الزمن والأوقات التي يقضيها المتعلم منتزعة من وقت راحته، مما يطرح مدى قدرته الاستيعابية في هذا الوقت. وأما من حيث المكان فإن العديد من الجمعيات تنظم التعليم في مراكزها أو في المساجد. وفي الغالب لا تكون هذه الأماكن مهيأة باللوازم المدرسية المطلوبة، مما يكون له أثر سلبي، وانطباع غير مشجع لدى المتعلم.

ومع جوانب الضعف التي ذكرناها يظل التعليم التكميلي يؤدي دورا مهما لا يمكن الاستغناء عنه، ومهما كانت حصيلته النهائية من حيث المعلومات التي يكتسبها الطفل والشاب ضعيفة، إلا أن الأثر التربوي العام يظل منطبعا في نفسية الناشيء. ولقد لوحظ أن كثيرا من الشباب الذين يقبلون على الالتزام الإسلامي، هم من الذين سبق لهم أن مروا في صغرهم بالمدارس التكميلية في الجمعيات والمراكز الاسلامية.

هذا إضافة إلى أن التعليم التكميلي ستظل الحاجة إليه قائمة، حتى مع تطور حركة المدارس الإسلامية الخاصة، إذ إن هذه المدارس مهما تعددت فلن تغطي حاجة كل المسلمين، ولن يستطيع كل الأولياء تحمل الرسوم المطلوبة، ومن هنا ستظل أعداد غير قليلة من أبناء المسلمين ترتاد المدارس العامة، وتحتاج إلى تعليم إسلامي تكميلي. لذا فإنه من الضروري التفكير في رفع مستوى هذا التعليم وتطويره من حيث الأداء والتحصيل. وللوصول لذلك لابد من العناية بالجوانب التالية:

- التركيز على إيجاد الكوادر التعليمية المختصة التي تنطلق من خبرة تربوية، ويستحسن أن يكون المدرسون من ذوي الاختصاص في ميدان التعليم، أو ممن تتوافر لديهم - على الأقل - الاستعدادات اللازمة للعملية التربوية، ويتلقون تكوينا متخصصا ضمن دورات هادفة ومستمرة.

- لابد من إيجاد مناهج وكتب مدرسية ملائمة لحاجيات الناشىء المسلم الذي يعيش في أوروبا، من قبل خبراء تربويين، يدركون تماما طبيعة المشكلات والتحديات التي يعيشها المسلم في الوسط الأوروبي(٢).

- لابد من تهيئة الوسائل المادية الضرورية من قاعات مناسبة، واستخدام وسائل الإيضاح وغيرها، بما يرفع مستوي الأداء التربوي. ولابد من أن تسجل في مجال التعليم التكميلي المبادرات الإيجابية لبعض المنظمات الإسلامية بتأسيس جمعيات متخصصة للسهر على النشاط التعليمي. ولا شك أن العمل المتخصص يحقق مزيدا من الاتقان والجدية.

وفي هذا المجال أيضا، هناك جهد طيب تقوم به بعض الدول العربية، بإيفاد بعض المعلمين إلى بعض الدول الأوروبية ليقوموا بتعليم اللغة العربية في المدارس العامة. ولكن مردود هذا الجهد يظل مرتبطا بمدى جدية المعلم، ومدى تمثله بالخلفية الإسلامية التي تجعل منه قدوة صالحة لتلاميذه.

ولابد أن نشير كذلك إلى الموقف الإيجابي لبعض الدول الأوروبية مثل بلجيكا التي بحكم اعترافها الرسمي بالإسلام، تتيح فرصة تعليم الإسلام لأبناء المسلمين في المدارس الحكومية، من قبل مدرسين مسلمين، تتكفل الحكومة بدفع رواتبهم، وذلك مساواة للمسلمين مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى. إن مثل هذا الحل في تدريس الإسلام من ضمن البرنامج الدراسي العام يمكِّن من تجاوز السلبيات التي أشرنا إليها، لذلك فإنه من المفيد العمل علي توسيع نطاق هذه التجربة، لتشمل أكبر عدد ممكن من الدول الأوروبية، ويمكن أن يكون للدول الإسلامية دور في هذا المجال.

التعليم الكامل

ونقصد بالتعليم الكامل، التعليم النظامي الذي يتم من خلال المدارس

الإسلامية الخاصة.

إن وجود مدارس إسلامية تدرس المناهج العامة المعتمدة من قبل وزارة التعليم في كل بلد أوروبي، مع إضافة مواد القرآن الكريم، والتربية الإسلامية، واللغة العربية، يعتبر هو الحل الأنسب والأجدى لقضية التعليم الإسلامي في أوروبا، إذ إن المدرسة الإسلامية توفر للناشىء بالإضافة إلى المواد الإسلامية جوا إسلاميا عاما يجعله يتشرب التربية الإسلامية بمجرد وجوده في مثل هذا الوسط التعليمي.

وللقائل أن يقول إن هذه المدارس الإسلامية، مهما تعددت فلن تستوعب إلا القليل من أبناء المسلمين، نعم هذا صحيح، لذلك قلنا بضرورة استمرار التعليم التكميلي. ولكن وجود هذه المدارس الإسلامية الخاصة، مهما قلت طاقة استيعابها، سوف يمكّن من إعداد نخبة من أبناء المسلمين إعدادا تعليميا وإسلاميا يجعل منهم كوادر متميزة، يمكن أن يكون لها الأثر الإيجابي في المجتمعات الأوروبية، بما سيعود مستقبلا على الجالية الإسلامية، بل على عموم المجتمع بالنفع والخير.

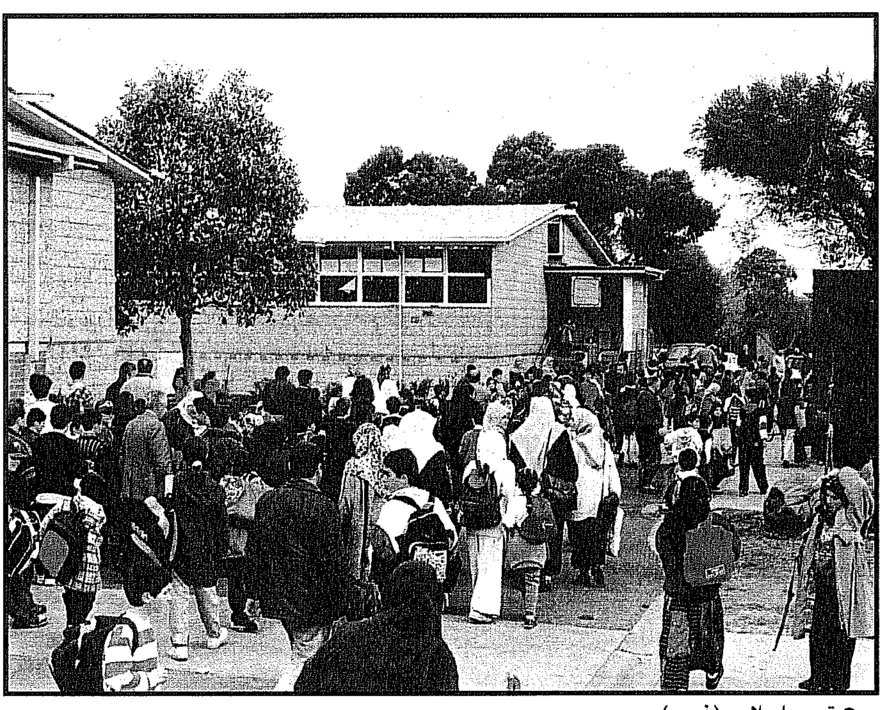
إن وجود المدارس الإسلامية في أوروبا لا يزال محدودا بالنسبة لعدد المسلمين كجاليات منتشرة على الساحة الأوروبية، بل إن بعض البلاد مثل فرنسا على الرغم من وجود جالية إسلامية كبيرة فيها (حوالي خمسة ملايين مسلم) فإنه لا توجد فيها إلى الآن مدرسة إسلامية نظامية واحدة، ومن أهم الأسباب التي تجعل المسلمين لا يقدمون على إنشاء مدارس خاصة بهم، التكلفة المادية المرتفعة إذ إن كل الدول الأوروبية لا تمنح أي دعم مالي للمدارس الخاصة إلا بعد مرور عدة سنوات من الانتظام (من أربع إلى خمس سنوات)، وعلى المدرسة الإسلامية خلال هذه الفترة أن تعتمد على التمويل الذاتي، وبما أن الرسوم لا يمكن أن تغطي الكلفة الكاملة، فعليها أن تبحث عن تمويل خارجي من خلال المساعدات والتبرعات. وهذا ليس من اليسير توفيره، وبشكل منتظم، طالما لا يتأتى من قبل هيئات رسمية. هذا بالإضافة إلى أن الدعم الحكومي للمدارس الخاصة يستوجب الوفاء بشروط قاسية، وهو نتيجة اتفاق مع وزارة التعليم التي ليست ملزمة في كثير من الدول بالموافقة على مسألة الدعم للمدارس الخاصة(٣).

إنه على الرغم من وجود هذه الإشكالات المالية إلا أن المسلمين في أوروبا يتجهون عموما إلى إقامة مدارسهم الخاصة. ولعل ظهور بعض المشكلات كقضية الحجاب في فرنسا، جعل المسلمين يفكرون بجد في إيجاد مدارس إسلامية خاصة، إذ إنه في الوقت الذي تجد فيه العائلة المتدينة – المسيحية أو اليهودية – المدارس المسيحية واليهودية، لا يملك المسلمون في العديد من الدول الأوروبية إلا خيارا واحدا، وهو إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية العامة، وهي تقوم عادة على المبادىء العلمانية، التي لا تقيم للدين اعتبارا.

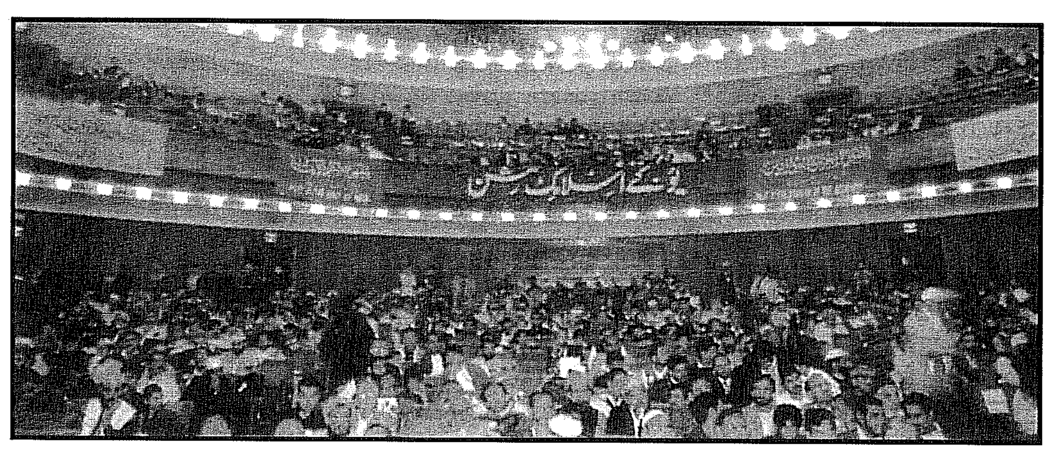
إن تشجيع إنشاء المدارس الإسلامية الخاصة، وتوفير ما تحتاج إليه من دعم كافٍ يعد أمرا ضروريا ينبغي تحسيس المسلمين في أوروبا بأهميته، وكذلك المسلمين في العالم الإسلامي دولا وشعوبا، حتى يؤدوا دورهم في حماية الأجيال الإسلامية في أوروبا.

التعليم الشرعي

إن التعليم الشرعي الإسلامي بصيغته التكميلية والنظامية يكتسي طبيعة عامة، وهو لا يُغني عن وجود تعليم شرعي متخصص لتغطية جملة من الحاجيات الحقيقية لدى الجاليات الإسلامية في أوروبا. ويمكن أن نلخص احتياجات المسلمين في المجال الشرعي في ثلاثة



● تجمع إسلامي (غربي)



●مؤتمر اسلامي في اوروبا

إن التعليم أهم مجال من مجالات النشاط الفكري لكل حضارة، فمن خلاله يتم نقل الثقافة والتراث وغرس الأفكار والتوجهات

متطلبات حيوية:

أ- الحاجة إلى كوادر إسلامية متخصصة في مجال الدعوة والتوجيه والتربية، من خلال المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة اليوم في كل الدول الأوروبية، وهي في الغالب تفتقر إلى دعاة أكفاء يجمعون بين العلم الشرعي، والاستيعاب الكافي لخصائص المجتمعات الأوروبية، وما يستلزم ذلك من معرفة بمشكلات المسلمين، واتقان للغات الأوروبية يمكنهم من التواصل مع المجتمع. ومع وجود عدد من الدعاة المبتعثين على حساب بعض الدول الإسلامية، إلا أن هؤلاء لا يغطون إلا جزءا محدودا من المجال الدعوي، فضلا عن أن بعضهم - إن توافر لديه التكوين الشرعي - قد تنقصه الدراية بالواقع واتقان لغة البلاد، مما يجعله ذا أثر محدود في محيطه الاجتماعي. لذلك فإن تكوين نخبة من أبناء المسلمين المقيمين في أوروبا، هو الحل الطبيعي لتلبية حاجة الدعوة في هذه البلاد.

ب- الحاجة إلى مدرسين أكفاء لتدريس التربية الإسلامية واللغة العربية يكونون ذوي اختصاص من جانب، وأصحاب اطلاع جيد على الواقع الأوروبي، من جانب آخر، وذلك لتغطية النقص الذي أشرنا إليه من قبل على مستوى الكادر التعليمي المتخصص في المدارس الإسلامية التكميلية والنظامية. ويستحسن أيضا أن يكون هؤلاء المدرسون من أبناء الجاليات الإسلامية المقيمة في أوروبا ليتحقق فيهم شرط الاستيعاب الواقعي الذي ذكرناه.

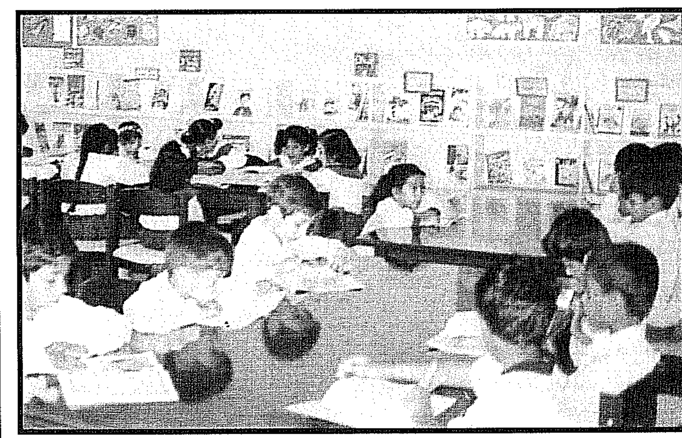
ج - الحاجة إلى باحثين ودارسين متخصصين في مجال البحث الديني الشرعي والاجتماعي، إذ إن وجود المسلمين في مجتمعات إسلامية يطرح عليهم إشكالات شرعية تحتاج إلى دراسة، كما أن واقع المسلمين الاجتماعي اليوم يطرح كثيرا من المسائل على بساط البحث ليتصدى لها عدد من الدارسين الغربيين ليدرسونها بعيدا عن الخلفية الإسلامية التي تعد ضرورية لفهم طبيعة هذه الإشكالات المطروحة. وقد أصبح الواحد اليوم يندهش لتعدد مراكز البحث المختصة في أوروبا في شؤون الإسلام والمسلمين، مع غياب مذهل للباحثين المسلمين. بل إن حاجة المجتمعات الغربية نفسها إلى جهد فكري تعريفي بالإسلام يقتضي وجود مفكرين وباحثين أكفاء لتغطية فراغ كبير في هذا المجال الحساس.

إن هذه المتطلبات تحتاج إلى مؤسسات تعليمية شرعية متخصصة. وقد استشعر العاملون في الحقل الإسلامي هذه الحاجة وبخاصة في السنوات الأخيرة، فبادر اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، مستعينا بثلة من أهل الخبرة والاختصاص بإقامة أول مشروع تعليمي إسلامي على مستوى جامعي، وهو مشروع الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في فرنسا، التي انطلقت منذ بداية سنة ١٩٩٢، وهي تضم اليوم أكثر من مائتي طالب من مختلف الدول الأوروبية يتوزعون على ثلاث مؤسسات تعليمية وهي:

- كلية للشريعة وأصول الدين (دراسة جامعية لمدة أربع سنوات).
- معهد تكوين الأئمة والمدرسين (مدة الدراسة سنتان).
- معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (مدة الدراسة سنة واحدة مكثفة).

وقد وضعت الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في أوروبا، واعتمدت منهجا متميزا لتحقيق أهدافها، يقوم أساسا على المبادىء التالية:

أ - استقطاب الطلاب من المسلمين الأوروبيين ومن أبناء المسلمين المقيمين بشكل دائم في أوروبا، وهؤلاء يتحقق فيهم بشكل طبيعي شرط استيعاب الواقع الأوروبي، فإذا جمعوا إليه الاختصاص الشرعي



● أطفالنا في الغرب يتلقون مبادىء العربية والدين

تحقق لديهم التكوين المطلوب الذي يمكنهم من الوفاء بحاجيات المسلمين في أوروبا في مجال الدعوة والتعليم.

ب – العمل على تحقيق التكوين الشرعي العميق القائم على تدريس العلوم الشرعية من قبل متخصصين مع الأخذ بعين الاعتبار اشكالات الواقع الأوروبي وما يقتضيه من تسليط الضوء عليها من منظور شرعي واقعي. ويساعد على هذا وجود الكلية في مناخ أوروبي مما يجعلها متصلة اتصالا وثيقا بالبيئة الاجتماعية الأوروبية.

ولقد كان اختيار الكلية منذ نشأتها أن تعتمد منهجا تعليميا جادا، فقررت تدريس العلوم الشرعية باللغة العربية، حتى يتمكن الطالب من إتقان اللغة التي تجعله على اتصال مباشر بالمصادر والمراجع الإسلامية وعلى فهم القرآن بلغته التي نزل بها، وكذلك السنة النبوية بلغتها الأصلية.

بالإضافة إلى المواد الشرعية المقررة تدرس الكلية لطلابها مواد تكميلية تتعلق بتاريخ الحضارة الأوروبية ودراسة الأديان حتى يكون الطالب متمكنا من المعارف الضرورية التي تقتضيها ظروف بيئته وخصوصياتها.

ج – الجمع بين التعليم والتربية، فالطالب يتلقى من خلال المنهج التكوين الشرعي، ويتلقى من خلال المعايشة والبرامج العملية، والتربية الإسلامية، وبذلك يكون تكوينه متكاملا، ويكون أثره في الناس من خلال علمه، وكذلك من خلال سلوكه.

إن الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية تعد مشروعا في مجال التعليم الشرعي في أوروبا وهي تعمل على استيفاء عوامل الاستقرار المادي والمعنوي حتى تؤدي دورها العلمي والدعوي والتربوي.

وقد أنشئت في السنوات الأخيرة – إلى جانب الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية، كمؤسسة جامعية – بعض المعاهد المتخصصة في تحفيظ القرآن الكريم، وهي كذلك تؤدي دورا طيبا في تعليم كتاب الله للناشئة والشباب.

إن التعليم الشرعي يعد ضرورة، وتتأكد ضرورته بالنسبة للمسلمين في أوروبا، من أجل حفظ دينهم وحمايتهم من كل مظاهر الانحراف والغلو.

وبعد

فإن التعليم الإسلامي في أوروبا لا يزال – مع الجهود الطيبة التي ذكرناها – في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والرعاية والتطوير، ومما يعين على ذلك الأخذ بعوامل النجاح والتمكين، والتي من أهمها ثلاثة أمور:

أ – الحرص على أن يتصدى لقضية التعليم أهل الاختصاص والخبرة، لأن التعليم علم وفن لا يقبل الارتجال ومجرد الهواية.

ب – التمسك بالجدية والاتقان، وهذا شرط لكل عمل يروم النجاح والتفوق. وهذا الشرط يزداد تأكيدا للعاملين في الساحة الأوروبية. حيث إن طبيعة الحياة في هذه المجتمعات الأوروبية تقوم على التنظيم والدقة والاتقان، فلا يجوز أن يكون نصيبنا الفوضى والإهمال.

ج – العمل على إيجاد دعامة مالية ثابتة تجعل التعليم الإسلامي قائما على أساس من الاستقرار والثبات. ولعل في مشاريع الوقف التعليمي ما يساعد على تحقيق هذه الدعامة المالية الضرورية.. والحمد لله رب العالمين□

الأسرة المسلمة في أوروبا لا تؤدي في الغالب دورها التربوي تجاه الأبناء

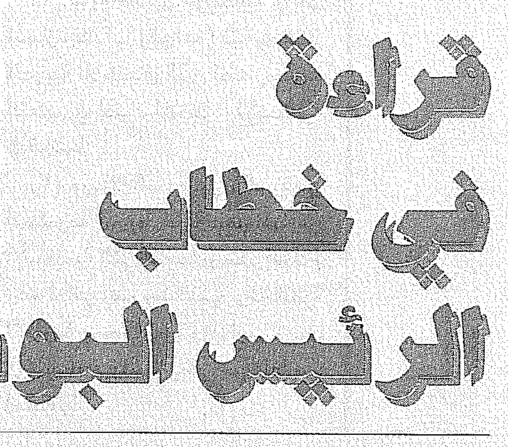
الهوامش:

(١) لا تقوم كل المراكز بتغطية المجالات الأربعة المذكورة، خاصة دروس التقوية، التي تقتصر على عدد محدود من المراكز، ويتفاوت الأمر بحسب كفاءة القائمين على التعليم.

(٢) من المبادرات الإيجابية في هذا المجال، كتاب (البراعم) لتعليم اللغة العربية للأطفال الذي أصدره قسم التعليم في اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا.

(٣) من الأمثلة على ذلك رفض الحكومة البريطانية دعم المدارس الإسلامية التي أقامها يوسف إسلام رغم توافر الشروط الفنية والتعليمية المطلوبة بحجة أن هذه المدارس توجد في أحياء فيها ما يكفي من المدارس لسكانها.

مداد القلم



بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان

في الوقت الذي تناقلت فيه أجهزة الإعلام أزمة الثقة الحاصلة بين قيادتي الصرب السياسية والعسكرية، تلقينا بالفاكس نسخة من خطاب الرئيس البوسني (علي عزت بيغوفيتش) كان قد ألقاه في وقت مبكر من الشهر الماضي في العاصمة الألمانية (بون)، أمام الجمعية الألمانية لشؤون السياسة الخارجية..

أهمية توقيت الخطاب

ولاتأتي أهمية الخطاب فقط من كون الرئيس البوسني النشط يحمل هموم بلاده ويتجاوز المحنة القاتلة – التي تكاد تؤدي إلى اليأس – ليبرهن للعالم كله على حيوية شعبه، وعدالة قضيته، وأحقيته في الاستقلال والوجود، وإنما تأتي كذلك من المكان والتوقيت، في وقت تعيش فيه أوروبا تفكير الاستقلال السياسي عن التبعية لأية قوة عالمية عظمى، وتستكمل فيه بناء الدولة الأوروبية الموحدة، ولألمانيا دور في أحداث البوسنة يكاد لا يخفى على المهتمين والمتابعين في الساحتين الإسلامية والدولية، وهناك من يراهن على دور أكبر لألمانيا على الساحة الدولية الخارجية، يفرضها حجم العلاقات الاقتصادية، والمصالح الألمانية الممتدة يمنة ويسرة..

وربما أضفنا أن الناس بطبيعتها ترغب بالتغيير، وتبحث عن البدائل بشكل دائم ومستمر، وربما لهذا السبب أمكننا القول إن الرئيس البوسني لم يفوت عليه فرصة مخاطبة الألمان – ومن خلالهم أوروبا – والعالم فيما سنعرض له لاحقا..

ومن الجدير بالذكر، أن جلسة ما يسمى بـ(برلمان صرب البوسنة) الأخيرة، كانت قد شهدت أزمة ثقة بين قيادتي الصرب العسكرية والسياسية، حين وجه نواب غاضبون انتقادات شديدة للجنرال (راتكو ملاديتش) بسبب هزائمه في شمال البوسنة، حيث حرر الجيش البوسني أراضي في جبهة (توزلا)، واستولى على برج اتصالات استراتيجي في جبل (فلاسيتش)، فقد ندد هؤلاء النواب الصرب الغاضبون بفشل (ملاديتش) في الاستيلاء على جيب (بيهاتش). وحمل (ملاديتش) مسؤولية هذه التراجعات على مشجب غياب الالتزام السياسي بشن حرب شاملة ضد الحكومة البوسنية..

بينما دعا زعيم صرب البوسنة (رادوفان كارازديتش) المجتمع الدولي الى التوقف فورا عن مساعدة المسلمين، إذا أرادوا تجنب إطالة أمد الحرب (!)..

وكان مرشح الرئاسة الأمريكي وزعيم الجمهوريين في الكونغرس (بوب دول) قد صرح بسعيه الى استصدار تشريع في الكونغرس لرفع حظر الاسلحة عن مسلمي البوسنة، نظرا لمواصلة الصرب رفض خطة مجموعة الاتصالات للسلام..

وضمن كل ما تقدّم، يمكننا فهم أهمية تحرّك الرئيس علي عزت، وإن كنا نشهد للدبلوماسية البوسنية انها لا تعتمد فقط على الوعود، وإنما تفعل كل ما يمكنها إعذاراً إلى الله وإلى الناس، في الوقت الذي لم تتوقف فيه أجهزة الدولة والمجتمع عن التحرك الجاد المثمر، على مختلف الأصعدة السياسية، والامنية، والاقتصادية، والاعلامية، والاجتماعية، والتعليمية، بالإضافة إلى هموم المهاجرين الذين يمرون بظروف صعبة للغاية، ويتعرضون لخطر مسخ ثقافتهم القومية، وشخصيتهم الإسلامية في بلاد الانتشار..

تصحيح أخطاء ومغالطات

لقد ابتدأ الرئيس البوسني خطابه بالتأكيد على تصحيح أفكار خاطئة في تصوّر الحل المناسب للمأساة البوسنية، فقال: (هناك فكرة ضالة واضحة أريد تصحيحها الآن.. لقد كان يقال: إن المجتمع الدولي لم يرغب (أو لم يقدر) أن يتدخل في الحرب الواقعة بالبوسنة والهرسك.. إن هذا القول ليس صحيحا. المجتمع الدولي قد تدخل في هذه الحرب، ولكن بشكل خاطيء، وهذا يجب ألا يُنسى. إنه تدخل بشكل فرض الحظر على الأسلحة، والذي لم يطبق فعلا إلا على الضحية. وبدل أن يدعمنا بتدخله العسكري، وأن يقوم بتسليحنا، قام العالم باتخاذ خطوات مخالفة لذلك تماما.. منع تسليح البلد المعتدى عليه، وبذلك حرمه من حقوقه الشرعية للدفاع عن نفسه).. إن منع البوسنة والهرسك من التسلح، يعني باختصار شديد ترك المذبحة كما يحلو للجلاّد، فالصرب استولوا على تجهيزات جيش يوغسلافيا السابق، بالإضافة إلى خطوطهم المفتوحة مع جمهورية صربيا، والتعاطف الذي يتلقونه من دول مجاورة وقريبة كاليونان، وحملات التبرعات العينية والمالية، والمتطوعين والمرتزقة، بينما يتم تضييق الخناق على البوسنة، بما في ذلك المساعدات الانسانية، وتبقى قوات

الأمم المتحدة أقرب إلى شهود الزور من أي شيء آخر، وجل ما تملك رفع التقارير، وتقديم الاحتجاجات، والتهديد بالانسحاب من المهمة الموكولة إليها (!)..

ولا شك أن جريمة بهذا الحجم، يتحمل مسؤوليتها العالم أجمع – كما ورد في كلمة الرئيس علي عزت – لأن قيام جمهورية البوسنة والهرسك كان باعتراف العالم من خلال (الأمم المتحدة)، ولأن الذي يحجر على البوسنة والهرسك عسكريا وأمنيا وتسليحيا هو العالم من خلال مؤسساته الدولية كمجلس الأمن، ويبقى كل تعاطف الإعلام مجرد كلام سرعان ما يتم نسيانه أمام القصف المكثف، وأعمال التصفية العرقية التي لا ترقب في صغير ولا كبير إلاً ولا ذمّة..

ويفنّد الرئيس المكلوم الحجة الواهية التي تحصّن بها القرار الدولي بمنع السلاح والعتاد عن أبناء البوسنة، فيقول: (إن التعليل الذي قُدّم مرارا كان كالآتي: فرض الحظر على الأسلحة للبوسنة ضروري، وإلا تكون الحرب طويلة ودموية.. والآن بعد أن مضى ثلاث سنوات من بداية الحرب علينا، لنا الحق في طرح سؤال: ألم تكن الحرب كافية من حيث طولها وسيلان دمها؟ أكان يمكن أن تكون أطول وأكثر سيلانا للدم على الإطلاق؟)..

ممارسات حاقدة وصمت مشبوه

لقد كشفت ممارسات الصرب وتعنّتهم ورفضهم المتكرر للقرارات الدولية في الهدنة أو الصلح أو التفاهم، ومراوغتهم – أحيانا – بهدف توظيف المفاوضات لتحقيق مزيد من المكاسب على الأرض، لقد برهن قادة الصرب وأعلنوا مرارا وتكرارا رفضهم لأي حل سلمي، إلا أن يكون محققا لكل خططهم في إزالة جمهورية البوسنة والهرسك ماديا ومعنويا، وإقامة صربيا الكبرى..

وهم في سبيل ذلك أحرقوا الأخضر واليابس، وارتكبوا الكثير من المنكرات والمجازر وعمليات الاغتصاب والتمثيل بجثث القتلى وقصف المتاحف والمدارس والمستشفيات والمخابز والأسواق العامة بهدف رفع عدد القتلى إلى حده الأعلى، وكانت كل مجزرة على أيديهم تتلوها مجزرة أشد وأنكى.. أما الاعتداء على مظاهر العمران والحضارة الإسلامية كتهديم المباني الأثرية التي لا مثيل لها، والجسور المصنفة في سجّل الآثار العمرانية والتاريخية الرائعة، وتقصّد هدم المساجد وإسقاط منائرها كلما سنحت الفرصة، خلال المعارك أو خلال فترات الهدنة المتقطعة، أمر لا يدعو إلى الاستغراب بعدما استباحت عصابات القتل والاغتصاب الإنسانَ نفسَه، وإن كان السؤال يرد عن موقف (العالم المتحضّر) الذي تسقط حكومات بعض بلدانه إن هي غضّت الطرف – مجرد غضّ الطرف – عن الاعتداء على حيوان مهدد بالانقراض!!

الأمر الذي يشير إليه الرئيس علي عزت في خطابه بقوله: (أحقا توقعتم أن أحداً يتجرأ في وسط أوروبا – وبعد فضائح (أوشفيس) و(غولاغ) – أن يقيم معسكرات الموت التي قتل فيها آلاف من الناس، وأن يقوم بتدمير المساجد والكنائس والمكتبات والمستشفيات وكل ذلك بـرباطة جأش وتخطيط مسبق مدبّر؟ حتى ولو كان هذا الحدس الأسود خطر ببال أحد منكم يوما؛ هل استطعتم أن تصدقوا بأن العالم المتحضر سوف يتفرج على ذلك سلبيا، ويغمض أعينه أمام هذه الإبادة الجماعية، والحرب العدوانية، والمعتقلات الجماعية، والتطهير العرقي، والطغيان الهمجي الشامل؟!)..

أعجوبة المقاومة البوسنية

ولكن الحرب بوجهها البشع ليست شراً كلها، فالمعاناة تجترح المعجزات أحيانا، وتدفع بالطاقة الإنسانية الكامنة إلى الظهور على الملأ وتحقيق ما نظنّه – للوهلة الأولى – مستحيلا.. فمن كان يصدّق أن الأجيال التي عاشت حياة أوروبية خالصة في الفكر والممارسة والقيم تسترد هويتها الإسلامية رغم أنف الخصوم.. ومن كان يظن ان الفئة القليلة المستضعفة المجردة من السلاح والعتاد يمكنها أن تقاوم ثلاث سنوات متواصلة، وتضرب أروع الأمثلة في الفداء والإخلاص في العمل وتبتكر من (تكتيكات) المعارك ما يستدعي دراستها، والاستفادة منها كخطط مبتكرة حديثة؟

لقد وقع هذا وأكثر منه، ويشير الرئيس بيغوفيتش إلى ذلك بقوله: (وفيما تخص هذه الحرب الرهيبة هناك ثلاثة امور تبقى دون أي شرح منطقي وعقلي وهي: الشر الهائل الذي أصاب البوسنة. وعدم مبالاة العالم تجاه هذا الهيجان من الشر. وأعجوبة مقاومتنا)..

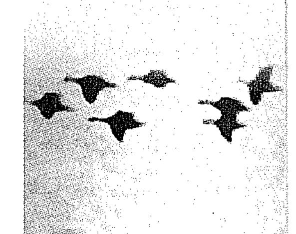
ويفسّر للسامعين أسباب المقاومة البطولية فيقول: (وفيما يتعلق الامر بمقاومتنا، ستكون يوما كل الحقائق عنها معروفة إلا أن مفتاح لغزها لن يكون بذلك محلولا، والسبب في ذلك ان مقاومتنا مبنية على المبادىء المعنوية القوية، أي المبادىء الروحية، والحقائق من هذا الصنف – عادة – تتعارض مع التحليل العلمي المحض).

هل تتحول المحنة إلى منحة؟ وهل يمكن تحويل المأساة إلى ضدها؟ إنّ تجربة صمود البوسنة والهرسك تؤكد دور العقيدة، والهدف، والممارسة، في صورة رائعة من الانسجام التام بين كل هذه الدوائر، كما أن وحدة الجبهة الداخلية، أهم عنصر من عناصر المقاومة والصمود، بالرغم من وجود بعض النفوس المريضة التي لم تخل منها أمة من الأمم..

وفي الذهن سؤال مقلق: أليس من المستقبح أن يحتفل العالم بذكرى الانتصار على النازية والفاشية ويقف متفرجا في جانب؛ ومشجعا في جانب آخر؛ للنازية الصربية الجديدة؟

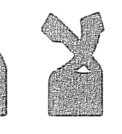
ويبقى الدرس البوسني شامخا كبيرا موحيا ومعطاء، لا يصح أن نقف منه موقف المتفرّج، ونبرر لأنفسنا التقصير، فكم من فرصة لا تتكرر، وكم من فائدة لا تعوّض، والعاقل من اعتبر بغيره وعمل لمستقبله ■

فنّد الرئيس المكلوم الحجة الواهية التي تحصّن بها القرار الدولي بمنع السلاح والعتاد عن أبناء البوسنة



لقد ذكر الفقهاء أن حكم الهجرة ليس واحدا في كل الأحوال والأزمان، وفرقوا بين حكمها قبل فتح مكة وبعده من جهة، وحكمها قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة وبعده من جهة أخرى، وحكمها الدائم الباقي إلى قيام الساعة. وبيان ذلك:

لا هجرة بعد الفتح



بقلم: أ.د. نزيه حماد

قال الإمام الشافعي: كان المسلمون مستضعفين بمكة زمانا، لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أذن الله عز وجل لهم بالهجرة، وجعل لهم مخرجا. فيقال نزلت ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق:٢]، فأعلمهم رسول الله ﷺ أن قد جعل الله لهم بالهجرة مخرجا. وقال تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾ [النساء:١٠٠]. وأمرهم ببلاد الحبشة، فهاجرت إليها منهم طائفة، ثم دخل أهل المدينة في الإسلام، فأمر رسول الله ﷺ طائفة فهاجرت إليهم، غير محرم على من بقي ترك الهجرة إليهم(١). (فكانت الهجرة في أول الإسلام مندوبا إليها غير مفروضة)(٢). وقال الشافعي: (ثم أذن الله تبارك وتعالى لرسوله بالهجرة إلى المدينة، ولم يحرم في هذا على من بقي بمكة المقام بها، وهي دار شرك، وإن قلوا بأن يفتنوا، ولم يأذن لهم بجهاد. ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد، ثم فرض بعد هذا عليهم أن يهاجروا من دار الشرك)(٣). وقال الشافعي: (ولما فرض الله عز وجل الجهاد على رسوله ﷺ، وجاهد المشركين، بعد إذ كان أباحه، وأثخن رسول الله ﷺ في أهل مكة، ورأوا كثرة من دخل في دين الله عز وجل، اشتدوا على من أسلم منهم، ففتنوهم عن دينهم، أو من فتنوا منهم، فعذر الله من لم يقدر على الهجرة من المفتونين، فقال: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل:١٠٦]. وبعث إليهم رسول الله ﷺ أن الله عز وجل جعل لكم مخرجا، وفرض على من قدر على الهجرة الخروج إذا كان ممن يفتن عن دينه ولا يمتنع)(٤).

وقال البغوي(٥): فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، أمروا بالهجرة والانتقال إلى حضرته، ليكونوا معه، ويتظاهروا إن حزبهم أمر، وليتعلموا منه أمر دينهم، وقطع الله الولاية بين من هاجر من المسلمين ومن لم يهاجر، كما قال جل ذكره: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ [الأنفال:٧٢]. وقد أكد هذا المعنى القاضي أبو الوليد ابن رشد حيث قال: (فكانت الهجرة إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة على من أسلم من أهلها واجبة مؤبدة، افترض الله عليهم فيها البقاء مع رسوله ﷺ حيث استقر، والتحول معه حيث تحول، لنصرته، ومؤازرته وصحبته، وليحفظوا عنه ما يشرعه لأمته، ويبلغوا ذلك عنه إليهم، ولم يرخص لأحد منهم في الرجوع إلى وطنه، وترك رسول الله ﷺ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «لا يقيمن مهاجر بمكة بعد قضاء نسكه فوق ثلاث»(٦)، خص الله بهذا من آمن من أهل مكة بالنبي ﷺ وهاجر إليه، لتتم له بالهجرة إليه – والمقام معه، وترك العودة إلى الوطن – الغاية من الفضل الذي سبق لهم في سابق علمه، وهم الذين سماهم الله بالمهاجرين، ومدحهم بذلك، فلا ينطلق هذا الاسم على أحد سواهم)(٧).

«لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة» [حديث شريف]

هل انقطعت الهجرة بفتح مكة؟

لقد رويت أحاديث متعارضة في هذه المسألة، بعضها يدل على أن الهجرة انقطعت بفتح مكة، مثل ما روي البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جها دونية»(٨). وما روى البخاري أيضا أن عبيد بن عمير سأل عائشة عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية(٩).

وما روى البخاري ومسلم عن مجاشع بن مسعود قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة، فقال ﷺ: «مضت الهجرة

لأهلهـا، أبـايعـه على الإسـلام والجـهـاد»(١٠). أما البعض الآخـر من الأحاديث فيـدل على أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة، مثل ما روى أبـو داود والنسـائي وأحمد من حديث معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجـرة حتى تنقطع التـوبـة، ولا تنقطع التـوبـة حتى تطلـع الشمس من مغربها»(١١). ومـا روى أحمد من حـديث ابن السعـدي عن النبي ﷺ قال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل»(١٢). وما روى أحمد أيضا من حـديث جنادة بن أبي أمية عن النبي ﷺ قـال: «وإن الهجـرة لا تنقطع ما كان الجهاد»(١٣).

وقـد اختلفت طـرائق الفقهـاء في الجمع بين الأحاديث المتعـارضة في القضية وتأويلها على ثلاثة مذاهب:

أحدهـا: أن الهجرة كـانت في أول الإسلام منـدوبا إليهـا، ثم فرضت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فلما فتحت مكـة ارتفع وجوب الهجـرة، وعـاد الأمـر فيهـا إلى النـدب والاستحبـاب. فهما هجـرتـان: المنقطعـة هي المفروضـة، والباقيـة هي المندوبة(١٤). وهو قول الإمام الخطابي والملا علي القاري.

والثـاني: أن الهجرة من مكـة إلى المدينة ارتفعت يـوم الفتح، لأن مكة صـارت يـوم الفتح دار إسـلام، وكانت الهجرة عنها قبل ذلك واجبة، لكـونها مسـاكن أهل الشرك، فمن حصل عليهـا فـاز بها وانفـرد بفضلها دون من بعدهـم، وهذا هو الغـرض الـذي سقط. أمـا الهجـرة الباقية الدائمة إلى يوم القيامة، فهي هجرة من أسلم بدار الكفر، إذ يلزمه ألا يقيم بها حيث تجري عليه أحكام الكفـار، وأن يهاجـر ويلحق بـدار المسلمين، حيـث تجري عليـه أحكامهم(١٥). إلا أن هـذه الهجرة لا يحرم على المهاجر بها الرجوع إلى وطنه إن عاد دار إسـلام، كما حرم على المهاجرين مـن أصحاب رسول الله ﷺ الرجوع إلى مكـة للذي ادخره اللـه لهم من الفضـل في ذلك(١٦). وهذا هو قول جماهير أهل العلم.

وقـد تـوسع بعض أصحـاب هـذا المذهب في دواعي الهجـرة البـاقيـة، فقـال: (إن مفارقـة الأوطان إلى اللـه ورسـولـه التي هي الهجـرة المعتبرة الفـاضلـة المميزة لأهلهـا من سـائر النـاس امتيازا ظـاهـرا انقطعت، لكن المفـارقـة من الأوطـان بسبـب نيـة خالصة لله تعالى، كطلب العلم والفرار بدينه من دار الكفر ومما لا يقام فيها الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، وزيـارة بيت الله وحـرم رسول اللـه والمسجد الأقصى وغيرهـا، أو بسبب الجهـاد في سبيل اللـه بـاقيـة مـدى الدهر)(١٧).

والثالث: أن الهجرة الفـاضلة التي وعد اللـه عليها بـالجنة، كـان الرجل يأتي النبي ﷺ، ويدع أهلـه وماله، لا يرجع في شيء منه، انقطعت بفتح مكة. أمـا الهجـرة البـاقيـة فهـي هجـر السيئـات(١٨)، حيث روى أحمد في مسنـده عن النبي ﷺ قال: «الهجـرة خصلتـان: إحـداهما أن تهجـر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبـة، ولا تزال التوبة مقبـولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كـل قلب بما فيـه، وكفي الناس العمل»(١٩).

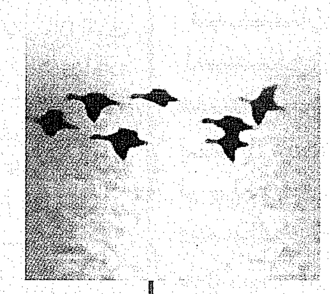
وروى ابن ماجة من حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قـال: «المهاجر من هجـر الخطايـا والذنـوب»(٢٠)، وروى أبـو داود عن النبي ﷺ قـال: «والمهـاجـر من هجـر مـا نهى اللـه عنـه»(٢١). وروى أحمد من حـديث عبـد الله بن عمـرو بن العاص قـال: جـاء اعـرابي جاف جـرئ، فقـال: يـا رسـول الله، أين الهجـرة؟ إليك حيث كنت، أم إلى أرض معلـومـة أم لقـوم خـاصـة؟ أم إذا مت انقطعت؟ قـال: فسكت رسـول اللـه ﷺ سـاعـة، ثم قال: «أين السائل عـن الهجرة؟» قال: ها أنذا يارسـول الله. قال:«إذا أقمت الصلاة وآتيت الزكـاة فأنت مهاجر، وإن مت بالحضرمـة» – يعني أرضا باليمامة. وفي روايـة أخرى: «الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة وتـؤتي الزكاة، ثم أنـت مهـاجـر وإن مت بالحضر»(٢٢).

على أن وجـوه التأويل والجمع بين الأحاديث المتعارضـة في المسألة وإن اختلفت حسب ما عرضناه، فقد اتفق جماهير الفقهـاء على أن الهجرة بعـد الفتح باقيـة دائمة إلى قيام السـاعـة. وهو قول عامة أهل العلم(٢٣). وإن كـان بينهم ثمـة اختلاف في حكمهـا التكليفي ودواعيها الشرعية■

كـان المسلمـون مستضعفين بمكـة زمانـا، لم يـؤذن لهم فيه بالهجرة منهـا، ثم جعـل لهم مخرجا

الهوامش:

١) الأم للشافعي ٤/٨٣، ٨٤.
٢) معالم السنن للخطابي ٣/٣٥٢.
٣) الأم ٤/٨٤.
٤) الأم ٤/٨٤، وانظر معالم السنن للخطابي ٣/٣٥٢، أحكام القران للشافعي ٢/١٦.
٥) شرح السنة للبغوي ١٠/٣٧٢.
٦) رواه مسلم في صحيحه ٢/٩٨٥.
٧) المقدمات الممهدات لابن رشد ٢/١٥٢.
٨) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٨، صحيح البخاري مع الفتح ٦/٣٧.
٩) صحيح البخاري مع فتح الباري ٧/٢٢٦.
١٠) انظر طرح التثريب للحافظ العراقي ٢/٢٣.
١١) مسند أحمد ٤/٩٩، مختصر سنن أبي داود للمنذري ٣/٣٥٢، طرح التثريب ٢/٢٣.
١٢) مسند أحمد ١/١٩٢، وانظر عمدة القاري ١١/٣١٨، الأموال لأبي عبيد ص٢٤٩.
١٣) طرح التثريب ٢/٢٣، عمدة القاري للعيني ١١/٣١٨.
١٤) معالم السنن ٢/٣٥٢، مرقاة المفاتيح ٤/١٨٢.
١٥) شرح السنة للبغوي ٧/٢٩٥، ١٠/٣٧٣، مرقاة المفاتيح ٤/١٨٢، المقدمات الممهدات ٢/١٥٣، عارضة الأحوذي ٧/٨٨، نيل الأوطار ٧/٢٦، النووي على مسلم ١٣/٨، عمدة القاري ١١/٣١٧، فتح الباري ٦/٣٩، ٧/٢٢٩، المغني لابن قدامة ٨/٤٥٦.
١٦) المقدمات الممهدات ٢/١٥٣.
١٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/١٨٢، الكشاف للزمخشري ١/٢٩٤.
١٨) طرح التثريب ٢/٢٣.
١٩) عمدة القاري ١١/٣١٨، طرح التثريب ٢/٢٣.
٢٠) عمدة القاري ١١/٣١٨.
٢١) مختصر سنن أبي داود للمنذري ٣/٣٥٣.
٢٢) طرح التثريب ٢/٢٤.
٢٣) المبدع لبرهان الدين ابن مفلح ٣/٣١٤، المغني لابن قدامة ٨/٤٥٦.



الحياة الصالحة رهن بذاكرة واعية، فحياة الفرد تتجه نحو العزة والقوة، وتحقيق الأهداف المأمولة، طالما يملك يقظة تضع أمامه التجارب السابقة، فيتلافى أخطاءها، كما تجسد أمامه صور النجاح الماضية له أو لغيره، فيلتمس القدوة منها. وسنة الله في الأمة هي سنته في الأفراد ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ [الفتح/٢٣].

ماذا أعددنا لمستقبل أمتنا؟

لابد لأمتنا أن تصطنع لنفسها مسلكا آخر تواجه به ذكريات الأمجاد

فمسيرة الأمة على النهج الصحيح والخطة الراشدة، متوقف على مدى استفادتها مما مر بها أو بغيرها من تجارب مؤثرة في عصورها الخالية.

ومن هنا كان لزاما على أمتنا المسلمة أن تتعامل مع أمجادها التاريخية بصورة تجعلها تتخذ منها الحافز على الجهاد، والدافع إلى الالتزام بالقيم والمبادىء التي أرست أمجاد الأسلاف.

حاضر الأمة وماضيها

والأمجاد التاريخية في مسيرة أمتنا المسلمة كثيرة وعظيمة، وفي منهج الإسلام الدعوة إلى أن يكون حاضر الأمة موصولا بماضيها، وأن نضع نصب أعيننا أخطاء السابقين لنتلافاها، كما نعمل بجد وعزم لإحراز مجد كالذي أحرزوه، وقد قال رب العالمين: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [الأنعام/١١]. كما قال سبحانه لنبيه: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام/٩٠]. وقال للأمة

بقلم:

أ.د. السيد رزق الطويل

الخاتمة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب/٢١].

ومن الأمجاد التي يحفظها تاريخ أمتنا، ويتردد ذكراها – كلما حل ميقاتها الذي وعاها في سالف الزمان – الهجرة المباركة للرسالة الخاتمة والرسول الكريم ﷺ من مكة إلى المدينة.

لقد تعودنا أن نذكرها مع بداية العام الجديد، ومشرق هلال المحرم، وإن كانت أحداثها الكبار وقعت في شهر ربيع الأول، وأيًا ما كان الأمر، فالذي يعنينا هو أسلوب الذكرى، إذ هو الذي يجعل من هذا الحدث مصدر عطاء سخي، يبعث في الأمة الهامدة الحياة والحيوية، ويصلها وصلا قويا بمصادر القوة والاعتزاز.

فماذا ينبغي لنا أن نفعل؟

إن حدث الهجرة غير مسيرة التاريخ الإنساني. إنه جعل للدعوة المضطهدة دولة قائمة امتد عطاؤها بالهداية والبر إلى مشارق الأرض ومغاربها. ومضى عليها الآن حين من الدهر، تجاوز أربعة عشر قرنا.

ولابد لنا من وقفة أمام هذه القرون الخالية، نتعرف منها حساب الكسب والخسارة. وأسباب الكسب وعوامل الخسران.

لقد سار المسلمون – في عصر نبيهم الكريم ﷺ وفي عصر الخلفاء الراشدين من بعده – على طريق الدعوة، والعمل الإسلامي بروح الهجرة، فكانوا كما أراد لهم الله خير أمة أخرجت للناس.

وأعني بروح الهجرة ما ارتبط بأحداثها من قيم ومبادىء. منها: ضرورة التضحية في سبيل المبادىء والقيم، وأن الإيمان الصادق بذل وعطاء، ومنها أهمية الأخذ بالأسباب، وتدبير الخطة الراشدة التي تنبع من الإيمان بالسنة الكونية، ومنها الثقة في الله تبارك وتعالى، واليقين بوعده. ومنها صدق

الصحبة، والوفاء بالتزاماتها. ومنها أن السلوك الديني بما يتسم به من استقامة ورشد هو في منهج الإسلام يشمل أوامر الدين، وأمور الدنيا جميعا.

كانت هذه القيم كلها مددا زاخرا تعلم منه النبي ﷺ وصحبه الأبرار الكثير الكثير على طريق الجهاد والنضال.

نصر وتأييد حتمي

ومن أجمل ما علمه القرآن الكريم لأصحاب النبي ﷺ هذا الدرس من دروس الهجرة، وخلاصته التأييد الحتمي من رب العالمين لنبيه الكريم.

كان ذلك في غزوة تبوك، هذه الغزوة التي أحاطت بها ظروف صعاب، حتى سمي الجيش الذاهب للغزو جيش (العسرة)، وتخاذل بعض الناس تحت بواعث الحر الشديد، وعدم توافر المؤن، مما جعل كثيرا من المالكين ضنينا بما عنده.

وهنا يأتي الدرس للمتخاذلين - سواء منهم المنافقون والصادقون - يعلمهم أن تخاذلهم لن يحجب النصر عن نبيه، وأمامهم درس الهجرة، لقد انتصر الله لنبيه وصاحبه وهما في الغار وأحاطت بهما قريش، وصرفهم الله عنهما، وهو اللطيف الخبير، قال سبحانه: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [التوبة/ ٤٠].

إنه درس حرك - بلا ريب - ذاكرة الأصحاب، إلى أن يضعوا نصب أعينهم ما مر بهم من أحداث، وليقوموا سلوكهم في دنياهم على هذا الأساس، سواء فيما يتصل بعلاقتهم بالله تبارك وتعالى أم بعلاقتهم بالناس.

وتوالت الانتصارات في ظلال قيم الهجرة، ولا سيما أن النبي ﷺ علمهم أن الهجرة بعطائها الذي لا ينضب، لم تتوقف بعد فتح مكة، وإنما هي مستمرة على نحو آخر، هو العمل الصادق، والجهاد الواعي، والنفرة دفاعا عن الحق وذودا عن حماه، وصيانة للقيم والمبادىء التي جاء بها الدين الحق، فقال ﷺ:

«لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» [رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم].

وبلغت دعوة الإسلام المشارق والمغارب، ثم ران على القلوب وباء التخاذل.

مؤمنون بلا عطاء

وأصبحنا مؤمنين بلا عطاء. متوكلين بلا عمل ولا خطة. فنسينا السنّة الكونية، وتعلقنا بالدجل والأوهام، ضعفت ثقتنا بالله، فتخلينا عن شريعته السمحة، ورحنا نستورد النظم البشرية من هنا وهناك.

وضاعت قيم الهجرة فضاع معها من أمتنا معاني الكرامة والقوة والاعتزاز، وليس من حقنا أن ننسى، وما ينبغي لنا أن نكون على هذه الغفلة، وذكرى الهجرة تصافح الآذان، وتطوف بالأذهان كل عام.

لكن ذكرانا لها هزيلة وعليلة، إنها مجرد كلمات نسمع بها حكاية الهجرة التي تهز مشاعرنا لحظة، وينتهي الأمر، وننصرف وكأن لم يحدث شيء، أو كأن لم يتردد في الخاطر أمر حدث عظيم. ولأجل ذلك، ولكي تستفيد أمتنا من ذكريات أمجادها، لابد لها من أن تصطنع لنفسها مسلكا آخر، تواجه به ذكريات الأمجاد.

ماذا علينا أن نفعل؟

وعلينا أن نسأل أنفسنا في صراحة وصدق: ماذا علينا أن نفعل ونحن في رحاب ذكرى الهجرة؟

نحن مطالبون بعمل نقدمه، إن كنا أمة حريصة على استعادة قوتها وكرامتها.

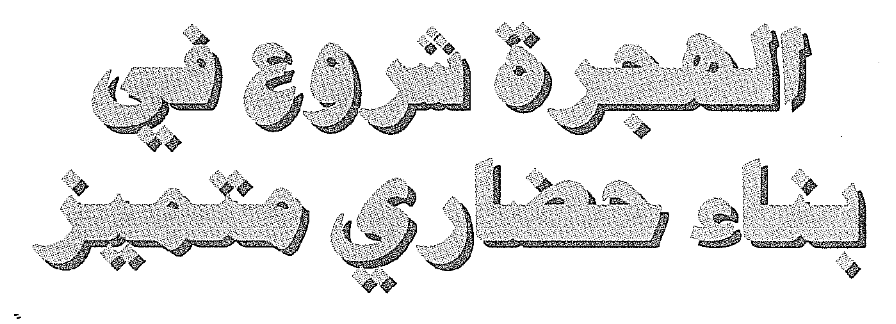
الإيمان عطاء وبذل.. فهل نحن على استعداد للتخلي عن أهوائنا لتستعيد أمتنا وحدتها وتماسكها. هل لنا أن نعلن استمساكنا بشرع الله وحكمه وبقيم الدين الحق وسلوكياته ليمنحنا الله النصر الذي وعد به المؤمنين؟

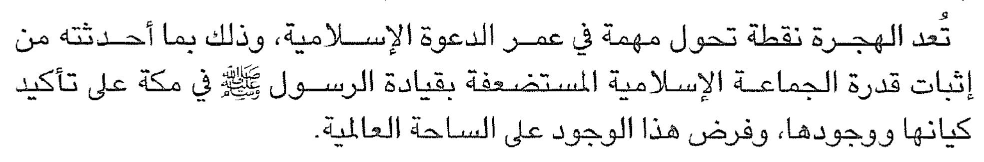
التخطيط والأخذ بالسنة الكونية منهج إسلامي، وهو من قيم الهجرة، فهل نحن على استعداد للتخلي عن العشوائية والاتكالية واللا مبالاة في مواجهة النكبات العظام والأحقاد السوداء التي تراد بأمتنا.

هل لأمة الإسلام أن تجتمع مع ذكرى الهجرة على جديد مفيد يقوم المسيرة ويهديها سواء السبيل. أقول هذا وربي من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل■

الهجرة بعطائها الذي لا ينضب لم تتوقف بعد فتح مكة

ملف العدد




تُعد الهجرة نقطة تحول مهمة في عمر الدعوة الإسلامية، وذلك بما أحدثته من إثبات قدرة الجماعة الإسلامية المستضعفة بقيادة الرسول ﷺ في مكة على تأكيد كيانها ووجودها، وفرض هذا الوجود على الساحة العالمية.

بقلم: مصطفى أحمد قنبر

ولما كانت الفرصة غير مواتية لهذا الحدث الخطير في مكة، فإن الله تبارك وتعالى جعل لهم مخرجا، عندما أذن للرسول ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة في توقيت مناسب، ممهّد له قبل ذلك، حين التقى الرسول ﷺ ببعض أهل يثرب (المدينة) في بيعتي العقبة الأولى والثانية، والذين عاهدوه على الإيمان الصادق، ونشر الإسلام بين أهليهم، وكان مصعب بن عمير - رضي الله تعالى عنه - أول سفير إسلامي من قبل الرسول ﷺ يفقه أهل المدينة في الدين، ويمهد لقدوم الرسول ﷺ والمهاجرين.

لقد نجحت الهجرة بفضل الله أولا، ثم بفضل تكاتف العناصر الداخلية والخارجية، في مكة، في الطريق بين مكة والمدينة، في المدينة، والتي أشرف - أعظم القادة وخبراء التخطيط - عليها الرسول ﷺ.

الهجرة نقطة تحول مهمة في عمر الدعوة الإسلامية

فكانت حقا خطوة رائدة في وضع أسس لبناء حضاري متميز عما سبقه من أبنية حضارية لم تكن لها مرتكزاتها التي تمكنها من القدرة على البقاء والصمود في مواجهة الغير وعبثها، مما جعل هذه الحضارات تموت، وتصبح أثرا بعد عين، وتاريخا يدرس لتؤخذ منه العبرة والعظة. وذلك على العكس من حضارتنا الإسلامية الشامخة عبر العصور، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بمبادئها ومرتكزاتها الراسخة النابعة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي».

هذا البناء المتميز لم يكن في استطاعته أن يُشيد في مكة، وذلك بسبب المقاومة العنيفة لأهله ومؤسسيه، لذا جاءت آيات القرآن في هذا الوقت (قبل الهجرة)، وفي هذا المكان (مكة) لترسي أهم وأكبر أسس هذا البناء، وهو التوحيد الخالص بجميع البراهين العقلية، والأدلة المنطقية.

ولما كان موقف كفار قريش سلبيا من هذه الأدلة الدامغة، وأخذ هذا الموقف شكلا عمليا تجاه حاملي لواء هذا البناء الجديد، كانت الهجرة بإذن الله تعالى من مكة إلى المدينة، حيث يمكن إقامة هذا البناء الفريد بعد أن تم غرس أهم مرتكزاته (التوحيد الخالص)، في صدور من سيقوم على أكتافهم من المهاجرين والأنصار.

أخوّة إنسانية

وفي المدينة - ذلك المجتمع الجديد نسبيا على المسلمين المهاجرين - أقيمت أولى دعائم البناء الحضاري للأمة الإسلامية.

وكان الدستور الرباني (القرآن الكريم) بما أنزل منه في المدينة واضحاً في صياغة لبنات هذا البناء الذي يعد من إحدى سماته محو العنصرية والقبلية: فلا عبرة للألوان أو الأجناس أو الغنى أو الفقر، فالكل سواسية تحت راية التوحيد.

ولقد أعطت هذه المساواة مفهوما جديدا لمعنى الأخوة

والإنسانية في نطاقها الواسع: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر/٨و٩].

وهكذا رسم القرآن أحد معالم البناء الحضاري للأمة الإسلامية.

هذا ولم تقف حدود هذا البناء بمفاهيمه وأسسه العديدة عند مكة والمدينة، أو عند الجزيرة العربية، بل امتد ليشمل العالم بأسره انطلاقا من عالمية الرسالة: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء/١٠٧]، فكانت كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء.. وكانت كذلك الفتوحات المتوالية في جميع عصور الدولة الإسلامية.

وبنظرة إلى الحوار الذي دار بين سعد بن أبي وقاص – قائد الجيوش الإسلامية – ورستم – قائد جيوش الفرس – ندرك مدى تشرب الصحابة والقادة المسلمين عبر العصور لمفهوم الإنسانية الذي يعد مرتكزا مهما في البناء الحضاري، فقد قال سعد إجابة عن سؤال رستم، ما الذي جاء بكم أيها العربي إلى بلادنا؟ فقال: جئنا لنخرجكم من الظلمات إلى النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد أرسل رسولنا ﷺ إلى الناس كافة(١).

عوائق في طريق البناء

كانت المدينة هي الأرض الخصبة لإقامة هذا البناء، ومنها انطلقت دعائم هذا البناء في جميع الأرجاء، برغم بعض الإشكاليات التي كانت تحول – بين الحين والحين – بين البناء بأسسه النظرية، وتطبيقاته العملية.

هذه الإشكاليات لم تكن بالدرجة الهينة، فقد كان المشركون من قريش يتربصون بالمسلمين من المهاجرين والأنصار الذين تلاحموا وكونوا كيانا متماسكا، خاصة بعد أن تعرضت إحدى قوافلهم للخطر من قبل المسلمين في المدينة، فكانت غزوات بدر، وأُحُد، والأحزاب أبرز الأدلة على إحساس قريش بخطورة البناء الجديد على أبنيتهم الهشة.

وكان الخطر الداخلي في المدينة أشد، فقد كان يعمل في الخفاء (اليهود والمنافقون)، يحاولون بشتى الطرق هدم هذا البناء من أهم أسسه وهم المسلمون، وذلك بإشعال نار الفتنة بينهم، بعدأن ألّف الله بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخوانا، ولا يغيب عن الأذهان ما كاد يحدث من قتال بين المسلمين من الأوس والخزرج، فقد تصعد الموقف، لولا أن الرسول ﷺ تدارك ذلك بحكمته، وأنهى هذا الخلاف.

بناء متميز

وقد تكامل البناء الحضاري للجماعة الإسلامية في المدينة المنورة، فكان حقا بناء متميزا لم تعهده الحضارات السابقة ولا اللاحقة. فكان الرسول ﷺ هو القائد، والمسلمون هم الجيش المدافع عن هذا البناء، والقرآن هو الدستور والحكم في جميع الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسلوكية.. هذا الدستور الذي يتمتع بالمرونة والحيوية والتقدمية، فضلا عن الانصياع لكل ما فيه من أوامر ونواهٍ.

والمسجد برلمان المسلمين، فيه يتشاورون ويرسمون الخطط، وفي رحابه يدرسون ويتعلمون، فتخرج منه جميع العناصر الإيجابية المساهمة في تدعيم هذا البناء، وتعميق مفاهيمه ومرتكزاته المتباينة ماديا وفكريا.

وكانت الشورى هي النظام الذي يشيد عليه العمل الإداري داخل هذا البناء الفريد.. وذلك فيما دون الوحي، فلا اجتهاد مع وجود النص الصريح.وهكذا كانت الهجرة الانطلاقة الأولى نحو بناء حضاري متميز للأمة الإسلامية، فهلا تمسكنا بأسس هذا البناء، حتى نحافظ عليه شامخا عاليا كما عهدناه إن لم يكن في استطاعتنا تعليته، نسأل الله تعالى التوفيق والعون ■

أعطى الإسلام (المساواة) مفهوما جديدا لمعنى الأخوة والإنسانية في نطاقها الواسع

الهوامش:

١) سعد بن أبي وقاص، عبد السلام العشري، وزارة التربية والتعليم، مصر، ص٨٢. وراجع مقالا منشورا للكاتب في مجلة الجيل، العدد١٩٦، الرياض.

ملف العدد

خواطر حول الهجرة النبوية الشريفة



ونحن على مشارف عام هجري جديد، وفي رحاب ذكرى الهجرة النبوية التي يجب أن نضع أحداثها أمام بصائرنا. فالهجرة يجب أن تكون للتفكر لا للتذكر ويجب أن نتأسى بها دون الحديث عنها وأن نتخذ منها مشكاة تكشف لنا طريق الكرامة والعزة.

الهجرة للتفكر لا للتذكر.. وللتأسي لا للتسلي.. هي مشكاة تكشف لنا طريق الكرامة والعزة

بقلم:

د. إبراهيم سليمان عيسى

وفي الهجرة أكثر من معنى يسجله الدارسون. وكلما أوغلوا في دراستها مثل أمامهم محكم الآيات لمعاني الرجولة والإباء والتضحية والفداء. والإخلاص لدين اعتنقوه. وإيمان بالغ لما سلكوه. فلم يرضوا بوصمة التخلف عن المهاجر الأعظم، أو الاستخذاء لمن يصدون عن الدعوة، بل انطلقوا معه في متاهات المخاوف والأخطار والبعد عن الديار ليبلغ بهم القدر ما هو بالغ، وسواء عليهم أهلكوا أم نجوا وقربوا من أهليهم أو بعدوا، أيسروا أو أعسروا. مادام أمر الهجرة منطلقا لدعوة الله والرضا بما قضاه، نعم، اتجهوا نحو مستقبل مبهم لا يدرون ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان: بضمير مبتهج ووجه وضاء وإيمان يزن الجبال ولا يطيش، فطالما كان الإيمان الناضج يحيل البشر إلى خلائق تسامي الملائكة سناء ونضارة، والعزيمة المضطرمة لا يخمد التهاون وقودها ولا تميل بالعازم في سبيلها.

وامتد خط الهداية من مكة إلى يثرب وحمل هذا الرعيل أثقال الدعوة والدفاع عنها، بقوة لا تتجاوز الحق وهيبة لا تقتحم المظلوم.. وكانت التضحيات وكان البذل. وكان الارتفاع عن أدران التراب وأوضار الانتقام والتشفي، ويوم كان النصر رأيت الصفح ورأيت استذكار المودة. إذ كان هذا الرعيل من السابقين بإحسان هو الدم الدافق الذي جرى في شريان من أتى بعدهم من كرام الآباء. فحلق بهم في سماء المجد فأطلوا على العالم ليحرروه من غوايته ويرفعوه من كبوته ويكشفوا عنه غمة الخرافة والوهم ويفتحوا بصائره للعلم والفهم. وعلى الأثر انطلق الناس في معارج السمو إلى الدخول في دين الله بنفس راضية لا يخامرها اضطراب، ولا يدنسها تبذل أو ارتياب.

يمر حدث الهجرة النبوية المباركة على المسلمين كل عام، فيتذكرون خطوات النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وقد سبقه كثير من أصحابه الذين أسلموا مبكرين إلى هذا الوطن الجديد، وقد أصبح بالنسبة لهم وطنا ثانيا أحبوه كحبهم لوطنهم الأول بل أشد، لقد أصبحت المدينة فعلا هي الوطن الأم بالنسبة لهم، فإذا ما ذهبوا إلى مكة أسرعوا عائدين منها إلى المدينة بعد انتهاء عمرتهم أو حجهم أو زيارتهم، واعتبروا أنفسهم في حالة سفر - لا إقامة - في أثناء وجودهم بمكة.

ولقد كانت الهجرة شرطا من شرائط الإيمان، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ [النساء/ ٨٩]. وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ [الأنفال/ ٧٢].

تضحية واستشهاد

روى الإمام البخاري، قال: «حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان. حدثنا الأعمش، قال: سمعت أبا وائل يقول عدنا خبابا، فقال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه.. فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه

ونجعل على رجليه شيئا من إذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها (يقطعها). فأي درس يلقيه مصعب على الدنيا وأي فداء وأي تضحية.

إن «مصعبا» كان ذا مال فانفقه وأمسى فقيرا، لا يجدون ثوبا يغطي جسده. إنه فقر لا تناله المعاني النفسية التي تعلو بعرض من الدنيا وتنزل بعرض. إذ ما كان «بمصعب» من حال يرمقها المال، ولا كان يتقلب بين طمع أدرك أو طمع أخفق بل كان جديرا بأن تلتفت الإنسانية إلى مثل تاريخه، تسأله درسا من الكمال الإنساني. إن «مصعبا» يلقي درسا بأن الروح خلود وبقاء والمادة فناء وتحول فماله وهذه الدنيا وغرورها باطل ونعيمها زائل.

وروى الترمذي عن علي: دخل علينا «مصعب بن عمير» وما عليه إلا بردة مرقوعة بفروة. وقد نشأ في سعة من العيش وثروة من المال. فبكى رسول الله ﷺ لما رأى الذي كان فيه من النعم والذي هو فيه اليوم، ويتحدث الرسول ﷺ عنه وقد حمل إليه قتيلا في أحد «لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك. ثم أنت مشعث الرأس في بردة». ثم أمر به أن يقبر.

فلم يجد الصحابة لمصعب إلا نمرة (إزار من صوف مخطط) كفن بها، فكان الصحابة إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطوا رجليه بدا رأسه فأمرهم رسول الله ﷺ أن يغطوا رأسه وأن يجعلوا على رجليه شيئا من إذخر (نبات طيب الرائحة) وهكذا كان مصعب يحارب في بدر ويحمل اللواء في أحد ويثبت في المعركة ثبوت الرجال ثم يقتل ويفارق الدنيا. أكبر مجاهد وأخلص داعية وأكرم مهاجر.. ثم يكرمه الله فلا ينال من الدنيا حتى الكفن السابغ الذي يلف بدنه. وقد أنفق ماله في سبيل الله وكان داعية للإسلام في «طيبة» مهجر رسول الله ﷺ.. ثم يلقى ربه وقد غطى رأسه بنمرة بالية ورجليه ببعض حشائش الأرض.

ولكنه بات خالداً مع الخالدين وكان في حياته ومماته أسوة للمتبصرين فهل إذا كان مثل مصعب استبقى حياته ولم يغز ولم يهاجر، أفكانت هذه الحياة الناعمة تساوى مثقال خردلة مما قام به موته من خلود الذكر وعظم المثوبة؟ وإذا كان استبقى ماله وكفن بالديباج والحرير ونقشت على قبره الآيات والأساطير.. أكان يقوم هذا بتلك الميتة وهذا الكفن القصير الذي يبلي الزمان ولا يبلى؟

وجوب الهجرة

والهجرة بمعنى ترك الوطن كانت واجبة في أول الإسلام، وكانت دليلا على صدق المسلم – كما ذكرنا – فلما فتحت مكة وتوطد أمر الدين، نادى النبي ﷺ بـ«ألا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وبقي معنى الهجرة الروحي، وهو أن يهجر الإنسان المعاصي ويترك النواهي، وينأى بجانبه عن كل ما يغضب الله وهذا يفهم من «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وهذا المعنى قد استنبطه الذوق الإسلامي الرفيع الذي أضفى على الكلمات معاني جديدة، وألبسها أثوابا روحية تفيض نوراً وجلالا، فالمسلم هو الذي يسلم الإنسان من لسانه ويده، والمؤمن هو الذي يأمنه الناس على أموالهم وأعراضهم، وكذلك المهاجر هو الذي يهجر المعاصي والآثام ويألف الطاعات وأحكام الإسلام.

وقد جاء في ذلك حديث شريف رواه أنس – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه». [الحديث في مجمع الزوائد: ج١ ص ٥٤٠، باب الإسلام والإيمان، وأخرجه أحمد في مسنده، وأبو يعلى، والبزار وهو في جمع الجوامع برقم ١١٥٨١/٢١ ج٢ ص ٥٩٣].

استجابة الصحابة لأمر الهجرة

وقد استجاب المسلمون لأمر الله إياهم بالهجرة، فقد كان الله ورسوله ﷺ أحب إليهم مما سواهما، وكان الدين في نفوسهم أحب إليهم من الأهل والمال والوطن، بل أعظم من الدنيا بأسرها، حتى أقبلوا على الشهادة يطلبونها راغبين راضين، مصدقين الله تعالى في قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة/١١١]..

وأخذوا يهاجرون جماعات جماعات لا يحبس الرجل منهم عن الهجرة إلا عائق فوق إرادته، وإنه ليأسى لذلك..

كان نعيم بن عبد الله النحام من بني عدي بن كعب من المسلمين الأوائل، أسلم بعد عشر أنفس، وكان يكتم إسلامه. فلما هاجر النبي ﷺ أراد أن يلحق به، فمنعه قومه لشرفه فيهم، وقد كان ينفق على أرامل بني عدي

امتد خط الهداية - بالهجرة - من مكة إلى يثرب. وحمل الرعيل الأول الدعوة بصدق وإخلاص لا مثيل له

كانت الهجرة النبوية الشريفة امتدادا لخط الجهاد والبناء.. وليست هروبا من مواجهة المخاطر والعقبات

وأيتامهم يؤمن لهم مؤنتهم. وقال له قومه: أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعا دونك.

ولكنه لحق بالنبي ﷺ بعد ست سنين، هاجر عام الحديبية، وشهد ما بعدها من المشاهد.

وحين قدم المدينة مها جرا قدم معه أربعون من أهل بيته، فعانقه النبي ﷺ وقبله، وقال له: «قومك خير لك من قومي». فقال نعيم: لا، بل قومك خير يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «قومي اخرجوني، وقومك أقروك». فقال نعيم: يا رسول الله، قومك أخرجوك إلى الهجرة، وقومي حبسوني عنها. [أسد الغابة ٥/٣٤٦].

فانظر إلى نعيم وقد زكاه النبي ﷺ هذه التزكية واستقبله هذا الاستقبال يعتبر أنه حُرِمَ شرفاً ناله غيره من المسلمين، وهو شرف المبادرة بالهجرة، إنه يعد الهجرة منزلة عليا تأخر عنها، على الرغم من أن بقاءه في مكة كان في سبيل عمل صالح يقوم به، لا يغنى عنه غيره فيه، ومن أجل هذا زكاه النبي ﷺ. ولقب نعيم بالنحام لقول النبي ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت نحمة (سعلة) نعيم فيها». [أسد الغابة ٥/٣٤٦].

الهجرة وغفران الذنوب

لقد كانت الهجرة سببا من أسباب غفران الذنوب، وإذا كانت بدر غفرت لأصحابها: فإن الهجرة كذلك. ذكر ابن الأثير في ترجمة (الدوسي) قال: عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي هاجر إلى المدينة، وهاجر معه رجل من قومه، فمرض ذلك الرجل، فجزع، فأخذ مشاقص أي - نصال السهم - فقطع بها براجمه (البراجم: العقد في ظهور الأصابع)فنزفت يداه حتى مات.

فرآه الطفيل في منامه في هيئة حسنة، ورآه مغطيا يديه. فقال: ما صنع بك ربك. قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقص الطفيل رؤياه على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وليديه فاغفر». [أسد الغابة ٦/٣٤٩].

وفي المجتمع الجديد مجتمع المدينة المنورة عاش المسلمون المهاجرون والأنصار متحابين متعاونين، وفي الهجرة دروس وعبر ومواعظ نجملها فيما يلي:

١) المسلم لا يرضى بالضيم أو يقبل بالذل، إن المسلم يتمتع دائما بالإباء والشمم والعزة والسيادة، والرسول ﷺ خير معلم للبشرية.

٢) يخطيء من يظن أن رسول الله ﷺ كان ينتهز الفرصة ليهاجر خفية خوفاً من مشركي مكة أن يبطشوا به ﷺ.

ويضل ضلالا بعيدا من يرى أن حبنا الشاغف برسول الله ﷺ هو الذي يدفع بنا إلى مغالاة تنفي الخوف عنه ﷺ في هجرته التي تمت خفية. ذلك أن هجرته ﷺ لم يكن أمرها بيده، لقد كانت تستلزم.. «إذنا» مسبقا بها من المولى «عزوجل» وبدونه ما كانت الهجرة لتتم مهما بلغت مشقة إقامته ﷺ بمكة ومهما حفها من مخاطر، أو مواصلة الكيد والتآمر فلم يكن هناك انتهاز فرصة أو خوف.

الهجرة النبوية

وأقام ﷺ في انتظار هذا «الإذن» حتى أخذت مقدماته تأتي شيئا فشيئا:

أ) فهاهم المؤمنون قد تمكنوا جميعا من الهجرة سالمين، واستقر بهم المقام بالمدينة، وصاروا يمارسون عبادتهم علنا، وهم مطمئنون، ولم يبق بمكة بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعلي - رضي الله عنهما - إلا مستضعف مغلوب، أو مفتون، وهذا أو ذاك لا يتجاوز عدهما أصابع اليدين، ومؤمنهم في حفظ الله، وكفى بالله حفيظا.

ب) ومكة لن يؤمن فيها إلا من قد آمن، لقد أصبحت إلى حين مستعصمة بالكفر مؤمنة بالشرك لا تختار دونهما بديلا. وأكد المولى عز وجل ذلك لرسوله الكريم ﷺ مرتين فقال تعالى: ﴿فتول عنهم حتى حين﴾ [الصافات/ ١٧٤]، ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ [الصافات/١٧٨]، أي لست ملوما، يا «محمد» على ترك هؤلاء المكيين فقد أديت واجبك، والله شهيد على ذلك، فدعهم إلى وقت يكون لك معهم فيه شأن.

وبنزول هاتين الآيتين الكريمتين يتبين أن بقاء رسول الله ﷺ بمكة لا معنى له: فليس الإسلام خاصا بالمكيين، فإذا رفضوه فقد انتهت الرسالة.

لا، فالرسالة للعالم كله، وهذا الجانب الذي أكده مضمون الآيتين أقوى بشير ودليل على قرب نزول الإذن بالهجرة، وتهدئة لخاطره ﷺ لكيلا يأسى أو يأسف على قوم كافرين: فكانت الهجرة لتستمر الدعوة.

ج) وأقام رسول الله ﷺ ينتظر «الإذن» بالهجرة، وغمره ﷺ فيض الفرج بنزول الآية الكريمة: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ [الإسراء/ ٨٠].أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء من أجل أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا

ومخرجا عاجلا، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة المنورة حيث الأنصار والأحباب فصارت له دارا وقرارا وأهلها له أنصارا.

قال الإمامان: أحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، كلاهما عن جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما:

كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة، وأنزل عليه قوله: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ [السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٢٢٦. ط: عيسى الحلبي ١٢٨٤هـ].

قال الإمام البخاري: «ثم أمر بالهجرة»، أي أن رسول الله ﷺ كان أمام أمر، وليس مجرد إذن يحمل في طياته خيرة لرسول الله ﷺ يفعل إزاءها ما يروق له.

قال ابن كثير: مدخل صدق: المدينة، ومخرج صدق: الهجرة من مكة.

وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله ﷺ ليهاجر، فيقول له ﷺ: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا».

جاء الأمر بالهجرة فكان الفصل الأخير من إقامته ﷺ بمكة، وفي هذا الفصل جزء خفي على التاريخ فلا علم لأحد به حتى يومنا هذا.

٣) صبر الرسول ﷺ على أمته وكان من الممكن أن يدعو النبي ﷺ على أمته فتلحق بهم ما لحق بالمستهزئين الكفرة الفاسقين.

٤) تضحية الإمام علي كرم الله وجهه وبياته مكان الرسول ﷺ لرد الأمانات وهكذا يكون الشباب المؤمن ولم يكن الإمام علي هو الوحيد بل لقد كان له شركاء ونظراء في التضحية والفداء أمثال سيدنا (أبو بكر) الصديق وابنته أسماء.

٥) كان أول عمل للرسول ﷺ في المجتمع الجديد بناء المسجد والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين وعقد معاهدة بين المسلمين ويهود والتي نقضوها وحدث ما حدث، كما هو مدون في كتب السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي.

تجربة فريدة

ولو انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دروسها لما بددنا الجهود في التجارب، وأفسدنا أمورنا بالتردد، ذلك بأن لنا تاريخا إنسانيا حافلا، فيه لكل عظيمة موقف، ولكل ملمة تجربة، وأن لنا دستورا كاملا فيه لكل قضية دليل ومخرج، فإذا التمسنا دليلنا من وحي الله، واقتبسنا استدلالنا من روح السلف الصالح، واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التي سنها وانتهجها الرسول ﷺ لا تجهنا جميعا إلى الغاية وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة.

إن من سمة الإسلام أنه دين يقوم على التوحيد. وعموم الرسالة للناس أجمعين، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ [سبأ/٢٨]. وقال: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [الأعراف/١٥٨].

فجاءت أحكام هذه الرسالة هادية للأبيض والأسود والأحمر، تقرر المساواة بين البشر، والإخاء بين المؤمنين، والعدل بين الناس أجمعين، وجاءت عباداتها نقية خالصة لله رب العالمين.

مجتمع فاضل

وكانت الهجرة إيذانا بوجود مجتمع مسلم، ينظم جميع الأجناس والأقوام بألوانهم ولغاتهم، ويحتوي خصائص البشر وكفاياتها، وينسق بين جماعاتها ويخلصها للإسلام، ويعقد الإخاء بينها على اختلاف ألوانها وألسنتها، ويربط بينها بروابط الحب، ومشاعر الرحم والقرابة، ووحدة الغاية، وسمو الأهداف: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات/١٠].

فظهرت بالهجرة أمة اسلامية نبيلة السمات، تنتصر للحق ابتغاء وجه الله، فكانت حضارتها ظاهرة سامقة بين حضارات التاريخ..

وتفرد مجتمع الهجرة في الحياة العملية بمنهج رفيع، يعلي خصائص الإنسان العليا، وينميها، ويتسامى بها. ويبث مشاعر الإخاء بين المسلمين ويؤكد روابط الحب والألفة بينهم: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» [الأنفال/٦٣].

بهذه السمات والمشاعر كان مجتمع الهجرة مجتمع الرضوان: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة/٢٢].

لقد بارك الله هذا المجتمع وصلى عليه فقال: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب/٤٣].

فكان المجتمع الذي طهره الله وأتم عليه نعمته، وخاطبه بقوله: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من

المجتمع المسلم فريد ومتميز بالتزامه وأسلوبه وغاياته

حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمتــه عليكم﴾ [المائدة/٦]. ويقول: ﴿وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسـلام دينـا﴾ [المائدة/٣].

وجماع ذلك أن الهجـرة أنبتت خير المجتمعات، فقد قـال الله في ذلك: ﴿كنتم خير أمـة أخـرجت للناس﴾ [آل عمران/١١٠].

فهـو المجتمع الـذي استمسك بـالمثل والمبادىء التي جاء بها الـوحي، واعتصم بأحكـام الإسلام وتحلى بأخـلاق القرآن، ورعى أواصر الإخـاء والـوحـدة بين المؤمنين التي أمـر اللـه برعايتها.

فكـانت هجـرة إلى النصر وإلى السمـو الإنسـاني، وإلى الحضـارة.. ولن يصلـح حاضرهذه الأمـة إلا بما صلح به أولها:

عمل جاد

اعتصـام بالـدين وعمل جـاد للمعاش والحياة، ورعـاية لما أمر الله به ووثقه من أواصر الوحدة والإخاء بين المسلمين.

وما احوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل، فيهجروا ما نهى اللـه عنه مـن الخلاف والفرقـة، والشقـاق والنفـاق، وسـوء الأخلاق، والتهجم على الإسلام والتخلي عن آدابـه، وأن يعـودوا إلى دعـائم الإيمان بما فيـه من التراحم، والتـواصل والإخـاء الـوثيق، والتعـاون على البر والتقوى.. هـذا من عهد الإيمان: ﴿ومن أوفى بما عـاهد عليـه الله فسيـؤتيـه أجـرا عظيما﴾ [الفتح/١٠].

إن الإسـلام يفـرض على المسلمين جميعـا حكـامـا ومحكومين. أن يتنـاصحوا، وأن يـرتفعـوا فـوق الشقـاق والخلافات، وأن يعفـوا ويصفحوا عما كـان، أمـلا فيما يكـون من وحدة الصف، وجمع الكلمة دفاعاً عن الأمة التي استهـان بها غيرها، وتخطفها الناس من حولها..

إن المتغيرات التي حـدثت في العالم المعـاصر تنبىء عن أحداث جسـام تقتضي الحذر واليقظـة والإعداد والاستعـداد، واستشعار الأخطـار المحـدقة ببـلاد العـرب قـاطبـة وبالمسلمين عـامـة، فقـد سقطت الأقنعة واختفـى الصدق، وانكشف المستور الذي يراد بهذه الأمة العـربية والإسـلامية والتي تعـالت عليهـا وحـولها أصـوات الحادثـات والنـوازل التي أطبقت على أمة المسلمين.

بأس المسلمين بينهم

وفي العام الهجـري الذي انصرم من عمـر هـذه الحيـاة، قلت الامـدادات أو تـوقفت، وهـذه الانفجارات التي تحدث على أرض المسلمين جعلـت بـأس المسلمين بينهم شديـدا، وأصبحت قلوبهم شتى، وكلما تقاربت القلـوب أوقد الأعداء نيران الخلافـات، وأشعلوا الحروب بين الشعوب الإسـلامية وحكامها، وانسـاق هؤلاء وأولئك حتى صـاروا وقـودا للحـرب وإمعـات للفتن، وكل يـدعى أنـه يعمل للاسلام وبالإسلام وما هم في هذا وذاك من هـدي الإسلام في شيء. ألا فلكيف أولئك المتنـازعون في بلاد الإسـلام عما وقعوا فيـه، وليـذكـروا قـول الـرسـول ﷺ صاحب الهجرة: «لا ترجعوا بعدى كفـارا يضرب بعضكم رقـاب بعض» [رواه الشيخان].

أيها المسلمون احذروا..

احذروا أيها المسلمـون ما يـراد بأمتكم وشعـوبكم من فـرقـة وإفسـاد، واعلمـوا أن مـا حـدث ويحدث على أرضكم كان وسيظل امتهـانا لأمـة عـريقة الحضـارة قدمت للإنسـانية أسمى الأخلاق وأرقى العبـادات والأعـراف، وعلمت الجاهل، وهدت الضال..

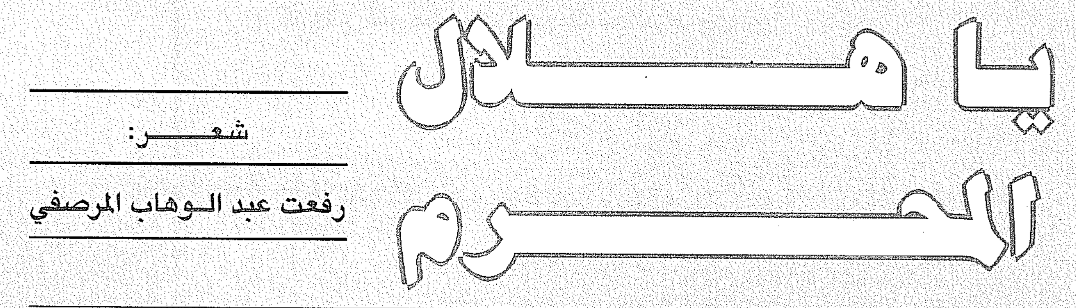
انطـوت صفحة عـام هجـري، ولم تسجل في أوطـان المسلمين ولاسيما العرب غير الأسى والألم فهذه الأهواء المتصارعة، والأقلام المتنازعة المتـدافعة، في غير قضية، وإنما في أطماع متعارضة وفردية طاغية، وأثرة وخصـومة تكيد ولا تكف، وشعوب تكـابد داء الغرور في زعمائها وتكاد تستجير بعدوها من أوليـائهـا، ننظـر إلى هـذه الشعوب، فنـرى في يدهـا العتاد، وفي طبعهـا الاستعداد، ومع هـذا فلا تزال وضيعة الشأن في الحياة لا يثقل بها الميزان، لأنها تفـرقت سـدى، واستثمـر عـدوهـا هـذا التمـزق فأشعل الفتيل نارا، ومـا أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك.

موقف مشرق

هـذا موقف مشرق وضـاء من مواقف نبيكـم العظيم ﷺ في هذه الـذكـرى الخـالـدة وهـذه بعض تـوجيهاتـه الـرائدة، وارشاداتـه الغاليـة خير معين لكم على تخطي العقبـات والقيـام من العثـرات والتقـدم نحـو أرقى الحضـارات والنصر على أعتى قـوى الأرض، وأعنف أعـداء الحياة.. لقد كـانت العقيدة الإسلامية حجـر الزاوية في بناء الـدولة الإسـلامية الأولى وكـان من ثمارهـا ذلك المجـد الساحق وتلك الحضارة الراشدة التي لن يجود الـزمان بمثلهـا إلا إذا عـاد المسلمـون إلى البنـاء على أسسهـا القويـة، والتشييـد على قواعدها المتينة■

كـان أول عمـل للرسـول ﷺ بعد الهجرة بناء المسجد والمؤاخـاة بين الأنصار والمهاجرين وعقـد معاهـدة بين المسلمين وغيرهم من سكـان المدينـة المنورة





يا هلال المحرم

شعر: رفعت عبد الوهاب المرصفي

أطلق ضياءك يا هلال محرم ... وارم العذوبة في الزمان العلقم

ذكر جموع الناس فالذكرى شذى ... وانثر عبيرك في القلوب وعلم

وارجع بنا لنرى سوالف مجدنا ... ولكي نفيد من الرسول الأعظم

صلى عليك الله يا نبع الهدى ... فبالصلاة عليك يبتل الظمى

هي هجرة منها الدروس جلية ... فمتى نسير على الصراط وننتمي؟

بعد الثلاثة عشر عاما في الضنى ... كنت القوي وكنت خير معلم

حتى أتاك الوحي أن قم وارتحل ... نفذت أمر الله دون تبرم

فتركت أرضا كم عليك عزيزة ... وقصدت قوما ناصروك وبالدم

فهناك أنصار الحبيب وصحبه ... أنعم «بيثرب» من مكان أكرم

وجنحت صوب الغار تقصد حكمة ... والله عنك يرد كل تجرم

ودخلت والصديق في ستر الدجى ... كان الوفي وكان نعم المغنم

سد الشقوق بجسمه من خشية ... أن تبتلى من ضر بعض الهوّم

كانت سيوفهمو قريبة منكما ... لولا العناية أرسلت من يهزم

وضعت حمامة بيضها في لحظة ... أما العناكب شيدت من يعتم

حتى سراقة قد دنا من صيده ... لما تقدم خطوة لم يسلم

فكبا الحصان ومن عليه فقد كبا ... أو ليس نصر الله فوق الحوّم؟

عاد «السراقة» للقبائل مسلما ... وقعت عليه فيوض دين أعظم

وتحطمت كل الشراك تحطما ... ومضى البشير إلى المدينة يحتمي

إن القرون تسير مارقة الخطا ... والكون ينهل من فيوض المعصم

يا كل أقوام الزمان نصيحة ... بشريعة الإسلام كل مبلسم



على عتبات الغار

ركضت في البيد أشواق الحيارى تتودد
وسرى همس بأسماع الليالي.. يتردد
وحروف النور من قلب «حراء» تتمدد
خطت الاسم على صدر الصحارى.. يا محمد

أشرق الغار وفي أعماقه شعّ الضياء
وخيوط النور قد طارت به نحو السماء
ما الذي يحدث في الغار؟ وما هذا الرواء؟
ما الذي يجري لضيف الغار ماذا يا محمد؟

أول الغيث قراءات وعلم وحضارة
وارتقاء بضمير الكون للكون منارة
تهب الإنسان إيمانا وعزا وطهارة
وتزيح الغيم عن أحداقه كي يتعبد

كل حرف أشرقت فيه أغاريد الحياة
كل حرف أزهرت فيه أماني النجاه
كل حرف فيه ومض من تسابيح الإله
قم فصافح مسمع الدنيا وبلغ يا محمد

قم فأنذر يا رسول الله أنصار الضلالة
قم فبشر بانطلاق النور في أجلى مقالة
قم فوطد في ربوع الكون أركان العدالة
قم فكبر قم فطهر وعلى اسم الله ردد

كحل الشوق عيون العابدين الناسكين
فسعوا في الأرض عباداً لأنوار اليقين
يرقبون الغار والمختار والروح الأمين
وبذور الضوء قرآن على قلب محمد

شعر / رشاد محمد يوسف

أسعـد اللحن حشاشـات الحيـارى
الصـــــابـــــريـــن
فتنـاجوا بـاسمـه الغالي على مـر السنين
إنـــه نـور الحيـارى وشفـاء العـالمين
إنه الرحمة والنعمة والخير تأكد في محمد

في سراييفـو وفي الصـومـال والقـدس جراح
في «سريلانكـا» و«بورمـا» أطفأوا نـور الصباح
وبنـو الإسـلام في الأرض قطيع مستبـاح
مـاتت النخـوة فيهم فـاستكـانـوا يـا محمـد

من يجير الأم داسـوا عـرضهـا في همجيـة؟
من يجير الطفل شقوا بطنـه في عصبيـة؟
من يجير الشيخ ما أبقوا لدى الشيخ بقية؟
من يجير الدين من بطش الأعادي يا محمد؟

كم ديـار آمنـات أسقطـوا فيهـا المآذن
كم ربـوع نـاضرات أحـرقـوا فيهـا المدائن
كم وكم في كـل أرض أشعلـوا نـار الضغـائن
وحكايا الغـدر والعدوان عادت تتجدد يـا محمد

نحن من نحـن؟ نسينـا أننـا من خير أمـة
ونسينـا الـوحي والقـرآن في أحلك ظلمـة
ونسينـا اللـه فـانهالت علينـا ألف نقمـة
عد إلينا بلواء النصر يجلو كل غمة.. يا محمد

يـوم أن كنـا مع الـرحمن نستهـدي كتـابـه
ونـرى سنتـك الغـراء تجلـوهـا الصحـابـة
مثـلا أعلى وأنـوار طـريـق ومثـابـة
دانت الـدنيـا لنـا علما وفتحـا ومهـابـة
وتـرانـا الآن أشـلاء وملكـا يتبـدد.. يـا محمـد

يـا رسـولاً عطّـر الـدنيـا بأنـوار الإلـه
يـا رسـولا أنبت الإيمان في عمق الحيـاة
يـا رؤوفـا يـا رحيما يا إمامـا للـدعـاة
حسبنـا أنا على دربك بـالتـوحيد نشهـد
ونـنـاجي بعـد ذكـر اللـه نـورا يتجـدد

شاعر الرسول والرسالة

بداية ينتمي حسان إلى بني النجار من الخزرج الذين قدموا من اليمن، واستقرّوا في يثرب، حيث وجدوا بيئة زراعية عاشوا في ظلالها، وتخلّقوا بأخلاقها، وكان من الطبيعي أن تحتك قبيلة الخزرج بقبيلة أخرى جاءت من اليمن إلى يثرب، وهي قبيلة الأوس، وقد وسّع اليهود الهوة بين القبيلتين، ومن ثم اندلعت الحروب بينهما حرباً بعد حرب، وكان من الطبيعي أن يكون حسان شاعر الخزرج، والمتحدث باسم هذه القبيلة، وبخاصة في الفترة التي تحالف فيها الأوس مع اليهود.

بقلم أ.د: عبده بدوي*أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب / الكويت

والمعروف أن أسرته كانت عريقة في قول الشعر، كما جاء في الكامل للمبرّد «.. يعتدون ستة في نسق كلهم شاعر، كما أن أمه الفريعة كانت تقول الشعر»، (١)وكذلك ابنه عبد الرحمن، وحفيده سعيد كانا شاعرين، وقد عاش في الجاهلية حياةً عبثية تتصل أكثر ما تتصل بشرب الخمر، والنساء، والتعصب لقبيلته، وقد وصل به الأمر إلى حد تطليق زوجته «عمرة» ـــ التي كان يحبها ـ حين عيرته بأخواله، وفخرت عليه بالأوس، وبعد أن طلقها ندم، وعبر عن ندمه بقوله :

لا يكن حبك حباً ظاهراً
ليس هذا منك يا عَمْرَ بسرّ
سألتْ حسانَ مَنْ أخواله
كإنما يسأل بالشيء الغُمُرْ
ولقد يعلم من حاربنا
أننا ننفع قِدْماً، ونضرْ
فسلوا عنا، وعن أفعالنا
كل قوم عندهم علم الخبر (٢)

وقد عاش مهتماً بقبيلتهً التي تمتد إلى «عمرو بن مزيقا بن عامر بن ماء السماء»، والذي كان من الملوك، ولعل هذا الانتماء كان وراء ارستقراطيته، ووفادته إلى «المناذرة» وإلى «الغساسنة، فأغلب الظن أن وفادته المتكررة كان وراءها اعتزازه بصلة القرابة بينه وبينهم (٣)، وإن كانت وفادته على الغساسنة أكثر من وفادته على المناذرة، وقد كان في هذه الفترة يظن أن لشعره شيطاناً على نحو ما يؤكده ابن الكلبي، وأن له صاحبين من الجن في قبيلة «بني الشيقبان» (٤)، ولكنه بعد أن أسلم أعلن عن مصدر سماوي جديد فقال:

وقافية عجَّت بليل رزينة
تلقيت من جو السماء نزولها
يراها الذي لا ينطق الشعرعنده
ويعجز عن أمثالها أن يقولها(٥)

على أنه ظلَّ وفياً لقبيلته فهو يقول بعد الدخول في الإسلام

كنا ملوك الناس قبل محمد
فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذي ليس غيره
إله بأيام مضت مالها شكل
بنصر الإله والنبي ودينه
وأكرَمَنا باسم مضى ماله عدل
أولئك قومى خير قوم بأسرهمً
فما عد من خيرٍ فقومي له أهل
ومنا أمين المسلمين حياتُه
ومن غسلته من جنابته الرُّسل(٦)

.. وحين جاء الإسلام طويت صفحة وأشرقت صفحة، وكان قد انتهى النزاع بين الأوس والخزرج، وجعل الرسول من المدينة بلداً آمناً لا ترفع فيه السيوف، كما أعطى الأنصار القيادة في المنطقة، والملاحظ أن الناس لم يعودوا ينتسبون إلى قبائلهم، فقد رضوا لأنفسهم الوقوف تحت راية نسب جديد هو «الأنصار»، وكان لابد من دخول الشعر المعركة، فرأينا الرسول يلتفت إلى الأنصار ثم يقول لهم: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم، أن ينصروه بألسنتهم؟ وهنا يرتفع صوت حسان بين القوم ويقول: أنالها! ويأخذ بطرف لسانه باعتزاز، والله ما يسرني به مقول بين بُصرى وصنعاء، فيسأل

كان شعر حسان يعدل سيوف الفرسان ورماح الرماة.. يذبّ عن الرسول ﷺ ودينه

الرسول ممتحناً له؟ كيف تهجوهم وأنا منهم؟

فيقول حسان أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين، ثم يتوالى عطف الرسول عليه، فيرسله في بعثة داخلية إلى أبي بكر، (٧) ليتعلم خصائص القوم، ثم يقول له: «أهجهم وجبريل معك»، (٨) وكان مما قاله: «أمرت عبدالله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشَفَى، واشتفى»، ويقال إنه أمر له ببناء منبر في المسجد ليلقي عليه شعره، وأنه خصَّه ببستان، وزوَّجه من سيرين شقيقة زوجته مارية، كما كان يعطيه سهم المحارب، مع أنه لم يكن يشارك في الغزوات.. وهنا نقف وقفة. ذلك، لأن هناك كلاما كثيراً يدور حول ظاهرة (الجبن) عنده فيقال إنه أنشد الرسول شعراً يفخر فيه بشجاعته وحسن بلائه، وأن الرسول علّق على ذلك بالابتسام، وهناك من يدفع عنه هذه التهمة مثل ابن الكلبي الذي يذكر عنه اللسن والشجاعة، ثم يذكر أنه أصيب بعلة أحدثت فيه الجبن، ومع أن ابن الكلبي يقف عند هذا، إلا أن الواقدي يذكر لنا أنه كان مقطوع الأكحل - والأكحل عرْقٌ ي الذراع - وقد كانت وراء هذا ضربة بالسيف من ابن المعطل، هذا إلى جانب (كبر سنه، وضعف روح المغامرة عنده، مما جعله حذراً متمهلاً) (٩).

وعلى كل فقد أصبح حسان لساناً إعلاميا للرسول والرسالة، ذلك لأن الوفود كانت تتوالى على الرسول، وكان من عادة الوفود أن يتكلم شيخ الوفد، وشاعر، وخطيب، وحسبنا أن نذكر وفد بني تميم الذي قدم على الرسول، والذي رأينا رئيسه الأقرع بن حابس ينهي اللقاء بقوله (..والله إن هذا الرجل لمؤتّى له، والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب من خطيبنا)، وكان أن أقبلوا على الرسول مبايعين، وتتوالى الأخبار الكثيرة في هذا المجال، فقد وقف حسان يسجل معارك المسلمين شعراً معركة إثر معركة، ويهجو اعداء المسلمين فرداً إثر فرد، على حد ما نعرف من هجائه لأبي سفيان وزوجه هند، وأمية بن خلف، وصفوا ن بن أمية، وجبير بن مطعم، وأبي جهل، وأبي لهب، وعتيبة بن أبي لهب، وسهم بن عمرو، وبخاصة الشعراء الذين أخذوا موقفاً من الرسول والرسالة كابن الزبعرى، فحين يقول شامتا في معركة أحد.ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسَلْ

قد قتلنا القَرْم من أشياخهم
وعدلناه ببدرٍ.. فاعتدلْ !

فيرد عليه حسان:

ولقد نلتم ونلنا منكمُ
وكذاك الحرب أحيانا دول
نضع الخطيَّ في كتافكم
حيث نهوى عللاً بعد نهلْ
وعلونا يوم بدر بالتُّقى
طاعة الله، وتصديق الرسلْ

وقد كرّر هجاءه له (١٠)، وما أكثر ماهجا القبائل وبخاصة قبيلة مزينة (١١)

وما أكثر مارثى الشهداء كحمزة في القصيدة التي مطلعها:

أظلمت الأرض لفقدانه
اسودَّ نور القمر الناصل

كما رثى جعفر في القصيدة التي مطلعها:

وكنّا نرى في جعفرٍ من محمدٍ
وفاءً وأمراً حازما حين يأمر (١٢)

بالاضافة إلى عدد كبير من الشهداء، كسليط بن قيس، ونافع بن بديل الخزاعي.. الخ، على أن الأمر لم يقتصر على شهداء المعارك الكبرى كبدر وأحد، وإنما كانت له وقفات عند شهداء بئر معونة، وأصحاب الرجيع.. الخ (١٣)، أما أمداحه للرسول فكثيرة (١٤) وقد كان الرسول يبارك هذا، ويشجع عليه، وقيل: إن الرسول حين سمع قوله في أبي سفيان

هجوت محمداً فاجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

قال: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما أكمل

فإنّ أبي ووالده وعرضي
لعرض محمدٍ منكم وفاء

قال: وقاك الله حرَّ النار، وهكذا يكون الرسول ﷺ كما يقول ابن رشيق: قد قضى له بالجنّة مرتين في ساعة واحدة، وسبب ذلك «شعره» (١٥)، وبعد وفاة الرسول ﷺ يفيض شعرا حزينا (١٦)، على أنه شُغِلَ بعد الوفاة بالخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار من أجل الخلافة، ونلاحظ أنه كان متحيزاً للأنصار ضد المهاجرين، فهو القائل:

أولئك رهط من قريش تتابعوا
على خطة ليست من الخطط الفصل

خلّد شعر حسان معارك المسلمين وأحداثها ووقائعها وشهدائها بما حفظها للأجيال صادقة حية

وأعجب منهم قابلوا ذاك منهم
كأنا اشتملنا من قريش على زحْل
وكلهم ثانٍ عن الحق عطفَه
يقول: اقتلوا الأنصار، بئس من فِعْل
فكان جزاء الفضل منا عليهم
جهالتُهم حمقاً، وماذاك بالعدل (١٧)

..ومع أن حسان بن ثابت كان يسطع نجمه في هذه الفترة، بعد أن فشل في السطوع في الجاهلية، حين قدم عليه النابغةالذبياني والأعشى، والخنساء، إلا أنه وجد الفرصة سانحة في ظلال الرسالة الجديدة، ومما يؤخذ عليه أشياء منها: بقايا القبلية في نفسه، على حد ما نعرف من النص السابق، ثم إنه كان يحلو له التعريض بالمهاجرين، حين رآهم كثروا في المدينة، على حدّ قوله في إحدى قصائده.

أمسى الجلابيب، قد عزوا، وقد كثروا
ابن الفُريْعة أمسى بيضة البلد

ويقال إن هذا آلم الرسول، وأنه عاتبه على قوله هذا، ثم شارك في «حديث الافك» مع جماعة منهم مسطح بن أثاثة، وحِمنةُ بنت جحش، وكان أن غضب الرسول، وأمر بحدهم (١٨) ، ثم كانت التبرئة من فوق سبع سموات، حين نزل قول الله: ﴿إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم﴾ [النور: ١١] ويقال إن صفوان بن المعطل الذي اتهم بهذا الأمر هو الذي ضرب حسان بن ثابت بالسيف، ويقال إن السيدة عائشة غضبت عليه، حتى اعتذر، وتبرأ مما نسب إليه، وقال:

حصان رزان ما تُزَنّ بريبةٍ
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإن كنتُ قد قلت الذي قد زعمتم
فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
وكيف ووِدّي من قديم، ونُصرتي
لآل رسول الله. زين المحافل(١٩)

وكان مما قالته: إني لأرجو أنَ يدخله الله الجنة بذّبه عن النبي صلى الله عليه وسلم.. وبعد وفاة الرّسول يهدأ شعره (٢٠)، ومع هذا نراه يقف إلى جانب أبي بكر، وهو يدافع المرتدين، وبعد وفاة أبي بكر رثاه رثاء صادقاً، فإذا جاء عهد عمر، نرى عمر يمر وهو ينشد في مسجد الرسول، فيأخذ بأذنه ويقول له في جفوة: أرغاء كرغاء البعير، فما كان من حسان إلا أن ردَّ عليه في غضب: دعنا منك يا عمر، فوالله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك، فلا يغير عليّ! ومع ذلك كان عمر يستشيره في المخاصمات التي كانت تقوم بين الشعراء، وقد أسف لأمرين:

أولهما: أن (جبلة بن الأيهم) الغساني حين مرَّ بمكة حاجاً، لطمهُ رجل من مزينة، وحيل بينه وبين الضارب، فلما رفع الأمر إلى عمر قال له: استقِدْ منه، فقال جبلة: ليس إلا.. أنا ملك وهذا سوق، لا أقتص منه شيئا، ولا أقنع إلاّ بقتله، وكان أن لحق بالروم وتنصر وكان من عادته أن يرسل لحسان الهدايا من بلاد الرّوم، فكان حسان يذكر له هذا، وحين وصلته هدية منه قال:

إن ابن جفنة من بقية معشر
لم يغذهم آباؤهم باللُّوم
وأتيته يوماً فقرب مجلسي
وسقى براحته من الخرطوم
لم ينسني بالشام، إذ هو ربها
.لا.. ولا مستنصراً بالروم

كما أن له فيه أكثر من مدحه (٢١)

أما الأمر الثاني: فكان حول ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي، الذي شرب خمراً فجلده عمر ثم نفاه إلى خيبر، فما كان منه إلاّ أن لحق بالروم فتنصّر، فلما كان زمن عثمان بعث رجلا يناشده الله إلا راجع الإسلام، فكان جوابه بيت النابغة الذبياني.

حياك وُدٌّ فإنا لا يحل لنا
لهو النساء وإن الدين قد عرما!

وحين يجيء عهد عثمان يلقى الإكرام والرعاية، والملاحظ أنه في عهد الخلفاء لم يكن يتدخل في كبار الأمور إلاّ بقدر.

.. ومع هذا فإنه ظل ملتهباً في شعر الرثاء على نحو ما نعرف في رثائه المتعدّد للرسول، وبخاصة قصيدته التي أولها:

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير، وقد تعفو الرسوم وتهمَد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ
بها حجرات كان ينزل وسْطها
من الله نور يستضاء ويوقدُ
ظللت بها أبكي الرسول، فأسعدت

عيون ومثلاها من الجفن تُسعدُ
وهل عدلت يوماً رزيّة هالك
رزية يوم مـات فيـه محمدُ
فابك رسول الله يا عين عبرة
ولا أعرفنْك الدهر دمعك يجمدُ
مع المصطفى أرجو بذلك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهدُ(٢٢)

بالإضـافة إلى رثـائه الحارّ لابنته، وكـان قد ثقّفهـا، وعلّمها أن تقول الشعر (٢٣)

كما أن رثاءه لعثمان كان مليئا بـالفجيعة، خاصة ونحن نعرف أن الرسـول آخي بينهما في المدينة، فهو يقول مصوراً الفجيعة فيه.

أتركتموه مفرداً بمضيعة
تنتابه الغوغاء في الأمصـــار
لهفان يدعو غائباً أنصاره
يا ويحكم يا معشر الأنصار
هلا وفَيتم عنده بوعودكم
وفديتمُ بالسمع والأبصـــار
جيرانه الأدنون حول بيوته
غدروا وربِّ البيت ذي الأستار
لا يحسبن المرجفون بأنهم
لن يطلبوا بدماء أهل الدار (٢٤)

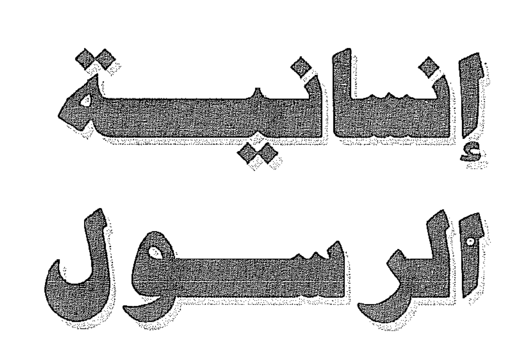
وقد تتبعه النقاد في كل مراحلـه، فأبو عبيدة يقول عنه: كان شاعر الأنصـار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النّبوة، وشـاعر اليمن كلها في الإسـلام، وقد عدّه أبـو زيـد القرشي من أصحـاب المذهبات، ومـا أكثر مـا وقف عنده أبـو عمرو، وابن الأعرابي، وابن حبيب، وابن شرف، وابن النديم، وابن سعـد، ومـا أكثـر رواة البصريين والكـوفيين عنـه، بالإضافة إلى كتب التاريخ والأدب واللغة، ولقد توفّر على تحقيق ديوانـه أكثر من محقق، وكـان آخرهم د. سيد حنفي حسنين، وقد أقاموا مقارنة بين شعره في الجاهليـة، وشعـره في الإسـلام، ووجهـة نظرهم تتلخَّص في: أنـــه دخل الإســـلام في سن كبيرة، والشعراء في كل العالم يتوهجـون في مراحل عمرهم الأولى، وقد شهدتـه الفترة الأخيرة منتقلا من فكر إلى فكر، كما شهدته فاقد البصر، ضعيف السمع، ثم إنه كـان يمثّل في عصره ما تمثلـه وزارة الاعلام اليـوم، وكان لابـد له من مـلاحقة الأحداث السريعـة، وكان يكثر من الارتجال، فلم يكن لـديه الوقت للمـراجعة، والتجويد، وكان هناك إلى حد ما انصراف عن الشعر، وانصراف عن النقد في هذه الفترة.

ومع أن بعض الشعر قد دسَّ عليه، واختلط بشعر الآخرين، إلا أنه يظل دائما صـاحب الصوت الطموح في الجاهلية، وصـاحب الصـوت المشرق في الإسلام، بالإضافة إلى القرب الحميم، من الـرسول والرّسالة، وحسب قول ابن شرف: (.. وأمـا حسّان، فقد اجتث بواكـر غسان، ثم جاء الإسـلام، وانكشف الإظلام، فحاجج عن الدين، ونـاضل عن خاتم النبيين، فشعر وزاد، وحسَّن وأجاد!) (٢٥)، أما ابن سلام فيقول:(كثير الشعر جيـده، وقد حمل عليـه ما لم يحمل على أحد) (٢٦) ■

قال ابن رشيق: قضى رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت بالجنة مرتين في ساعة واحدة.. وسبب ذلك شِعره

هوامش

(١) مما يروى لها:
للناس بَيْتٌ يديمون الطواف به
ولي بمكة لويدرون بيتان
فواحد لجلال الله أعْظِـمُه
وآخر لي به شغْلٌ بإنسان
نشـوة الطـرب لابن سعيـد الأنـدلسي. تحقيق. د. نصرت عبـد الـرحمن ١/١٩٦ مكتبة الأقصى. ط عمان
(٢) ديـوانـــه. تحقيق د. سيـد حنفـي حسنين ١٩٣ و١٩٤ طـــ ٣ دار المعارف
(٣) دراسات في الأدب الاسلامي. محمد خلف الله ص ٤٣
(٤) تأمل قوله:
ولي صاحب من بني الشيقبان
فطوراً أقول، وطوراً هوه
المزهر للسيوطي ٢/٤٩٢ ط الهند
(٥) ديوان حسان ص ٣٨٨ ط. دار المعارف بالقاهرة
(٦) غسيل الملائكة هو حنظلة بن عامر، لأنه حين سمع الصيحة يوم أحد خرج مبـارزا فاستشهـد قبل أن يغتسل، وأمين المسلمين هو سعـد بن معاذ حين حكمه الرسول في بني قريظة وبني النضير ـ ديوانه ص ١٤٢
(٧) يقال إن الرسول قال له: اذهب إلى أبي بكر يعلمك من تلك الهنات ص ١١٨ من ديوانه
(٨) وجّه الجاحظ هذا القول توجيهاً حسناً حين قال: إنّ معنى قوله هذا: هو العصمة والتوفيق ـ الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون ١/٣٤٠
(٩) ديوانــه ص ٩، وانظر حسان شاعـر الرسول في العـدد الثلاثين من سلسلة أعلام العرب. مايو ١٩٦٤
(١٠) ديوانه ص ٢٧٠
(١١) لعل وراء ذلك أنها في الجاهليـة أسرت والـده، وحلفت لا يفـدى إلا بتيس. ديوانه ص ٢٩٧ و١٦٠
(١٢) ديوانه ص ٩٣، ٩٩، ٣٨، ٣٩، ٣٨١
(١٣) ديوانه ص ١٧٢ و١٧٣
(١٤) ديوانه ص ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٨٩
(١٥) العمدة ١/٥٣
(١٦) ديوانه ص ٣٧٧ ط المعارف
(١٧) ديوانه ٣٧
(١٨) السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٢ طـ الكليات الأزهرية
(١٩) ديوانه ص ٢٢٨ و٢٢٩
(٢٠) مرّ الزبير وهو ينشـد، والحاضرون غير مقبلين عليه، فجلس وقال: مـا لكم لا تستمعون، واللـه لطالما أصغـى إليه صـاحب هذا القبر، وأجـازه الجوائز السنية. ديوانه ص ٢٩٤
(٢١) ديوانه ص ٣٢٢
(٢٢) ديوانه ص ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠
(٢٣) ديوانه ص ٢٤٢
(٢٤) له في رثـاء عثمان أكثر مـن قصيدة ص ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧ من ديوانه ط المعارف
(٢٥) رسائل الانتقاد. تحقيق حسن عبدالوهاب ط دار الكتاب الجديد



١/٣

أليس في رحمة الرسول ﷺ للحيوان الأعجم والدعوة إلى رحمته والإشفاق عليه دلالة على عظيم رحمته ورقة حسه؟

بقلم الشيخ / جاسم محمد بن مهلهل الياسين

قال المولى عز وجل: ﴿هــو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كـــانـــوا من قبل لفي ضـــلال مبين﴾ [الجمعة/ ٢].

لقد أرسل الله محمدا ﷺ بدينه لينير بهدايته حياة الإنسانية الحالكة الظلام، ويعلِّم النــاس بــه أرقى نظم الاجتماع، وأعظم قوانين العدالــة، وأسمى مبادىء القضـــاء، وأوفى منــاهج المســاواة، التي كانت الإنسانيــة في أمس الحاجة إليها، تــرعرع بين قــوم جــاهلين، وهو ينكــر جهالتهم، ونشأ بين قوم مشركين، وهو يستقبح إشراكهــم، رآهم في طغيــــان وانحلال، فنفر من طغيانهم وانحلالهم، ضاعت فيهم مفاهيم الإنســانية الحقة، فكــان ﷺ الأستاذ الأول للعــالم يعلِّمــه معنى الإنســانيــة الحقـــة بمفهــومهــا الصحيح، حتى قال فيــه مولاه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم/ ٤].

جعله اللــه بحكمته في أعلى مستــوى الإنســـانيـــة، فأشرقت من آفــاق نفســه أنــوار العــزة والإبــاء، وأضــواء العــزم والضيــاء، فما لبث أن تكشف عن قــوة خارقة تــدفعه لإنقاذ الإنسانيــة جمعاء من أنياب الجهالــة والضلالة، ومخالب الشقــاء والتعــاســة، وبنى على تعــاليم القرآن الكريم جامعــة الإسلام العالمية، فخرّجت العلماء والمصلحين المرشــدين، والقــادة المتفوقين، والحكــام العــادلين، والقضاة الزاهدين. كان العالم كالمريض الــذي اصطلحت عليــه الأمراض، فهــو يشكــو من كل شيء، يشكو من جفــاف الروح، فعاطفته الــدينية لم تجد بللا في عبادة النار، والعكوف على الأصنام عند الوثنيين. ولم تجد ريّها كــذلك عند أهل الكتاب، فقد حرفــوا الكلم عن مواضعه، واشتروا بـــآيــات اللـــه ثمنــا قليـــلاً، واستبــاحــوا حقوق النــاس وأمــوالهم، و﴿قالــوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾، وأشركوا بــالله مــا لم ينزل بــه سلطانــا، ونسبوا لله ما يتعــارض مع ما يستحقه من التوحيد والتنزيه والتقديس.. فكانت رسالتــه ﷺ المنقذ الــوحيد لهم مــن هذا المصير النكــد، وكــان العــالم يشكــو من قسوة القلــب، وهزال الضمير، لأنــه كان يحكم يومئذ بشريعــة الغاب يأكل الكبير الصغير، ويفتك القـــوي بـــــالضعيف، ويخضــع لنظــام الطبقــات الجائر الــذي يجعل من بعض الناس سادة يتصرفون في كل شيء، ومــن بعضــهم عبيــــــدا لا يقدرون على شيء، فكانــت إنسانيته ﷺ النــور الــذي أضـــاء لهم الطــريق، وأزال عنهم ظلام الليل الدامــس الطويل، وكان العــالم بعــد ذلك يفتقــر إلى المثل العليــا، والمبـــادىء الشريفــة، فهـــو لا يعلم عن مقومات الإنسانية ودعائم الحياة الطيبة إلا أماني، فــالحرية والمســاواة، والاخاء، والتعــاون على البر والتقــوى، والتكــافل الذي يفرضــه الحب، وتوحي به المروءة، كل هــذا كان ألفــاظا فقــدت معناهــا من طول ما حرم النـــاس من مشاهدتها، ولو في صــورة جزئية، أو حالــة فردية في هذا العالم المتهالك المتداعي، فكانت إنسانيته ﷺ الوحيدة التي وجــدوا فيها ضالتهم، التي عنها يبحثون، وإليها يفتقرون.

يقــول الفيلســوف الإنجليــزي الناقــد الســاخر (جورج برنــاردشو) ما ترجمته بالنص: (إنـي أعتقــد أن رجــلاً كمحمد، في صدق ما ادعاه، ودعــا إليه، لو تسنى له أن يتسلم زمــام الحكم المطلق في العــالم بأجمعــه اليــوم لتــم النجــاح في حكمــه، ولقــاده إلى النجــاح والظفــر، ولحقق لــه السلام والسعادة المنشودة).

والآن نــورد بعض المواقف لإنســـانيــة الرســـول ﷺ ومنها حبه لأولاده، لقــد كان ﷺ يحب أولاده وأولاد المسلمين حبـــــا شـــديــدا. فكـــان يحملهم على صـــدره، ويداعبهم ويقبِّلهم، وكان إذا سمع بكاء أحد منهم وهو يصلي، أسرع في صــلاته حتى لا يطــول بكــاؤه. ورأى بعض الصحـــابــة الرســـول ﷺ وهو يقبِّل الحسين ابــن بنته فــاطمة رضي اللــه عنهــا فقــال أحدهم: يــا رسول الله: إن لي عشرة أولاد ما قبّلت أحدا منهم قط، فقــال ﷺ: «إنــه من لا يــرحم لا يُــرحمْ». ورأى ﷺ بعــض الأولاد يلعبــون ويتسابقون، فجرى معهم، ليدخل السرور على نفــوسهم، ولما علــم عليـــه الصـــلاة والسلام أن بعض أولاد غير المسلمين قتلوا بين الصفوف في إحدى المعــارك، حزن ﷺ حزنا شديدا.

وقـــد دخل (الحسن) ذات مـــرة على الرسول ﷺ وهو يصلي، فركب الحسن على ظهره، فأطــال الرســول ﷺ السجود حتى نزل الحسن.

وكان ﷺ يعانق الحسن، ويقول: «اللهم إني أحبُّه، فأحبِّه، وأحبَّ من يحبُّه».

حبه ﷺ لأهله

من إنســانيته ﷺ حبــه لأهله رضي اللــه عنهم. قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». وقال ﷺ: «أذكِّــركم الله في أهل بيتي».

فلقد كان ﷺ مثال الزوج الوفي، فكان إذا ذبح شاة أهــدى منها إلى صديقــات زوجه خديجة رضي الله عنها.

حبه ﷺ لأصحابه

من إنسانيتــه ﷺ حبه لأصحــابه رضي الله عنهم. قــال: «الله اللــه في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومــن أبغضهم فببغضي أبغضهــم، ومن آذاهم فقــد آذانــي، ومن آذاني فقد آذى اللــه، ومن آذى اللــه فيــوشك أن يأخــذه» [رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٨٦١ ورواه أحمد في المسند ٤/ ٨٧].

لقــد كــان ﷺ يــرعى أبنــاءهم، ويحمل أولادهم الصغار على صدره الشريف، وكان يشتري حاجات أصحابه بنفسه.

وكــان إذا جلس يجلس في وسطهم، فــلا يتخــذ لنفســه مكانــا أحسن من أمــاكنهم،

حتى إن القادم لا يعرفه وهو بين أصحابه. وكان ﷺ يخرج مع أصحابه ويعاونهم على السفر، فيركب أحيانا ويمشي أحيانا، ويشترك معهم في إعداد الطعام، وإحضار الماء.

ولما وصل إلى المدينة ﷺ اشترك مع أصحابه في بناء أول مسجد في الإسلام، وهو مسجد (قباء).

واشترك معهم عليه الصلاة والسلام في حفر الخندق حول المدينة، وكان ﷺ يحمل التراب والحجر وينشد مع المسلمين ويحمِّسهم.

حبه ﷺ للخدم

كان رسول الله ﷺ يحب الخدم والعمال، ويعاملهم معاملة طيبة، لقد بلغ من حبه ﷺ للخدم أنه كان يكره أن يقول أحد لخادمه عبدي، وكان ﷺ يأكل مع الخدم، ويحادثهم، ويوصي المسلمين بهم، وكان يقول لهم: «هم إخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس،

ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

حكى أنس بن مالك، وقد خدم رسول الله ﷺ عشر سنوات، قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فخرجت، حتى أمُرَّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق. فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس، اذهب حيث أمرتك»، قلت: نعم، أنا ذاهب يا رسول الله.

قال أنس: والله لقد خدمت النبي ﷺ عشر سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا.

وروي أن امرأة سوداء فقيرة كانت تكنس المسجد على عهد رسول الله ﷺ ثم غابت عن المسجد، فلما فقدها الرسول ﷺ سأل عنها، فأخبره الصحابة رضي الله عنهم بأنها قد ماتت، ولم يُعلموه بأمرها في حينه، نظراً لضعف حالها، لكنه ﷺ تأثر لهذا كثيرا، وعاتبهم قائلاً: «هلا آذنتموني»، كأنما عزّ عليه أن تفارق هذه المسكينة الحياة دون أن تحظى منه بنفس ما يحظى به كل أصحابه، من وداع وتشييع وصلاة، ثم طلب إليهم أن يدلوه على قبرها، فدلوه عليه، فقام ﷺ وصلى على قبرها، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم».

تواضعه ﷺ

لقد كان عليه الصلاة والسلام متواضعا يخيط ثوبه بيده، وكان يأكل مع خادمه، وكان يحمل من السوق بضاعته.

وقد دخل ﷺ السوق مرة ليشتري سراويل، فوثب البائع إلى يده ليقبلها فجذب عليه الصلاة والسلام يده وقال: «هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجل منكم». وكذلك كان ﷺ يحلب الشاة بيده، ويصلح حذاءه بنفسه، ويعنى بناقته فيسقيها ويطعمها.

وقال ﷺ في التواضع: «إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه».

تسامحه ﷺ

من أول يوم ظهر رسول الله ﷺ بدعوته في ربوع مكة والبلاء يصب عليه وعلى أصحابه صبا، ويشتد عليهم العذاب يوما بعد يوم، حتى لقد سقط منهم شهداء، راحوا ضحية التعذيب كوالدي (عمار بن ياسر وغيرهما)، فهل يكتفي المشركون بهذا؟ كلا .. فلابد أن يستريحوا من محمد ﷺ إلي الأبد، وراحوا يدبرون المؤامرة لقتله، ولكن عين الله كانت ترعاه وتحرسه، فأمره الله بالهجرة، وأنقذه من يد الظالمين الطغاة. ثم شاء الله أن تنتصر الدعوة الإسلامية، وينتصر الحق على الباطل بعد معارك طاحنة مع جيوش الكفر، وطواغيت البشر.

ولما أحس الرسول ﷺ أن جيشه أصبح بقوة الله لا يقهر، خرج إلى أهل مكة ليعلن فيها كلمة الله، ويطهر المسجد الحرام من الأصنام التي كانت تعبد من دون الله.

رجع ﷺ إلى مكة يقود عشرة آلاف مقاتل، الموت في سبيل الله أحب إليهم من الحياة.وماذا تصنع قريش أمام هذا الجيش الضخم؟ وأين المفر وقد وقعت في قبضة محمد ﷺ إنها تقف خائرة ذليلة تفكر في المصير الأسود الذي ينتظرها.

غير أن ثقتها بأخلاقه ﷺ تفتح أمامها باب الأمل في العفو، فليس محمد ﷺ بالحقود المنتقم. إنها تعرف الكثير من أخلاقه وسماحته، وقد تجلت هذه السماحة أمامهم حين قال لهم ﷺ: «يا معشر قريش، ما تظنون أنّي فاعل بكم» قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ألا إنه النبي العظيم الذي أثنى عليه ربه جل وعلا بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

رحمته ﷺ بالحيوان

كان الناس في الجاهلية يقسون على الحيوان الأعجم، حتى إن البعض منهم كان إذا أراد الطعام، أخذ يقطع أعضاء الحيوان، وهو حي، ثم يشوي منه ويأكل.

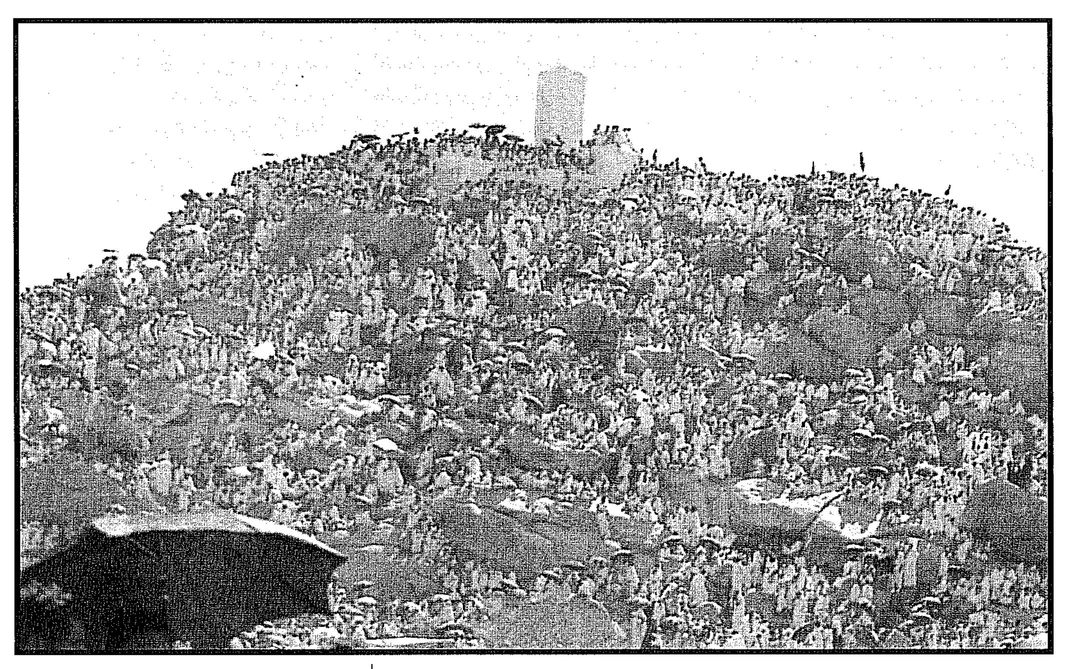
وكان اتخاذ الدواب هدفا للرماية عادة مألوفة عند العرب، فنادى فيهم رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» [مسند الإمام أحمد].

كذلك ما كانوا يتصورون أن الرفق بالحيوان عمل صالح، حتى ساق لهم رسول الله ﷺ الأمثلة، وأنبأهم أن رجلا كان يمشي بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فوجد كلبا يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل في نفسه: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلما بلغت، فنزل البئر، وملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى صعد، وسقى الكلب، فشكر الله تعالى له هذا الصنيع، وغفر له، فتعجب الصحابة من ذلك وقالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر».

وقال ﷺ: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

ومن إنسانيته ﷺ تلك القصة التي يحكيها لنا (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه فيقول: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فغاب عنا ﷺ في شأن من شؤونه، فرأينا حمّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمّرة تعرش، فلما حضر ﷺ وجد الحمّرة حائرة تبحث عن ولديها في لهفة وألم، فتأثر ﷺ ورقّ قلبه العظيم لها، وقال لهم: «من فجع هذه بولديها؟ ردّوا ولديها إليها»■

ظهرت إنسانية النبي ﷺ في كل حركة من حركاته.. وفعل من أفعاله.. وتوجيه من توجيهاته



الحج وبيوت العرب المعظمة في الجاهلية ٢/٢

بقلم: طه الولي*

قدّم القسم الأول من هذه الدراسة التاريخية للشيخ/ طه الولي تقديس العرب لأماكن معينة بالإضافة إلى توارثهم تعظيم بيت الله الحرام في مكة المكرمة منذ عهد جد الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وفي القسم الثاني والأخير يتابع الكتابة عن هذه الأماكن والطقوس التي كان الجاهليون يقومون بها، و(الوعي الإسلامي) تنشر مثل هذه المقالات والدراسات تبيانا لوجه الحق وإظهاراً لنعمة الله تعالى علينا بالخروج من الظلمات إلى النور.

٤) (اللات):

يقول الدكتور جواد علي: (واللات صنم من الأصنام المشهورة عند العرب، وهو اليلات الإله الرئيسي عند العرب في أيام المؤرخ هيرودوت وهو (اللت) في نصوص الحجر وصلخد، أي النصوص البنطية التي عثر عليها في هذه الجهات، ويظن أن (اللات) هي الشمس، بدليل ان الشمس انثى، أي إلهة في العربية وفي كثير من اللهجات السامية الأخرى، وأن اللات انثى كذلك)(١٧).

ويقول ابن حبيب: (كان اللات بالطائف لثقيف على صخرة، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة (التي في مكة المكرمة) وكان له حجبة وكسوة وكانوا يحرمون واديه).

وكانت سدانة هذا البيت لآل ابي العاص بن أبي يسار بن مالك من ثقيف أو لبني عتاب ابن مالك. وكانت قريش وجميع العرب يعظمونه أيضا، ويتقربون إليه حتى إن ثقيفا، كانوا إذا قدموا من سفر، توجهوا إلى بيت اللات أولا، للتقرب إليه وشكره على السلامة، ثم يذهبون بعد ذلك إلى بيوتهم.

وقد تم هدم هذا البيت في أيام النبي ﷺ، هدمه أبوسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة.

ويقول ابن الكلبي في كتابه (الأصنام)(١٨):

(اللات بالطائف، وهي أحدث من (مناة) وكانت صخرة مربعة، وكان يهودي يلت عليها السويق، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم (أو اخر القرن الثاني للهجرة) وهي التي ذكرها الله في القرآن الكريم فقال ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾.. وفيها يقول شداد بن عارض الجشمي حين هدمت وحرقت، ينهر ثقيفا عن العود إليها والغضب لها:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها
وكيف نصركم من ليس ينتصر

*كاتب وباحث لبناني

إن التي حرقت بالنار فاشتعلت
ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم
يطعن، وليس بها من أهلها بشر

وكانت ثقيف تخص اللات بالعبادة بينما كانت قريش تعبد العزى. وكانوا يسمون بيت اللات (الربة) فقد جاء في حديث عروة بن مسعود الثقفي لما اسلم وعاد الى قومه دخل منزله، فانكر قومه دخوله قبل أن يأتي إلى (الربة) – يعنون بها اللات – كما جاء في حديث وفد ثقيف، على النبي ﷺ: «وكان لهم بيت يسمونه (الربة) يضاهئون به بيت الله»(١٩).

وفي تاج العروس: (بيت الربة، وهو البيت الذي بني على اللات).

٥) ذو الكعبات:

وهو من البيوت المعظمة عند عرب الجاهلية، وكان لربيعة، وموقعه في القسم الشمالي الشرقي من جزيرة العرب عند نهر يقال له (سنداد) وإليه كانت العرب تحج.

وقد دعي هذا البيت: (ذو الشرفات) ويروي المؤرخون أن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز مر بقصر لآل جفنة، فتمثل مولاه مزاحم بقصيدة الأسود النهشلي التي يقول فيها(٢٠):

ماذا أدخل بعد آل محرق
تركوا منازلهم، وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق
والقصر، ذي الشرفات في سنداد

فقال له عمر: ألا قرأت: ﴿كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ [الدخان/٢٥-٢٨].

وفي كتاب: صفة جزيرة العرب للهمداني: (وكانوا – أي العرب – يعبدون بيتا سمي (ذا الكعبات) وفيه يقول المتلمس، الشاعر:

ألك السدير وبارق
ومبايض، ولك الخورنق
والقصر من سنداد
ذو الكعبات والنخل المبنق

وفيه، كذلك، يقول الأسود بن يعفر في بعض الروايات:

أهل الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذي الكعبات من سنداد

٦) بيت غمدان:

وإلى جانب (الكعبات) التي ذكرناها، فإنه كان للعرب في جاهليتهم، باليمن، بيت يعظمونه، ويؤدون فيه مناسكهم الدينية الوثنية. وهو (بيت غمدان) وهو الذي شاده في صنعاء أحد أقيال اليمن ويدعى (ليشرح بن يحصب) وجعله على اسم الزهرة (الكوكب) الذي اشتهر كذلك باسم (عشتروت) فقد نقل ياقوت الحموي الرومي البغدادي عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أن ليشرح هذا، أراد اتخاذ قصر له بين صفاء وطيوة، فأحضر البنائين والمقدرين لذلك، فمدوا الخيط ليقدروه، فانقضت على الخيط حدأة، فذهبت به، فاتبعوه حتى ألقت به في موضع غمدان، فقال ليشرح (ابنوا القصر في هذا المكان) فبنى على أربعة أوجه: وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر.

وبني في داخله قصر على سبعة سقوف، بين كل سقفين منها أربعون ذراعا، وكان ظله إذا طلعت الشمس يرى على (عيتان) وبينهما ثلاثة أميال وجعل أعلاه مجلسا بناه بالرخام الملون. وجعل سقفه رخامة واحدة، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه (نحاس) كأعظم مايكون من الأسد. فكانت الريح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل، دخلت من دبره وخرجت من فيه، فيسمع له زئير كزئير السباع. وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقا أو مطرا ولا يعلم أن ذلك من ضوء المصابيح). قال ياقوت، وفيه يقول ذو جدن الهمداني:

وغمدان الذي حدثت عنه
بناه مشيدا في رأس نيق
بمرمرة وأعلاه رخام
سخام لا يعيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه
إذا يمسي لتوماخي البروق
فأصبح بعد جدته رمادا
وغير حسنه لهب الحريق

وهذا البيت الذي كان أول معبد بني في جنوب الجزيرة العربية بقي قائما إلى مابعد ظهور الدعوة الإسلامية. ولما ولي عثمان بن عفان رضى الله عنه سدة الخلافة، أمر بهدمه، فقيل إن كهان اليمن يزعمون أن الذي يهدمه يقتل، فأمر بإعادة بنائه، فقيل له، لو انفقت عليه خراج الأرض ما أعدته كما كان. فتركه خرابا، ويقول ياقوت إنه وجد على خشبة في هذا البيت وعليها كتابة من الرصاص المصبوب: (اسلم غمدان، هادمك مقتول)، ومن عجيب المصادفة أن هذا الخليفة لقي حتفه قتلا على ماهو معروف في التاريخ.

أقول، وفي صنعاء اليوم قصر معروف بهذا الاسم، وقد اتخذت منه الحكومة اليمنية في المدة الأخيرة مستودعا للاسلحة والذخائر الحربية. وإني سألت صديقي سعادة السيد محمد عبدالقدوس

تم هدم (اللات) في أيام النبي ﷺ.. هدمه أبوسفيان ابن حرب والمغيرة بن شعبة

الوزير، سفير الجمهورية العربية اليمنية في بيروت، عن حقيقة هذا القصر الأخير، وما إذا كانت له صلة بالمعبد الذي كان في صنعاء قبل الإسلام، فنفى لي سعادة السفير قيام مثل هذه الصلة، وقال إن القصر الحالي قديم العهد ولكنه لا يرقى في بنائه إلى العصر الجاهلي، بل هو من الأبنية التي شيدت في العهد العثماني، وليس بين القصرين، القديم والحديث أية صلة تاريخية، وإن كانا يحملان اسما واحدا. هذا، وإن المسعودي عد (بيت غمدان) أحد المعابد السبعة التي تعتبر أقدم ماعرف البشر من البيوت المعظمة في التاريخ.

عد المسعودي (بيت غمدان) أحد المعابد السبعة التي تعتبر أقدم ماعرف البشر من البيوت المعظمة في التاريخ القديم

٧) بيت ريام:

قال ابن الكلبي(٢١): (وكان لحِمْير بيت بصنعاء يقال له رئام، يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح، وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه، فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه إلى العراق، قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة. فأمراه بهدم رئام، قال: شأنكما، فهدماه، وتهود تبع وأهل اليمن. فمن ثم لم اسمع بذكر رئام ولا (نسر) في شيء من الأشعار والأسماء.. قال هشام أبو المنذر: (ولم اسمع في رئام وحده شعرا، وقد سمعت في البقية..)

٨) ذو الشرى:

ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال(٢٢): (ذو الشرى صنم كان لدوس، كانوا قد حموا له حمى). وقال أيضا: الشرى جبل بنجد في ديار طيء وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع.. وموضع عند مكة.. وفي مكان آخر، قال ياقوت: (الشرى ما كان حول الحرم. وهي الشراء الحرم) على أن المصادر اللاتينية قالت إن ذا الشرى كعبة كانت في مدينة سلع بالبتراء، وأن هذه الكعبة كانت بيتا على اسم (الشمى) وأن كلمة (ذي الشرى) هو الاسم الآخر للشمى، ومعناه (الإله المنير) ولقد كان هذا الإله الأسطوري قائما على قاعدة مكسوة بالذهب في بيت خاص به وهذا البيت كان أيضا قائما على صخرة مرتفعة(٢٣) وهو موشى بالذهب وبداخله صور تمثل مشاهد تقديم القرابين إليه، وكان الانباط وسائر الناس يحجون إليه من مواطن بعيدة تقربا للصنم الذي في داخله(٢٤).

ويرى بعض الكتاب من اللاتين واليونان أن (ذا الشرى) هو نفس الإله الأسطوري الغربي باخوس ديونيسيوس وكان أهل الجاهلية يطلقون عليه اسم رب البيت. وذكره ابن الكلبي في جملة الأصنام التي عبدها العرب وأنه كان خاصا ببني الحارث بن يشكر بن مبشر.

٩) رضى:

ويكتب أيضا (رضاء)، وذكره ابن الكلبي في كتابه (الأصنام) وقال إنه كان بيتا لربيعة ابن تعب بن سعد بن زيد بن مناة، وقد هدمه المستوغر في الإسلام، وقال بعد أن هدمه شعرا جاء فيه(٢٥):

ولقد شددت على رضاء شدة
فتركتها تلا تنازع أسحما(٢٦)
ودعوت عبدالله في مكرورها
ولمثل عبدالله ، يغشى المحرما

ويقول جواد علي إن (رضى) من الأصنام التي عبدها قوم ثمود وأن عبادته كانت منتشرة بين العرب الشماليين(٢٧). وفي رأي بعض المستشرقين أن هذا الصنم كان بمنزلة (عثتر) عند الجنوبيين، ويظن بعضهم أن (أرضو) أو (أرصو) الذي قال عنه هيردوت المؤرخ، بأنه أحد آلهة العرب الكبرى، يظن أنه هو نفس (رضاء) الذي أشار إليه الأخباريون(٢٨).

١٠) بس:

يستفاد من كلام صاحب معجم (تاج العروس(٢٩) أن (بس) كان بيتا تعبده قبيلة غطفان. وسبب بنائه، ان رجلا من هذه القبيلة اسمه ظالم بن أسعد، لما رأى القرشيين يطوفون بالكعبة المشرفة ويسعون بين الصخرتين (الصفا والمروة) أراد أن يجعل لقومه بيتا يطوفون به دون البيت الذي في مكة المكرمة. فأخذ قياسات البيت الحرام طولا وعرضا، واقتطع من الصفا والمروة، حجرا من هذه وآخر من تلك ولما عاد إلى قومه بنى لهم على قدر البيت الحرام بيتا آخر ووضع فيه الحجرين وقال لهم: هذا الصفا والمروة، وطلب إليهم أن يقصروا حجهم على البيت الذي بناه لهم، إلا أن ذلك لم يعجب بعض الناس الذين كانوا يرون ضرورة الحفاظ على حرمة البيت الحرام الذي في مكة المكرمة فانبرى واحد منهم يقال له (زهير بن جناب الكلبي) وأقسم أنه لا يكون ذلك وأنا حي، ولا أخلي غطفان تتخذه (صرحا) أبدا. وأغار زهير على ظالم المذكور فقتله وهدم البيت الذي بناه(٣٠).

١١) الربة:

في تاج العروس وفي النهاية لابن الأثير: (الربة ، كعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحارث بن كعب).

كعبات أخرى كانت العرب تحج إليها وتعظمها

وفي الجزيرة العربية كثير مما

ذكرنا من الكعبات، فلقد كان من عادة أهل الجاهلية أن يجعلوا لكل صنم من أصنامهم بيتا خاصا به ويعاملونه معاملتهم للكعبة المكية فيقدمون عنده الأضاحي والقرابين وينفحونه بالهدايا من غالي المتاع والكسي والسلاح، ويخصصون له من يتولى فيه الحجابة والسدانة، ويأتونه اما قصدا أو عرضا في أثناء أسفارهم وتنقلاتهم، وكانوا يعرجون على بيوت هذه الأصنام للإقامة في جوارها أياما، قد تطول وقد تقصر تبعا لطقوسهم الوثنية، فيرتاحون عندها ويستسقون وكثيرا ما كانوا يختارون أن يجعلوا هذه (الكعبات) عند عيون المياه أو الغدران أو في الواحات وشعب الجبال والوديان.

ويقول الدكتور جواد علي: (والحج إلى مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى، مثل بيت اللات في الطائف وبيت العزى على مقربة من عرفات وبيت مناة وبيت ذي الخلصة وبيت نجران وبقية البيوت الجاهلية المنظمة، إنما هو أعياد يجتمع الناس فيها بأبهى ما عندهم من حلل. وأجمل ما يملكون من ملابس للاحتفال معا بتلك الأيام، وهم يدخلون السرور على أنفسهم وعلى آلهتهم بحسب اعتقادهم، وتقترن هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات، كل يذبح على قدر طاقته ومكانته، فيأكل منها في ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم في أثناء السنة لفقره، فهي أيام يجد فيها الفقراء لذة ومتعة وعبادة). وفي كتب الأخبار ومدونات الأشعار، أكثر من إشارة إلى أن القبائل العربية في جاهليتها، كانت تطوف في أعيادها حول كعبات أصنامها، وتهدي إليها ثم تنحر عندها بعد إكمال طوافها دلالة على إكمال شعائر الحج إلى هذه المواضع المعظمة(٣١).

وإذا نحن راجعنا ما كتبه المؤرخون عن أصنام العرب وبيوتهم المعظمة في الجاهلة نجد هؤلاء المؤرخين يشيرون إلى أن الجاهليين كان لهم بيوت يعظمونها ويقدسونها، غير البيت الحرام الذي في مكة المكرمة مثل بيت ذي الشرى الذي كان للنبط في البتراء، وإلى مثل هذا ذهب المستشرق الألماني ولهوزن وجماعة من أمثاله الذين قالوا بتعدد بيوت الأرباب التي كان العرب يحجون إليها في شهر ذي الحجة، وإلى عدم حصر الحج في الجاهلية بموقع واحد دون سواه. وغير بيت ذي الشرى ذكر المؤرخون في جملة بيوت العرب المعظمة. (بيت رضى) ويكتب رضاء، وقد ورد اسم هذا البيت في كتابات ثمودية عديدة كما ورد في كتابات الصفويين باسم (رضو)(٣٢). وذكر ابن الكلبي في كتابه (الأصنام) أن بيت رضى كان لربيعة بن كعب بن سعد بن زيد ابن مناة. وقد هدمه المستوغر في الإسلام وقال:

ولقد شددت على رضاء شدة
فتركتها تلا تنازع أسحما
ودعوت عبدالله في مكرورها
ولمثل عبدالله يغشى المحرما

وذكر ابن حبيب أنه كان بالطائف، بيت اللات، وهو على صخرة لثقيف، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة، وكان له حجبة وكسوة، وكانوا يحرمون واديه، فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه، وكان سدنته آل ابي العاص من بني يسار بن مالك من ثقيف وكان (بيت شمس) لبني تميم. وكانت تعبده بنو إدّ كلها ضبة وتميم وعدي وعكل وثور وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جردة بن اسيد بن عمرو بن تميم، فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس بن مخاشن(٣٣).

كما ذكر محمود سليم الحوت في كتابه (في طريق الميثولوجيا عند العرب) أن هناك بيوتا معظمة كثيرة في أماكن شتى من بلاد العرب من ذلك (الفلس) لقبائل طيء عند جبلي

كانت القبائل العربية في جاهليتها، تطوف حول أصنامها، وتهدي إليها ثم تنحر عندها بعد إكمال طوافها



كان (اللات) بالطائف لثقيف على صخرة، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة (التي في مكة المكرمة)

أجاد سلمي و(السعيدة) وكان هذا أيضا بيتا تحج إليه العرب وسدنته بنو عجلان، وقيل ان قبائل الأزد كانت تعبده(٣٤) ■

الهوامش:

١٧) تاريخ العرب قبل الإسلام، القسم الديني ج (٥) ص ٩١، طبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

١٨) كتاب الأصنام ص ١٦ و ١٧.

ويقول جواد علي في كتابه: تاريخ العرب قبل الإسلام ج(٥) ص٩١ ومابعدها: (وأما الصنم (اللات) فإنه من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب، وهو (أليلت) الإله الرئيسي عند العرب في أيام المؤرخ (هيرودوت) وهو (اللت) في نصوص الحجر وملخد أي في النصوص النبطية التي عثر عليها في هذه الجهات.. وهو (هـ ل ت) في النصوص الصفوية ولعله (هلات) أي على نحو ما ينطق بالكلمة في لهجة القرآن الكريم والهاء في الكلمة أداة تعريف في اللهجة الصفوية، فيكون المراد (اللات) ويظن أن (اللات) هي الشمس بدليل أن الشمس انثى، اي إلهة في العربية وفي كثير من اللهجات السامية الأخرى، وان اللات انثى كذلك.

١٩) كتاب (الأصنام) لابن القلبي، ص ١٠٩.

٢٠) في طريق الميثولوجيا عند العرب. تأليف محمود سليم الحوت، حـ١ ط أولى سنة ١٩٥٥ ص١٣٧

٢١) معجم البلدان. لياقوت الرومي الحموي، المجلد الرابع ص٤٦٣، طبع دار صادر ودار بيروت ببيروت.

٢٢) معجم البلدان، المجلد (٤) ص ٢١٠

٢٣) كتاب الأصنام تحقيق أحمد زكي (باشا) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٤ و ١٩٦٥م ص١١ ومابعدها قال أحمد زكي: ذكره الجاحظ في رسالة التربيع والتدوين ص١٠٣ بقوله في تقريع ابن عبدالوهاب: (خبرني ابقاك الله، من كان باني ريام؟)

٢٤) معجم البلدان ط: دار صادر، دار بيروت سنة ١٣٧٦ هـ/ ١٩٦٥م ج (٣) ص٣٣٠

٢٥) هناك من يقول بانه كان يوجد بداخل هذا البيت حجر أسود غير مصقول ارتفاعه ٤ أقدام وعرضه قدمان، وكان الناس يقصدونه من أماكن قصية للاحتفال به في اليوم ٢٥ من شهر كانون الثاني كل عام مرة.

على أن العالم الأثري أحمد كمال باشا نشر في مجلة المقتطف المصرية ج (٢٣) ص ٥٠٥، أن كلمة ذي الشرى كأنها من (حرتشر) أي حوريس الأحمر، وهو اسم المريخ بالمصرية القديمة (نقلا عن مجلة الآثار لعيسى اسكندر المعلوف ج (١٠) مجلد (٤) الصادر في كانو ن الأول سنة ١٩٢٧، جمادي الثانية سنة ١٣٤٦هـ.

٢٦) كتاب (الاصنام) ص٣٠، والمستوغر هو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زبد بن مناة بن تميم، وإنما سمى المستوغر لأنه قال:

ينشى الماء في الربلات منها
نشيش الرضف في اللبن الوغير

٢٧) الاسحم: صنم أسود.

٢٨) مراجع (تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد علي ص ١٥٠-١٥٦.

ويقول العالم الأثري المصري المرحوم أحمد كمال: (رضا) وهو بيت صنم لربيعة، ومصريته (رتاو) أو (رع تاري) مؤنث (رع) زوجة (منتو).

(راجع مجلة الآثار لعيسى اسكندر المعلوف ج (١٠) مجلد ٤ ص ٤٩٥.

٢٩) كتاب الأصنام، التكملة التي جمعها محقق هذا الكتاب أحمد زكي باشا

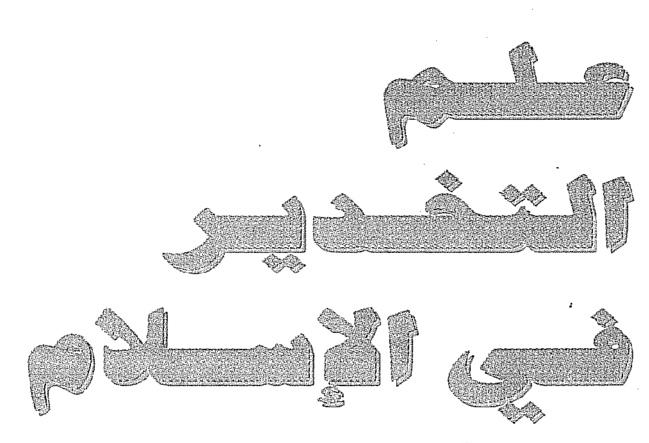
٣٠) يقول جواد علي في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام جـ(٥) ص ٩٨:
والحرم الذي نحن بصدده (أي بس) ظن ابن الكلبي أورواة كتاب (الاصنام) أنه بيت ولذلك قال أو قالوا: فبنى عليه (بسا) وهو قول غريب فبس إنما هو ماء لغطفان عنده أقيم ذلك الحرم، وقد ورد بس بصيغة (لبس) في موضع من كتاب، (الاغاني):١٢/ ١٢١ (أخبار الحصين بن الحمام ونسبه) وهو خطأ قد يكون من النساخ إهـ.

٣١) تاريخ العرب قبل الإسلام، ج (٥) ص ٢١٧.

٣٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ج (٥) ص ١٠٥.

٣٣) المجر، ص ٣١٥ ومابعدها.

٣٤) الكتاب المذكور ص ١٣٧ و ١٣٨.



علم التخدير في الإسلام

بقلم: أ. د. ماهر خليل*

يؤكد الباحثون في تاريخ العلوم بما لديهم من وثائق علمية، ومصادر تاريخية – مع قلتها وندرتها – على سبق المسلمين الأوائل في علم التخدير، فلم ينس المسلمون أن أول خلق الله تعالى كان آدم عليه السلام، وعندما أراد الله أن يخلق منه حواء، أخلده سبحانه إلى النوم فاستيقظ فإذا بجانبه حواء، خلقت من ضلعه الأيسر.. فكان أول تفكير المسلمين في النوم كأداة للتخدير، ولكن كيف يستسلم المريض للنوم؟

ومن هنا بدأ المسلمون يتفننون في استحداث أساليب مختلفة كي ينام المريض لعمل جراحة معينة، فتعلموا أولاً من الصينيين استعمال الإبر الذهبية أو الفضية على العقد العصبية، ثم استعملوا نبات حيق الراعي بعد حرقه للتخدير، وجربوا حبس الدم عن المناطق المختلفة من الجسم، باستعمال الضغط الشرياني أو الوريدي لتخدير المكان.

ولم يكتف المسلمون الأوائل بذلك، بل لجأوا إلى حرق بعض النباتات، واستعمال أبخرتها ليستنشقها المريض فيتخدر، ويقوم الجراح بعمله بعد ذلك، واستعملوا الكحول في كل المواد المخدرة بنسبة معينة.

*جامعة الكويت – كلية العلوم – قسم الجيولوجيا

كان أول تفكير المسلمين في النوم كأداة للتخدير.. أخذوا ذلك من قصة خلق حواء من ضلع آدم

والذي يقرأ كتاب القانون في الطب لابن سينا، يجد أنه يوصي باستعمال نبات اليبروح كمخدر وهذا النبات من الفصيلة الباذنجانية.

وكما يقول الباحثون في تاريخ العلوم، فإن التخدير أصله عربي، ولم ينل المسلمون الأوائل تلك السمعة العالمية في الطب إلا لمعرفتهم التخدير .. نعم .. وإلا كيف كان يمكن لعالم وجراح عربي كالزهراوي مثلاً، أن يقوم بعمليات استخراج الحصى من الكلى، أو الحالب، مستخدما المشرط والخياطة، دونما تخدير المريض؟ فلقد كان عمله حقيقة عملا رياديا وعظيما في عصره، لقد كانوا يستخدمون قطعة من القماش أو الكتان لتمتص المناقيع، ويضعونها على أنف المريض قبل بدء الجراحة، فكانوا أول من استخدم الاستنشاق لتخدير المريض، فإن الروم في عصرهم كانوا يستعملون مشروبات فقط في التخدير، ولم يعرفوا الاستنشاق بعد، كما يقول د.: نزار العاني وهو باحث في تاريخ العلوم.

لقد استخدم المسلمون الحشيش والأفيون بنسب مختلفة، ونبات ست الحسن، أو البلادونا حاليا، والشكران كذلك الذي تجرعه سقراط قبل موته بكمية كبيرة، فالقليل منه يحدث تخديرا وتنميلا في الجسم. والأعجب من هذا أنهم أول من عرف المراهم كمخدرات قبل الجراحة. كما يذكر الباحث الدكتور طه الجاسر أن العرب عرفوا الأثير كمخدر وزيت الزاج «حمض الكبريتيك» لعمل المراهم والمخدرات.

هذه مساهمة يسيرة من آبائنا الأوائل في بناء صرح الحضارة العلمية والإنسانية، ولذلك ارتفع شأنهم وعلا ذكرهم، وسجلت أسماؤهم بأحرف من نور في صفحات التاريخ. فهل آن الأوان لنواصل المسيرة ويفخر بنا الأجداد كما فخرنا بهم. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [التوبة/١٠٥] ■

لقد استخدم المسلمون الحشيش والأفيون بنسب مختلفة، ونبات ست الحسن كمواد لتخدير المرضى

لم يعرف تاريخ العالم نظاماً أشد قسوة على الانسان من نظام الهند الطبقي

إذا كانت الأمراض تستطيع أن تفتك بالجسم البشري وتميته فإن الظلم يفتك بالامم ويرديها في مهاوي السقوط الحضاري ومن أشد أنواع الظلم فتكاً داء التمييز العنصري الذي عرفه الإنسان على مدار العصور وجاء الاسلام بتعاليمه السمحة ليقضي على كافة أشكال هذا التمييز الذي استفحل داؤه في عصرنا الحديث.

لقد افتضح القضاء الأمريكي وبانت سوآته عندما حكم ببراءة أربعة ضباط اعتدوا على زنجي مما أثار ردود فعل عنيفة. عالمية ومحلية بين الزنوج ودفعهم إلى القيام بمظاهرات عارمة قتل فيها وجرح المئات ونهبت محلات وحدثت خسائر بملايين الدولارات.

لا عدالة ولا مساواة إلا في الإسلام

بقلم: أشرف شعبان أبو أحمد

وهذه ليست الحادثة الأولى التي يعلن القضاء الأمريكي تحيزه وتميزه في الحكم ليس بين ماهو أمريكي وغير أمريكي. بل بين الأمريكان أنفسهم.

ففي عام ١٩٨٠م برأ المحلفون البيض ستة من الضباط البيض قاموا بضرب أحد مندوبي التأمين السود حتى الموت. وقد اندلعت وقتها اضطرابات محدودة نتج عنها مقتل (١٨) شخصا وإصابة المئات وتكررت نفس الواقعة بظروف مختلفة عام ١٩٩٠م.

اضطرابات دموية عنيفة

وإذا عدنا للوراء قليلا نجد أن الاستياء من التميز العنصري يأخذ شكل الاضطرابات الدموية العنيفة ففي عام ١٩١٧م اندلعت اضطرابات عنصرية أدت إلى مقتل (٤٨) شخصا وفي عام ١٩٦٥م حدثت اضطرابات أخرى راح ضحيتها (٤٠) شخصا وأسفرت عن خسائر بـ٢٨١ مليوناً من الدولارات..

وكان «مقتل مارثن لوثركنج» داعية السلام الأسود في أبريل عام ١٩٦٨م أحد الأسباب لاندلاع اضطرابات واسعة امتدت وقتها حتى مسافة (٥٠٠) متر من البيت الأبيض وفقدت الشرطة السيطرة على الموقف فاستعانت بوحدات من الجيش. وقتل في هذه الاضطرابات (٤٦) شخصا وجرح آلاف آخرين أما حصيلة الاعتداء الأخير هذا فكانت نحو (٥٨) قتيلا و(٢٣٢٨) مصابا (١٠ آلاف و١١٤ معتقلا) ونحو (٧٥٠) مليون دولار خسائر مادية. وشملت هذه الاضطرابات عشرة مدن.

وليس الهدوء الذي يعقب كل انتفاضة دليل على عودة الود بين البيض والسود وإلا لما اندلعت الاضطرابات المرة لو الأخرى وستظل الأمور كما هي هدوء يعقبه اضطرابات ولو ساد السكون بعض الوقت فإنه سكون قبل العاصفة.

جذور التمييز العنصري

وعموما فإن هذه العاصفة ومثيلاتها تفجر قضيتين كل منهما أكثر أهمية من الأخرى. الأولى قضية التمييز العنصري. والثانية المحاباة وعدم المساواة أمام القانون والتمييز العنصري قد تم بين الأمم فقد عرف عند اليونان والرومان والهنود واليهود وغيرهم. وقد أباحوا لأنفسهم استرقاق واستعباد باقي الخلق. فمن المعروف أن قدماء اليونان كانوا يعتقدون أنهم هم وحدهم كاملوا الإنسانية وقد زُودوا بجميع ما يمتاز به الإنسان عن الحيوان من قوى العقل والارادة على حين أن الشعوب الأخرى ناقصة الانسانية مجردة من هذه القوى لا تزيد كثيرا من فصائل الأنعام وأنهم قد خلقوا ليكونوا عبيدا مسخرين لليونان.

وقد عبر أرسطو عن هذه النزعة العنصرية في قوله: (إن الله خلق فصيلتين من الناس فصيلة زودها

بالعقل والارادة وهي فصيلة اليونان وقد فطرهم على التقويم الكامل لتكون خليفته في أرضه وسيدة على سائر خلقه وفصيلة لم يزودها إلا بقوى الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا بالجسم وهؤلاء هم البرابرة أي ما عدا اليونان من بني آدم وقد فطرهم على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة).

وكان الرومانيون يعتزون بعنصريتهم ويرون أنهم أرقى أهل الأرض جميعا وأعظمهم مدنية وثقافة وكانوا يلقبون سائر شعوب العالم بالبرابرة وأن هذه الشعوب لا تستحق أن تحكم نفسها بنفسها أو تتمتع بأي حق من الحقوق المباحة للرومانين وحسبها أن تقوم بخدمة الامبراطورية الرومانية وأن تقوم هذه الشعوب بدور الناقة للركوب أو البقرة الحلوب للعنصر الروماني الرفيع وليس لها أن تنال أكثر من أن يقدم لها من العلف ما يقيم صلبها ويدر ضرعها. فهذه الشعوب مجرد أشياء شأنها شأن الجمادات والحيوانات وليس بأشخاص وليس لهم أي حقوق أو مطالب أو أمنيات أو رغبات.

التمييز في الهند

وفي الهند. لم يعرف تاريخ العالم نظاما أشد قسوة على الإنسان واستهانة بكرامته وهدرا لقيمته من النظام الذي اعترفت به الهند دينيا ومدنيا وخضعت له آلاف السنين. ويرتكز هذا النظام على قاعدة المحافظة على السلالة الآرية ونجابتها وبوصفها الطبقة الممتازة، جعل لها السيادة المطلقة دينيا ومدنيا على سائر الطبقات الأخرى. ووضع بعض السلالات الأخرى في الطبقة الدنيا بحيث يظلون دائما عبيدا أرقاء ونفي طبقة أخرى من البشر من البنية الاجتماعية أصلا وهي طبقة المنبوذين. وإلى يومنا هذا توجد طبقة المنبوذين هذه تحرم حتى من دخول بعض المعابد فضلا عن الاضطهاد وتفاضل وتمايز سائر الطبقات عنها في كل شيء.

التمييز عند اليهود

أما عن التميز العنصري عند اليهود فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وان ما عداهم من بني الانسان ليسوا إلا كالحيوانات لهم. بنص التلمود (كتاب اليهود الذي يلتزمون به) إن سائر الناس غير اليهود حيوانات في صورة إنسان فهم حمير وكلاب وخنازير وكانوا يسمونهم (الأميين) فإذا ضرب واحد منهم اسرائيليا فإنه يستحق الموت لأن الاسرائيلي معتبر في نظرهم عند الله أكثر من الملائكة وأنه قد اعتدى بذلك على الذات الإلهية. ويرون أن بيوت جميع الأمم غير اليهود بمثابة زرائب للحيوانات ويعتقد اليهود بنجاسة غيرهم من الأجناس والأمم. ومن الجدير بالذكر أن الهندوس يعتقدون بهذه العقيدة القاضية بنجاسة غيره من الأمم.

ورغم ما كان يلاقيه العبيد من اذلال ومهانة ورغم منعهم من حقوقهم الطبيعية التي فطر عليها الناس منذ بدء الخليقة. نجد أن المسيحية قد أبقت الرّق على حالة بل وطلبت من الرقيق التفاني والاخلاص في خدمة الأسياد ولم تنادي بتغير حالهم ولا أحوالهم. قال القديس باسيلوس مخاطبا الرقيق: (أني لأنصحك بالبقاء في الرق حتى ولو عرض عليك مولاك تحريرك فانك بذلك تحاسب حسابا يسيرا لأنك تكون قد خدمت مولاك الذي في السماء ومولاك الذي في الأرض).

التمييز في العصر الحديث

وفي العصر الحديث كانت الثورة الصناعية والاكتشافات الجغرافية عاملا من عوامل ترسيخ المشكلة العنصرية وإباحة استرقاق سائر المخلوقات لأصحاب الفتوحات والتكنولوجيا. وقد ارتبط مثقفوا هذا العصر من فلاسفة ومفكرين برجال الفكر من اليونان والرومان وكان لهذا الارتباط سببا في تأثرهم بالموروث العنصري القديم.

فالكاتب الفرنسي (شارل دي مونتيسكو) يظهر تعصبه للون فيقول (حاشا لله ذي الحكمة البالغة أن يكون قد أودع روحا وعلى الأخص روحاً طيبة في جسد حالك السواد). وللأسف فإن هذا الرأي لم يكن قاصرا على رجال الفكر بل امتد ليشمل قناعات بعض رجال الدين في أوربا في ذلك الوقت وكان منهم من يصف الهنود الحمر بأنهم من سلالة الشيطان وكان يأمر بالقضاء عليهم بمختلف الوسائل وبدون شفقة أو رحمة.

كما كان للاستعمار الأوربي حينما استقر في بعض أنحاء الهند دور في تأصيل وتعميق فكرة التميز العنصري حيث تأثر هو الآخر بنظرية تفوق الجنس الآري. فكان هناك من يزعم أن شعوب البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشعوب السامية والشرقية بوجه عام كلها من الشعوب المنحطة التي يجب أن يستعبدها الجنس الآري ويحرص على نقائه من الامتزاج بها.

وتَمُتّ نَظَرية تفوق الجنس الآري بصلة وثيقة إلى فلسفة القوة والسيادة الألمانية التي دامت في ألمانيا خلال القرن التاسع عشر والتي حمل لواءها عدد من المفكرين والفلاسفة نخص بالذكر منهم (فردريك نبتشه) فهو أول من حطم فكرة المساواة بين الناس ودعا إلى المبدأ القائل: (بأنه ينبغي التضحية دون تردد بالجماهير في سبيل الصفوة) كما فهم من دعوته ظلم العبيد.

وقد أعطى قيام الحركة النازية في ألمانيا لهذه الأفكار مساندة ودعما كبيرا. وإذا كانت الحركة النازية قد دمرت ألمانيا وقضت على زعيمها الأول

اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وان ما عداهم من بني الانسان ليسوا إلا كالحيوانات لهم

ورجالها البارزين. فإن الفلسفة التي ارتكزت عليها النازية هي الفلسفة العنصرية ظلت قائمة. يقول ميشال ليريس في ذلك: (لقد ظن الناس أن العنصرية قد ماتت بسقوط ادولف هتلر وللأسف كانت نظرة ضيقة غاب عن ذهن أصحابها أن فكرة التفوق العنصري متأصلة في غالبية البيض حتى عند الذين يعتبرون أنفسهم أقل الناس عنصرية).

وقد كان القرن التاسع عشر حافلا بدعوتين مختلفتين حول مدى علاقة الأوربيين البيض بالشعوب الملونة والزنوج بصفة خاصة. كانت إحدى الدعوتين تتجه إلى توسيع المسافة بين أجناس البشر وإثبات الفوارق بين كل جنس منها وسائر الأجناس الأخرى. وكان الاستعمار وحب التسلط والانتفاع بالخيرات والتسخير هي أسباب المناداة بتوسيع الفوارق بين الأجناس وتفضيل جنس على آخر.

أما الدعوة الأخرى فقد قام بها فريق في انكلترا مأساة ما كان عليه يعامل السود من معاملة تتنافى مع الانسانية فقام هذا الفريق بالتنديد بتجارة الرقيق وسوء معاملة الأرقاء وكان ذلك ايذانا بإبطال تجارة الرقيق ثم اعلان عتق الأرقاء في المستعمرات الانكليزية عام ١٨٣٣م. وانضمت أمريكا إلى هذا التيار بعد ٣٠ سنة من ظهوره وأعلنت عتق الأرقاء نهائيا عام ١٨٦٣م.

قرارات بدون جدوى

ولكن لم يستطع إعلان عتق الأرقاء أن يجعل السود أحرارا متساوين في الحقوق والواجبات مع البيض وقد رأى دعاة نقاء العرق الآري أن هناك فوارق عميقة بين الأجناس لا تمحوها المساواة في الحقوق السياسية ولا يجدي فيها توحيد التربية والتعليم. وقد منع السود في معظم الولايات المتحدة من أن يدخلوا أي مؤسسة للبيض كالمطاعم والفنادق والمدارس والمكتبات العامة وقد خصصت أماكن معينة وأوقات معينة للملونين في سائر المصالح والخدمات.

وامتدت التفرقة بين البيض والملونين إلى أماكن العبادة فلم تسمح الكنائس باختلاط العنصرين بل خصصت للسود أوقاتا معينة للصلاة تعرف بأنها أوقات الخدم. وهذا هو حال الملونين وسيظل الحال على ما هو عليه. ولن يتحقق حل قضية التمييز العنصري في التوصيات الدولية أو القرارات القضائية ولا حتى في الإجراءات التنفيذية، فقد طالب الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي انعقد في ١٠/١٢/١٩٤٨م بعدم جواز التميز بين إنسان وآخر وغيره من القرارات التي لم ولن يكون لها أي جدوى طالما أنه لم يصدر من عقيدة تساوي بين البشر ولا تفرق بينهم على أساس لون أو دم. وكيف ينتظر من الأبيض أن يغير نظرته تجاه السود خاصة إذا كانت عقيدته الدينية نفسها تدعه يتصرف تجاه هذه المسألة كما يحلو له وكما تمليه عليه وجهة نظره الشخصية التي كونتها رواسب التصورات والنزعات العنصرية القديمة والحديثة. ويؤكد الباحث الأمريكي (ج. أريك لنكولن) هذه الحقيقة حين يقول: (كان الزنوج الذين تنصروا في الماضي يحسبون أنهم يجدون العزاء الروحي في إيمان الرجل الأبيض وقد تثقفوا بثقافته وتعلموا لغته فنطقوها بشيء من التقديس الملائكي ولربما أنهم قد غدوا في الوقت الخاص جزءاً من آلته الاقتصادية ولكن

امتدت التفرقة الامريكية بين البيض والملونين إلى أماكن العبادة فلم تسمح الكنائس باختلاط العنصرين بل خصصت للسود أوقاتا معينة للصلاة تعرف بأنها أوقات الخدم



ذلك كلــه لن يشفع لهم طـالما أن بشرتهم لم تزل سوداء).

ولن تتغير نظـرات البيـض إلى الملـونين ولن تتغير أو تقل انتفاضـات الملـونين على البيـض إلا إذا غير كل منهما من عقيـدته إلى العقيـدة التي لا تسمح ولا تقـرأ أي تفرق بين النـاس على أساس اللون أو الشكل أو الجنس أو العـرق أو النسـب أو غير ذلك من الاختلافات عـدا الايمان والتقوى. بل وتجعل من ذلك قـرآنـاً يتلى وتحفظـه القلـوب وتعيـه العقـول وتنفـذه الجوارح. فـالناس جميعـا خلقـوا من نفس واحـدة قـال تعـالى: ﴿يـا أيها النـاس اتقـوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منهـا زوجها وبث منهما رجـالا كثيرا ونسـاء﴾ [النسـاء/١]. وقـال تعـالى: ﴿إن أكـرمكم عنـد اللـه أتقـاكم﴾ [الحجرات/١٣].

وهذا هو معيار التفاضل بين الناس قـال ﷺ: «إن اللـه أذهب عنكم عبيّـة الجاهليـة وتكبرهـا بآبـائهـا، النـاس رجلان بـرّ تقي كريم على الله وفـاجر شقي هين على اللـه والنـاس بنـو آدم وخلق اللـه آدم من تـراب» [رواه البيهقي]، ويقـول ﷺ: «النـاس سـواسية كأسنـان المشط»، ويقـول: ليس لابـن البيضـاء فضـل على ابن السـوداء إلا بالتقـوى». وقـال ﷺ في حجـة الـوداع: «لا فضل لعـربي على عجمي ولا لعجمـي على عـربي ولا أسود على أحمر ولا لأحمر على أسـود إلا بالتقوى» [رواه البيهقي].

وقـد كـان المجتمع العـربي قبل الاسـلام مجتمعا جـاهليا كـالمجتمع العالمي في يـومنا هذا يقـوم على قبائل وعصبيـات وينقسم داخل القبيلـة الواحـدة إلى أسياد وعبيد، وكـان كأنه هو الذي نراه اليوم في المجتمع العالمي ولما جاء الاسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا انصهـروا جميعا في بوتقه الاسـلام وذابت بينهـم الفـروق التي كان ينظـر إلى الناس من خـلالها. فقد سمعـوا سيـد مضر ﷺ وهـو يقـول لفـارسي تداولتـه الأيـدي بالاسترقـاق والسخـرة: «سلمان منـا أهل البيت»، وسمعوا أمير المؤمنين عمـر يقول لعبـد حبشي هو بلال رضي الله عنـه: (سيدنا بلال)، ويعظم سـالما مولى أبي حـذيفة ويراه جـديرا بـالخلافة، ويقـدم موالي قـريش لسابقتهم في الإسـلام وحسن بلائهم في الجهاد على ساده قريش.

وعنـدما مـر بعض الملأ من قـريش وكـان لازال بهم شائبـة من الجاهليـة ورأو رسول الله ﷺ مجتمعاً مع بعض المسلمين وكـان من بينهم مـن كـانـوا بالأمس القريب عبيدا فطلبوا من رسـول الله ﷺ إبعادهم وطـردهم ليتبعه علية القـوم فنـزلت الآيـات التي تنهي عن طـردهم ولم يمانع الاسلام أن يكـون عبد حبشي أميرا للمسلمين ما أقام فيهم كتـاب الله وسنـة رسولـه ﷺ وأمرنـا بالسمع والطاعة له.

وعلى مر التاريخ كـان من العبيد قـوادا كبارا مثل مـؤنس وجوهـر وكـافور بمصر وسبكتكين في بـلاد الأفغان وفي عهد العباسيين الأوليين نجد عبـدا يتولى امـارة مصر وهو يحيى بن داود الخرسي الـذي ولي الامارة من سنة ١٦٢-١٦٤ هـ.

لا عصبية في الاسلام

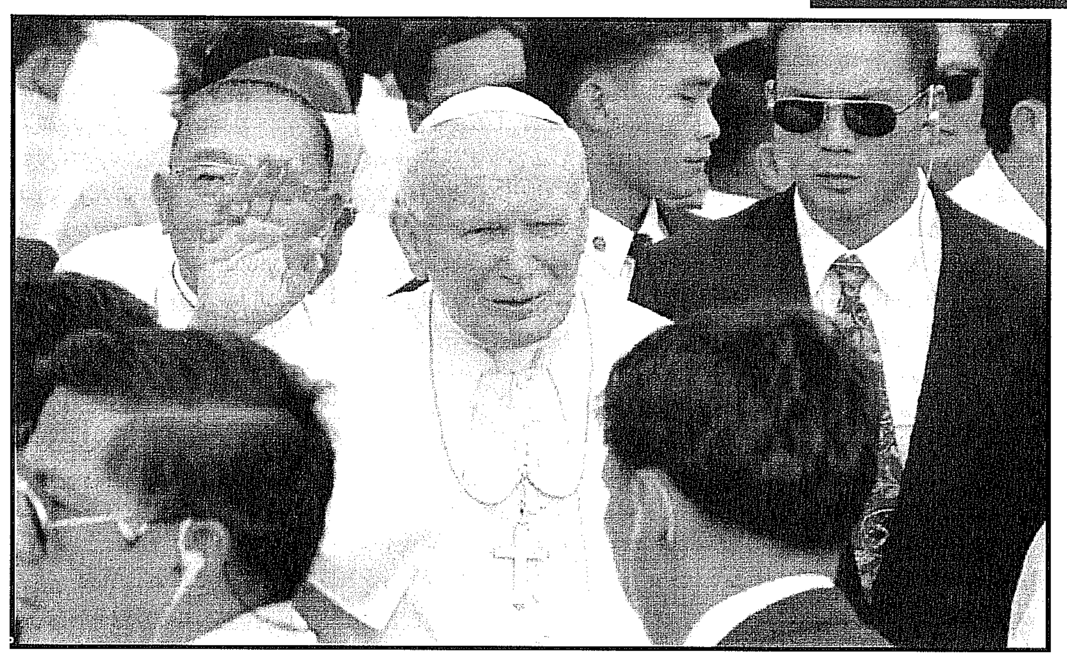
وقد عـد الاسلام الهتـاف والتناصر للعصبيـات الجاهليـة القـائمـة على أساس النسـب والدم والعـرق واللون والـوطن واللغـة افسـادا ورجعـة إلى الجاهليـة. فقـد قـال رسـول اللـه ﷺ عنـدمـا سمع الأنصـار يقـولـون يـا لـلأنصار والمهـاجـرين يقـولون: يـا للمهاجرين. قال «دعـوها فانها منتنه» [رواه البخـاري ومسلم]. وقـد عمل الاسلام على إزالة الـرق بوسائل كثيرة منها أنه جعل العتق قرقة للعبد من الله وكفارة لبعض الـذنوب وقـرر الاسلام تخصيص جـزء من الـزكاة لتحـريـر الأرقـاء. وقـد أوصى الاسـلام بحسن معـاملـة الـرقيق. يقـول ﷺ: «لا يقل أحـدكم عبـدي وأمتي وليقل فتـاى وفتاتي» [رواه البخاري ومسلم].

وإذا انتقلنـا من هـذه النقطـة إلى العدالـة فلم يشهد العالم كلـه قديما وحديثا ولم يكتب التاريخ مثلما كتب من العدالـة في ظل الاسلام.. وَلِمَ لا؟ والعدالة أمر إلهي يكتمل الايمان بها. ولم يعرف القضاء الاسلامي التحيز لفئـة دون أخـرى ولا التميـز بين الأبيض والأسـود ولا بين الحاكم أو الـرعية ولا بين حـر وعبد فـالكل سواسية لا يخفف من العقـوبة لعلو مكانـة أو يشدد منهـا لصغر شأن. الرسـول ﷺ قد طبق مبـدأ المساواة أمـام القانـون أفضل تطبيق عندمـا أعلن: «واللـه لو سرقـت فاطمـة بنت محمـد لقطع محمـد يـدهـا» [رواه البخاري].

وهذا هـو عمر بن الخطـاب يقول لعمـرو ابن العـاص حـاكم مصر في حـادث اعتـداء ابن عمـرو على أحـد أفراد الرعية: (متى استعبدتم الناس وقد ولـدتم أمهاتهم أحـرارا) بل نفذ عمـر بن الخطاب حكم القصـاص في ابن حـاكم مصر وقال للفـرد اضرب ابن الأكـرمين. وفي حـادثـة أخـرى اقتص عمـر بن الخطـاب من الملك جبلـه بن الايهم عندمـا لطم اعرابيـا ولما اعترض الملك قـال لـه عمـر: (الاسلام سوى بينكما).

وفي خلافة علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، فقد منه وهو أمير المؤمنين درعـا ووجـدهـا مع يهودي ولكن اليهودي ادعـى ملكيته للدرع فـرفع الأمر للقضاء فحكم لصالح اليهودي ضد الخليفـة لأنه لا يملـك دليلا على ادعـائه ولم يتحيـز لأمير المؤمنين أو يجامله. وهكذا فـالتاريخ الاسلامي مليء بـروايـات كثيرة تحكي عـدل القضاء الاسـلامي وعـدم تحيزه أو تميزه بين حاكم ورعيته أو بين رعية وأخـرى لاختـلاف لـون أو منصب أوجاه وظلت هذه الـروايات كالنجوم تضيء لنا طريقنا نحـو العدالة ولعل المفتنـون بكل ماهـو أمريكي تكـون هذه الحادثة عبرة وعظة لهم■

قال ﷺ: «إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتكبرها بآبائها، الناس رجلان برّ تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب»



● لبابا روما نشاط ملحوظ في زيارة البلدان الإسلامية

تَدينُ مبادرة الكنائس المسيحية في حوارها مع الأديان الأخرى الشيء الكثير للإرساليات التنصيرية الأولى في بداية هذا القرن

يرتكز هذا البحث على افتراض كاتبه أن حوار المسيحية مع الأديان الأخرى قد انبثق بسبب الإشكالات الداخلية التي كانت تعاني منها الإرساليات التنصيرية، وكذلك إدراك الجهات المعنية أن تحديات التعدد الديني توجب مبادرات جديدة من قبل الكنائس. وقد أخذت النقاشات التي دارت حول التعدد الديني في الحسبان، التغيرات الاجتماعية والسياسية التي بدأت ترتسم في الأفق. وعلاوة على ذلك فإن قبول الحوار المنظم مع الأديان الأخرى تعرض ويتعرض إلى ضغوط ورقابة شديدة من طرف الكنائس الإنجيلية، الأمر الذي جعل عملية الحوار عبارة عن إرسالية إنجيلية لا غير. لهذا ينبغي على المسلمين والمسيحيين – وكذلك على كل المشاركين في المرحلة الحالية من الحوار بين الديانتين – إعادة النظر في العلاقات التي تربط بين الطرفين، خاصة في سياق اجتماعي وسياسي جديد.

الحوار مع الأديان الأخرى

بقلم: د. عطاء الله صديقي*

وسيحاول هذا البحث أساسا فحص النقاشات والمداولات التي دارت ضمن مجلس الكنائس العالمي (الذي يضم في عضويته بعض الكنائس الأورثوذوكسية)، وكذلك النقاشات والمداولات التي دارت في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وأما النقاشات التي دارت بين المسلمين أنفسهم حول موضوع الحوار مع الأديان الأخرى، فليس موضوع هذا البحث.

تَدينُ مبادرة الكنائس المسيحية في حوارها مع الأديان الأخرى الشيء الكثير للإرساليات التنصيرية الأولى في بداية هذا القرن. فقد بادر المؤتمر التنصيري الأول الذي عقد عام ١٩١٠م، في ادنبرة بإعادة النظر في الأنشطة التنصيرية في العالم. وفي نفس هذا المؤتمر الذي شارك فيه حوالي ١٢٠٠ شخص، مثلوا ١٦٠ منظمة مسيحية، تم إنشاء عدة لجان تتعلق بالإرساليات التنصيرية. وقد خصصت إحدى هذه اللجان لموضوع رسالة الإرساليات التنصيرية للأديان غير المسيحية(١). ولكن الفهم الذي

* دكتوراه من جامعة برمنجهام (بريطانيا) في الأديان المقارنة، وباحث في وحدة الحوار بين الأديان التابعة للمؤسسة الإسلامية ببريطانيا– ترجمة: مقران قزو

كان يسود آنذاك هو أن مهمة الإرساليات التنصيرية هي إدخال الناس في الدين المسيحي، وعندما نقول الدين المسيحي، فإننا نعني بذلك المفهوم الغربي أو اللاتيني للمسيحية. ومهما يكن من أمر، فإن الاتجاه غير المعلن الذي تبناه هذا المؤتمر هو أن كل الأديان والاعتقادات الشرقية سوف تخفق لا محالة، وأن المسيحية ستكون لها اليد الطولى على غيرها من الأديان.

ولكن الحرب العالمية الأولى، وما صاحبها من دمار زعزعت نوعا ما يقين الغربيين في قدراتهم وثقتهم بأنفسهم، حتى أن بعض مفكريهم أصبحوا يرون أن (أفول الغرب)(٢)، قد أضحى أمرا لا مفر منه. والعامل الآخر الذي زعزع يقين الغربيين في ثقتهم بأنفسهم هو نجاح الثورة البلشفية عام ١٩١٧م، والآثار التي نجمت عن ذلك في الغرب الرأسمالي، هذه الآثار التي تركت بصماتها على الكنائس المسيحية نفسها. فبينما كان الموقف السائد في الأوساط المسيحية التنصيرية قبل الحرب العالمية الأولى أن الأديان الأخرى لا قيمة لها، تغير هذا الموقف مع المؤتمر الثاني للإرساليات التنصيرية الذي عقد في القدس عام ١٩٢٨م. لقد تحول موقف الإرساليات التنصيرية من موقف تخطيط استراتيجي لإدخال غير المسيحيين في الدين المسيحي، إلى موقف تقييم. وقد أقر واعترف المشاركون في هذا المؤتمر بالقيم الموجودة في الأديان الأخرى(٣). ونادى المؤتمر (كل المؤمنين بالله) بالانضمام مع المسيحيين لمواجهة تنامي الاشتراكية، وانتشار الإلحاد والثقافة العلمانية.

أما العامل الثالث الذي أسهم في دفع عملية الحوار، فهو مشاركة (هندريك كرامر) في المؤتمر التنصيري الذي عقد في تامبرام (الهند) عام ١٩٣٨م. لقد كان لمشاركة هذه الشخصية في هذا المؤتمر، وقع كبير، وغدا كتابه (الخطاب المسيحي في عالم غير مسيحي) [١٩٣٨](٤)، موضوع مداولات المؤتمر. لقد ركز كرامر في كتابه على أهمية عدم خضوع الكنائس الأهلية لأي تأثير غربي، وكذلك أهمية الاتصال المباشر مع أصحاب الأديان الأخرى ، حتى يتمكن المنصر من استيعاب محيطه الثقافي استيعابا مباشرا. وذهب إلى أن المنهج الذي ينتهجه المنصرون، والذي يقدم المثل الأعلى للتنصير، وكأنه غزو أو حملة تنصيرية، منهج قد أكل عليه الدهر وشرب. وفي المقابل سعى كرامر إلى إيضاح أهمية مفهوم (القيم) المتضمنة في الأديان غير المسيحية. وأوضح أنه على المنصر أن يعبر عن نفسه بطريقة يفهمها غير المسيحيين. وهذا لن يتسنى إلا إذا تمكن هذا المنصر من فهم المصطلحات المستعملة أهليا، واستغلالها في إطار مختلف.

إن هذه المؤتمرات التنصيرية الثلاثة – مؤتمر ادنبرة عام ١٩١٠م، ومؤتمر القدس عام ١٩١٨م، ومؤتمر تامبرام عام ١٩٣٨م – غيرت وجهة الحوار لدى الكنائس البروتستانتية. وبعد عشر سنوات من موعد انعقاد المؤتمر الثالث، تم تأسيس مجلس الكنائس العالمي واستمرت المداولات داخل الكنيسة حول كيفية التعامل مع أتباع الأديان الأخرى إلى عام ١٩٧١م، عندما أنشأ مجلس الكنائس العالمي وحدة (الحوار مع شعوب الأديان الحية). ونتيجة لذلك، انعقدت سلسلة من لقاءات الحوار بين المسلمين والمسيحيين. ولكن مشاركة المسلمين في هذه اللقاءات كان مبعثها التغير السياسي، والتعاون على المستوى الاجتماعي العرقي. فقد نجم عن هذا التغير السياسي ميلاد عدد من الدول المستقلة التي انتهجت إما منهج الحكم الماركسي – الاشتراكي أو منهج الحكم الرأسمالي.

وفي الحالتين لعب الملوك والجيوش أدوارا مهمة. واعتبرت الجماهير الإسلامية والحركات الإحيائية الإسلامية أنظمة الحكم التي انتهجت النظام الاشتراكي، أو النظام الرأسمالي خطرا على القيم والاعتقادات الإسلامية، بل وعلى التركيبة الاجتماعية للمجتمع المسلم نفسه. وفي ظل هذه الظروف، كانت دعوة الكنائس للحوار، خاصة الكنائس الغربية، فرصة جذابة بالنسبة للمسلمين، فقد رأوا الكنائس كحلفاء في حربهم ضد المادية، وكل أنواع الضيم.

وهكذا نرى أنه بينما كانت الكنائس تنظر في مصادرها اللاهوتية لتحاول أن تجد مخرجا للتعددية الدينية وسبيلا للتعامل مع الأديان الأخرى، كانت أولوية المسلمين في هذا الحوار هي التعاون مع الكنائس لتحقيق العدالة الاجتماعية، وربما تكوين جبهة ضد المنحى العلماني – الاشتراكي الذي يعتبر واجهة للإلحاد.. وكان المسلمون يتوقعون دعم الكنائس لهم في المطالبة بحقوقهم السياسية، ومساعدتهم على تطهير الفوضى الأخلاقية التي نشرتها المادية الغربية في البلدان الإسلامية.

الكنيسة الكاثوليكية الرومانية

انعقد المجلس الثاني للفاتيكان بمبادرة من البابا (يوحنا الثالث والعشرين)، وكان غرضه من هذا المؤتمر هو إصلاح (طريقة الكنيسة في التعليم والتنظيم) ،لتتماشى مع متطلبات المرحلة. أما الاعتبار العام لهذا المجلس فقد كان هو وحدة الكنيسة، ووحدة

هدف حوار الأديان؛ عند بعض اللاهوتيين: (تطهير وتحويل) اليهودية والإسلام من خلال الاتصال بأتباعهما والتحاور معهم

كل المسيحيين عبر العالم.

بدأ هذا المجلس مداولاته يوم ١١ أكتوبر ١٩٦٢م، واشتمل على أربع جلسات امتدت على فترات مختلفة، إلى أن انتهت يـــــوم ٨ ديسمبر ١٩٦٥م. وخلال هذه الجلسات، تم مناقشة قضية اليهود واليهودية عدة مرات. وقبل أن نتعرض لبيان المؤتمر حـــول الإســـلام، أود أن أعرف بثلاثة لاهوتيين مهمين، كان لآرائهم وقـع كبير على مـــــوقف المجلس من نظرة الفاتيكان للأديان الأخرى، خاصة الإسلام.

أول هؤلاء اللاهـوتيين هو (جان دانيلـــو Jean Danielou) [١٩٠٥-١٩٧٤م]، الــذي وضع لاهوتا حول الأديان غير المسيحية، فرّق فيـه بين (الدين) و(الـوحي). فالدين بالنسبـة لدانييلو هو بحث بني الإنسان عن الرب، بينما الوحي هـو بحث الرب عن بني الإنســان، حيث يتـدخـل الـرب في تـاريخ البشريـة. وبالـرغم من اعتقاد هـذا اللاهوتي أن المسيحية هي المخلصة الوحيدة من (الخطيئة الأصلية)، إلا أنـه كان يقـر بـوجود جـوانب من الحقيقة في الأديـان الأخرى. وذهب إلى أن الإسلام واليهـودية يعـرفان الـرب. واقترح أن تقـوم المسيحيـة بعمليـة (تطهير وتحويـل) هـاتين الـديـــانتين من خــلال الاتصــال بـــالمسلمين واليهـــود والتحـــاور معهم(٥).

أما أطروحـة اللاهوتي (كـارل بـــالمر Karl Rahner) [١٩٠٤-١٩٨٤م]، فهـــــي أن: (المسيحيـة هي الـدين المطلق لكل البشر)، ولكن الســؤال المهم الـذي يجب طرحـه هـو: متى يـبدأ هـذا (الدين المطلق)؟ هل يكـون هذا عند تعميـد المولود الجديـد؟ أم بمجـرد إدراك الشخص أن المسيحيـــة هي (الـدين المطلق)؟ وبما أنـه لا يمكن تحديـد هذه الفترة بـالضبط، فكل من لا يـدين بالمسيحيـة (مسيحي مجهـــــول)، وليس (مسيحيـــا فعليا)(٦).

وهكـــذا تغيرت الإرســاليـــة المسيحيـة، وعـلاقـة الكنيسـة مع الأديـان الأخـرى. فلـم تعـد رؤيـة المنصر لغير المسيحي مثلما كـانت عليه في السابق، أي أن غير المسيحي مجرد شـخـص يجب ضمـــــــه للمسيحية. لقد أصبح غير المسيحي - وفق هـذه الـرؤيـة الجديـدة - شخصا قريبا من المسيحية، وكل ما يحتاجه هو أن يدل على الطريق.

واللاهـوتي الثالث الذي نـريد أن نتكلم عنـه هو (لـويس ماسنيـون Louis Massignon) [١٨٨٣-١٩٦٢م]، الــذي عـــالج مسـألـة علاقـة المسيحية بـالأديان الأخرى بطـريقة تختلـف نوعـا ما. فقد أشار ماسينيون إلى أن المسلمين هم (أبناء إسماعيل)، وبدلا من (أن تكون رؤية المسيحيين للإسلام من الخارج، ينطلق المسيحي من مـركز الإســـــلام، تمامــــا مثلما فعل (كـوبــرنيكـوس) مع المجمــوعـة الشمسية، لأن شعلة الإسلام تكمن في هذا المركز، وكـل الأشياء الأخرى مشدودة إليه بطريقة خفية)(٧).

ولعل أهم بيـان خرج بـه المجلس الثـــاني للفـــاتيكـــان فيما يخص المسلمين هو وثيقة (نوسترا أيتاتي) (في زماننا). فقد ذكرت هذه الوثيقة أن المسلمين (يعبدون إلها واحـداً .. ويحاولـون جهدهم أن يسلمـوا كل أمـــورهم للـه مثلما فعل إبـــراهيم نفســــه). وعـن رؤيـــة المسلمين للمسيح جـــاء في الـــوثيقـــة: (إن المسلمين يجلـون المسيح كرسـول، كما أنهم يجلون الأم العذراء مريم .. ويؤمنون بـاليوم الآخر)(٨). ولكن أهم فقـرة في الـوثيقـــة هي الفقـرة التالية:

(لقـد نشبت عبر القـــرون عـدة نـزاعـات بين المسلمين والمسيحيين، ولكن المجلس المقـدم اليـوم يـدعـو الجميع لنسيـــان الماضي، وإفـــراغ الجهـد للوصــول لتفاهم متبـادل بين الطـرفين لصالح كل النـاس، وليعمل الطـرفـان معـا من أجل الحفـاظ على السـلام، والعـدل الاجتماعي، والقيم الأخلاقية، ودعوة الآخرين لها)(٩).

ويمكن أن نـــــلاحـظ أن الموقف المسيحي من اعتقـادات المسلمين قـد تحول في هـذه الـوثيقـــة من مـوقف اتهام، إلى مـوقف اعتراف بمشروعيـة هذه الاعتقادات الإسلامية. وقد كانت هـذه الخطـوة تجاه المسلمين خطـوة مهمة إلى الأمـام. ولكن قبل أن نتطرق إلى رد فعل المسلمين، يجب أن نعـرف كيف تم إعداد هذه الوثيقة.

لقـد تـم تقـديم نصــوص وثيقـة (نوسترا أيتـاتي) كنتيجة لاهتمامـات البابا يوحنا الثالث والعشرين بوضعية ومستقبل عـلاقة الكنيسـة بـالشعب اليهـودي. فقـد طلب البـابـا من هـذا الكاردينـال إعداد بيان حـول اليهود، وعُهـدت مسؤوليـة ذلك للكاردينـال (بي). والجدير بـالذكر أنـه تم تقديم نص هـــذا البيـــان ضمن الاتجاه المسكوني العـام للكنيسة المسيحيـة، ولكن البابا توفي قبل أن يقدم نص هذا البيـان للمجلس. ولكن الكـــاردينـــال (بي) أخبر المجلس أن البـابـا يوحنـا الثـالث والعشرين قـد أقر (الخطـوط الأسـاسية للـوثيقة)، قبل أن يمـوت. وانبثقت من هذه الـوضعية مسألتان مهمتان. فمن جهة عـارض بعض آباء المجلس هذه الوثيقة معارضة شديدة، حيث إنها تخاطب مسـألـة العـلاقـات المسيحية - اليهودية، بانفراد وبمعزل عن اهتمامـات الكاثـوليك. ومن جهـة أخــــرى ذهـب البعض إلى ضرورة إصدار الكنيسة الكاثـوليكية بيانا عن المسلمين، مـــا دامت قـــد وافقت على إصدار بيان خـاص باليهود .. وللعلم فإن الأســاقفـــة العـاملين في البلـدان العربية، هم الذين طرحوا هذه المسألة بقوة، وأشــاروا إلى أن إبداء أي إيماءة استرضـائيـة نحـو اليهـود وحـدهم سيكـون بالنسبـة للمسلمين بمثابـة بيــان مـؤيـد لإسرائيل، ولهذا فمن

الضروري إدراج بيان عن المسلمين (يُلاحظ أن البيان عن المسلمين وليس عن الإسلام)(١٠).

فماذا كان رد فعل المسلمين من هذه الوثيقة؟ خصوصا عندما تخاطب (نوسترا أيتاتي) المسلمين بمثل الفقرة التالية:

(لقد نشبت عبر القرون عدة نزاعات بين المسلمين والمسيحيين. ولكن المجلس المقدس اليوم يدعو الجميع لنسيان الماضي، وإفراغ الجهد للوصول إلى تفاهم متبادل بين الطرفين...)(١١).

إن كثيرا من المسلمين قد يوافقون على الدافع من وراء مثل هذا النداء. ولكن نسيان الماضي أمر مؤلم للغاية. ويذكر الدكتور محمد حميد الله أنه عندما كان المجلس يناقش هذه القضية، كتب مسلمو فرنسا رسالة للبابا جاء فيها: (لكي ينسى المسلمون الماضي يجب على الكنيسة أن تعلن رسميا بطلان كل القرارات المناوئة للإسلام التي تبنتها المجالس والمجامع الكنسية والكتابات المسيحية في السابق)(١٢).

وإلى اليوم، لا يزال طلب مسلمي فرنسا ينتظر جوابا من الفاتيكان. إن عملية الحوار والتحمس في التطلع إلى المستقبل يعطي انطباعا بأن الكنائس الكاثوليكية والبروتستانية لا تريد أن تتكلم عن الماضي، ولكنها تبدي نوعا من الاستعجال للتقدم نحو الأمام.

لقد تم إنشاء المجلس البابوي للحوار بين الأديان (PCID)، الذي كان يعرف في السابق باسم أمانة الأديان غير المسيحية، بتاريخ ١٩/٥/١٩٦٤م، وكان أول رئيس لهذا المجلس هو الكاردينال (باولو مارال) (١٩٦٤-١٩٧٣م)، وبعده رأس المجلس الكاردينال (بنييدولي) (١٩٧٣-١٩٨٠م)، وخلفه رئيس الأساقفة جادو (١٩٨٠-١٩٨٤م).

الحوار المنظم مع الأديان الأخرى

نظمت كل من الكنائس الكاثوليكية والبورتسانية سلسلة من الحوارات مع المسلمين، خاطبت مواضيع شتى مثل: العقيدة، والحياة الروحية، والعلم والتكنولوجيا، بل ونظمت حوارات شعائرية في بعض الأحيان. ولكن المواضيع التي طغت على اللقاءات التي جمعت بين المسلمين والمسيحيين، هي المواضيع ذات الطابع الاجتماعي والسياسي، وكذلك المواضيع المتعلقة بالدعوة، والإرساليات التنصيرية.

وبينما تمت معظم هذه اللقاءات الثنائية دون مشكلات تذكر، حدثت مداخلات قوية في بعضها .. فعندما تم نقاش مسألة الحوار (الدعوة والإرساليات التنصيرية)، في لقاء شامبي بسويسرا عام ١٩٧٦م، أعرب الحاضرون عن آرائهم بكل صراحة، مما تسبب في إحداث نوع من النقاشات الحادة بين المشاركين(١٣). وكانت مشاركة المسلمين في عمومها مشاركة مجاملة تلبية لدعوة المسيحيين، ولم يبادر المسلمون في أية مرحلة من المراحل بالقيام بمثل هذه اللقاءات. كما لم يبد المسلمون رغبة جادة في الحوار إلا مؤخرا، عندما أبدت بعض المؤسسات الإسلامية رغبتها في هذه العملية. ومجال البحث الحالي لا يسمح لنا بالتعرض للمشاركة الإسلامية في عملية الحوار، وأولويات المسلمين فيه.

إن حماسة بعض المؤسسات المسيحية الكبيرة لعملية الحوار مع الأديان الأخرى ليست محل إجماع بين جميع الفئات المسيحية، فبعض هذه الفئات ترى عملية الحوار هذه خيانة في بعض الأحيان للإرساليات التنصيرية. وأما مجموعة الكنائس الإنجليلية التي لا تنتمي لمجلس الكنائس العالمي أو الكنيسة الكاثوليكية، فإنها ترى أن الأهمية المولاة للحوار مع الأديان الأخرى،

إن حماسة بعض المؤسسات المسيحية الكبيرة لعملية الحوار مع الأديان الأخرى ليست محل إجماع بين جميع الفئات المسيحية



إنما تتم على حساب نشاط الإرساليات. واستطاع بيان فرانكفورت عام ١٩٧٠م، ووثيقة لوزان عام ١٩٧٤م، والمؤتمرات الإرسالية الإنجيلية اللاحقة، مثل مؤتمر مانيلا عام ١٩٨٩م، التأثير في عضوية الكنيسة على المستوى الجماهيري.

ومع حلول عام ١٩٩١م، أعرب مجلس الكنائس العالمي علنا عن صعوبة قبول عملية الحوار بالشكل العام الذي تمت فيه إلى هذه الفترة. وقد بيّن تقرير الجلسة السابعة سبب هذه الصعوبة:

(لقد تبين أن الحوار مع الأديان الأخرى بات صعبا بالنسبة لبعض الكنائس، وبعض المسيحيين، بسبب صعوباتنا المستمرة في فهم التعددية الدينية وعلاقة الرب بأصحاب الأديان غير المسيحية. ومن المهم الاستمرار في استكشاف هذه المسألة بطرق من شأنها أن تجعل كنائسنا تتفتح على التحديات التي يفرضها واقع العيش في عالم متعدد الأديان)(١٤).

وتعرضت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية تقريبا لنفس الضغوط التي تعرض لها مجلس الكنائس العالمي، وحتى بعد مرور ١٤ عاما - (١٩٧٦-١٩٩١م) - من الحوار، نجد رئيس المجلس البابوي للحوار مع الأديان الأخرى على وشك أن يشهد:

(الخيرات التي وهبها الرب لشعوبه .. من أجل إعادتهم إلى الرب، وهم مستنيرون بنور الإنجيل).

أصبحت عملية الحوار تفهم بشكل متزايد على أنها جزء مهم من (التنصير). وأصدر الفاتيكان عام ١٩٨٤م، وثيقة يوضح فيها موقفه من الحوار والتنصير. أعلنت هذه الوثيقة بشكل لايدع مجالا للشك أن (الحوار هو المعيار والأسلوب الضروري لكل شكل من أشكال

تبقى مسألة الإرساليات التنصيرية أهم مسألة في أي حوار مستقبلي



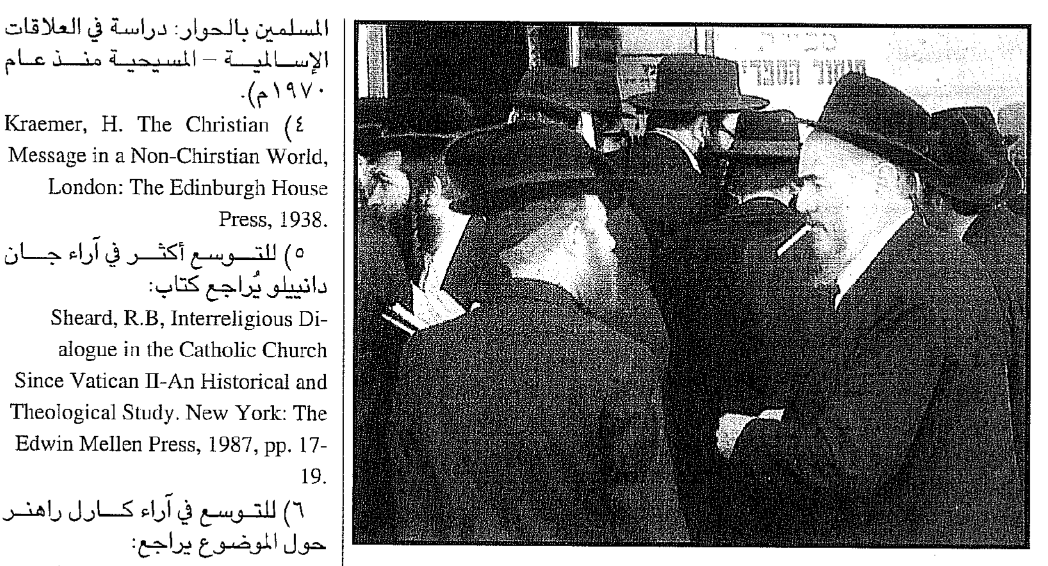
الإرساليات التنصيرية المسيحية). وأضافت الوثيقة مؤكدة في فقرة أخرى أن (عملية الحوار إنما تجد مكانها ضمن النشاط الكبير لإرساليات الكنيسة التنصيرية).

لقد رحبت الكنائس الكاثوليكية والبروتستانية في عام ١٩٩٠م، بما يسمى آنذاك (عقد التنصير)، حيث لم تصبح عملية الحوار سوى جزء من الإرساليات التنصيرية. وأما عن الاتفاق السابق الذي كان يهدف لجعل الحوار (سببا في تعزيز الاحترام والتفاهم بين الديانتين بشكل أكبر)، كما نصت بذلك مشاورات كارتينيي (سويسرا) عام ١٩٦٩م، أقول أما هذا الاتفاق السابق فقد أصبح أقل أهمية.

الخلاصة

كما أشرنا سابقا فإن عملية (الحوار) مع الأديان الأخرى بدأت في سياق غربي، من أجل إيجاد حل لمشكلة التعددية الدينية التي كانت تعاني منها المسيحية في الغرب. وقد أوضحت مختلف المداولات التي خاضها المسلمون مع المسيحيين وكذلك التطورات التي عرفتها عملية الحوار. إن المسلمين عندما يتعاملون مع مسيحيي الكنائس، تحاول الكنائس بشكل متزايد تقديم المسيحية وفق سياق معين، ولكن المعرفية السائدة في الكنائس الغربية والمناطق الأخرى من العالم تبقى معرفية أوروبية في أغلبها. والملاحظ كذلك، أن كثيرا من الكنائس الغربية قد أصبحت علمانية في توجهها.

وتبقى مسألة الإرساليات التنصيرية أهم مسألة في أي حوار مستقبلي. ويمكن أن نقول إنه كلما حاولت الكنائس توضيح موقفها من (التنصيب) و(الحوار) كلما ربطت قضية الحوار بعملية التنصير ربطا وثيقا. والإرساليات التنصيرية في عقول المسلمين ما هي إلا امتداد للتاريخ الاستعماري على مدى القرون. ولهذا فإن هناك كثيرا من الحواجز النفسية لدى المسلمين تجاه هذه العملية. ولعلنا نريد أن نعرف الآن، وأكثر من أي وقت مضى، كيفية تعريف الكنيسة للإرساليات، وماذا سيحدث لهذه الإرساليات التنصيرية في القرن القادم. لقد قضت الكنيسة وقتا طويلا في توضيح علاقة الحوار بالإرساليات التنصيرية لأعضائها، وهل الحوار هو التنصير بعينه أم لا. والأمر الذي يريده أصحاب الأديان الأخرى هو بعض الضمانات أن



إرسـاليات القـرن القادم ستكـون مختلفة عن الإرسـاليات التنصيرية في السابق.

وأخيرا، فإن مستقبل العـلاقات الإسلامية – المسيحية تتوقف على مـدى اعتراف، أو عـدم اعتراف الغـرب بـوجـود الإسـلام لفترات طويلـة في أوروبا خصـوصـا، وفي الغـرب على وجـه العمـوم. فهل سيقبل الغرب بـالإسلام كمصدر تـراثي ثـالـث جنبـا إلى جنب مع التراثين اليهـودي والمسيحي؟ والمسألـة المهمـة الأخـرى فيما يخص المسلمين هـي هـل ستتغير اجتهـادات المسلمين الفقهيـة فيما يخص غير المسلمين؟ وحيـث إن للمسلمين حقهم الـديني في تطبيق الشريعـة الإسـلاميـة، نـرى من واجبهم كـذلـك أن يأخـذوا بعين الاعتبـار شعـور وتطلعـات غير المسلمين ممـا ينبغي أن يـدفعهم للبحث عن معنى جـديد للتعـددية الـدينيـة في حدود مـا يسمح بـه الشرع الحنيف. هذه هـي المجالات الـرئيسيـة في عمليـة الحوار، والخلاصـة هي أنـه كلما تعمقت الثقة بين أتباع مختلف الـديانات، كانت العلاقـات التي تربط بينهم سليمة وذات معنى□

الهوامش:

١) اللجان الثمانية كانت كما يلي:

أ – حمل الإنجيل لكل العـالم غير المسيحي.

ب – الكنيسـة في مجال الإرساليات.

ج – التعليم ضمـن مجال تنصير الحياة القومية.

د – رسـالـة الإرسـاليـات ضمن مجال عـلاقـاتها بـالأديـان غير المسيحية.

هـ – تحضير الإرساليات.

و – الإرساليات المستقرة محليا.

ز – الإرساليات والحكومات.

ح – التعاون والدعوة للوحدة.

انظر:

Lossky, N. et. al, (eds)., Dicitonary of the Ecumenical Movement, Geneva: World Council of Churches. 1991. p. 325.

٢) Spengler, Oswald, The Decline of the West, Authorized Trnslation with notes by Charles Francis Atkinson. London: G. Allen, 1922. In two Volumes.

٣) انظر من أجل التـوسع أكثـر، الفصل الثـاني مـن أطـروحتي للـدكتوراه (مخطـوط) (انشغـالات المسلمين بالحوار: دراسة في العلاقات الإسـلاميـة – المسيحيـة منـذ عـام ١٩٧٠م).

٤) Kraemer, H. The Christian Message in a Non-Chirstian World, London: The Edinburgh House Press, 1938.

٥) للتـوسع أكثـر في آراء جـان دانييلو يُراجع كتاب:

Sheard, R.B, Interreligious Dialogue in the Catholic Church Since Vatican II-An Historical and Theological Study. New York: The Edwin Mellen Press, 1987, pp. 17-19.

٦) للتـوسع في آراء كـارل راهنـر حول الموضوع يراجع:

Rahner, K., "Christianity and the non-Christian Religions", English Translation. London: Darton, Longman and Todd, Vol. 5, 1966.

٧) نقلا عن:

Caspar, Robert, Cours de Theologie Musulmane. Vol. 1. Rome: Institut Pontifical d'Etus Arabes.+٦

٨) Flanner, A., (ed), Vatican Council II. New York: Cosello Publishing Company, 1988, revised edition, 1988, p. 739.

٩) نفس المرجـع السـابق ص: ٧٤٠.

١٠) Hastings, A.J., A Concise Guide to the Documents of the Second Vatican Council II, vol. 5. London: Darton, Longman an dTodd, 1968, p. 197.

١١) انظـر Fiannery المرجـع السابق، ص: ٧٤٠.

١٢) رسـالـة من الدكتـور محمـد حميد الله بتاريخ ٥/٣/١٩٩١م.

١٣) انظـر: Christin Mission and Islamic Da'wah: Proceedings ot the Chambesy Dialogue Consultation. Lelcester. The Islamic Foundation. 1982.

١٤) Kinnaition, M. (ed), Signs of the Spirit, Official Report, Seven Assembly. Geneva: World Council of Churches, 199, p104.

مستقبل العلاقات الإسلامية – المسيحية تتوقف على مدى اعتراف، أو عدم اعتراف الغرب بوجود الإسلام لفترات طويلة في أوروبا

مؤتمر القرآن الكريم وأثره في إسعاد البشرية

طالب د. عجيل النشمي – عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – المسلمين بأن يتداركوا أنفسهم – قبل السقوط في ظل شعارات الغرب المضطربة – بالعودة إلى كتاب الله تعالى دستور هذه الأمة وأمنها وأمانها، والمشعل الوضاء الذي ينير لهم طريق الرقي والعزة.

جاء ذلك في الكلمة الافتتاحية التي ألقاها في مستهل مؤتمر (القرآن الكريم وأثره في إسعاد البشرية)، الذي أقامته – يومي ٢٥-٢٦/١١/١٤١٥هـ الموافق ٢٥-٢٦/٤/١٩٩٥م – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت بالتعاون مع اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقاعة مسجد الرفاعي، بمبنى كلية الشريعة بكيفان.

وخاطب الدكتور النشمي الحاضرين قائلاً: ليس هناك اجتماع أفضل من اجتماعكم هذا حول كتاب الله العظيم الذي أحيا به الله أمة موت وجهل، فقادت البشرية قرونا متطاولة، وبهذا الكنز العظيم، جمعت أمة الإسلام المجد والعز من أطرافه.

أما الدكتور أيوب الأيوب – الأمين العام للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية – فأشار في كلمته إلى دور اللجنة في تربية النشء على كتاب الله، وما أنجزته حتى الآن من أجل إدخال مادة القرآن الكريم في المناهج الدراسية ضمن الخطة التي تقوم بها بمباركة من سمو أمير البلاد – حفظه الله. وأشار وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد الزير في كلمته إلى دور الوزارة في رعاية كتاب الله، والعناية به حفظا وفهما، من خلال دور القرآن المنتشرة في كل مكان للرجال والنساء، وفي حلقات التحفيظ التي تضم أكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة، وطالب الزير بالبحث عن صيغة لكفالة الحفظة، كي نستعيد النهضة العلمية القوية، وأكد أن الفرصة مواتية الآن لتدعيم الصناديق الوقفية التي خصصت لخدمة هذا الهدف العظيم.



● المنصة الرئيسية لندوة كلية الشريعة بجامعة الكويت

محاور البحث

هذا وقد ناقش المؤتمر عددا من الأوراق والبحوث، حيث تم توزيع أعمال جلسات المؤتمر على ثلاث جلسات، ودارت الجلسة الأولى حول المحور الأول (مظاهر العناية بالقرآن الكريم وآثارها)، وعرض فيها ستة بحوث، وثلاث ورقات عمل، منها عناية الله، وعناية رسوله بالقرآن، وعناية المسلمين بالقرآن، وأنماط الاهتمام بالقرآن، وأثر حفظ القرآن في سن مبكرة. أما الجلسة الثانية فتناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وعرض فيها عدد من الأبحاث منها: التداوي بالقرآن، القرآن والمستشرقون، الإعجاز العلمي (أطوار الجنين)، ومن خصائص التشريع القرآني.

ودارت الجلسة الثالثة حول المحور الثالث: منهج القرآن في الدعوة إلى الله، وعُرض فيها عدد من البحوث منها: التوثيق وأصوله في القرآن، منهج القرآن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، البيوع المحرمة في القرآن، اعتماد القرآن في الدعوة إلى الله على الحكمة والموعظة الحسنة.

توصيات المؤتمر

وبعد مناقشة موضوعات الأبحاث وأوراق العمل المقدمة، وتبادل وجهات النظر، أصدر المؤتمر التوصيات الآتية:

١ – يقرر المؤتمر أن من رحمة الله بالناس، أن أرسل لهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب، وكان محمد – ﷺ – خاتم الرسل، والقرآن الكريم مصدقا للكتب السابقة، ومتضمنا ما جاء فيها، كما أنه دستور حياة للناس جميعا، ينظم كل شؤونهم، ويهديهم إلى نعيم الدارين: الدنيا والآخرة.

٢ – لعظم شأن القرآن الكريم، أولاه الله – عز وجل – عظيم عنايته، وكذلك رسوله الأمين – ﷺ – وصحابته الأخيار، وعباد الله المخلصون على مر العصور.

٣ – يقرر المؤتمر أن القرآن الكريم نعمة الله الكبرى على عباده، التي تستوجب الشكر، فعلى المسلمين أن يشكروا الله على هذه النعمة بتعلم القرآن، والعمل به.

٤ – أن القرآن الكريم سهل الحفظ والتذكر، وينمي قدرات من يتعلمه، ويثري فكر من يحفظه، ويقوّم لسان من يقرأه.

٥ – لقد كرم القرآن الإنسان وأعلى شأنه وقوى روحه وهداه الصراط المستقيم، فوجب على المسلم أن يقابل ذلك بالإقبال على القرآن والاستمساك بهديه.

٦ – إن تشريعات القرآن الكريم فيها من الشمول والمرونة ما يجعلها تفي بجميع حاجات الناس على اختلاف أزمانهم وبيئاتهم.

٧ – أن منهج القرآن في الدعوة إلى الله لهو أقوم المناهج، حيث إنه يعتمد على الحجة والبرهان، ويقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، ولذا أتى ثماره المرجوة، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

كما أوصى المؤتمر بوجوب العناية بالقرآن الكريم تعليما وتحفيظا ودراسة وتطبيقا. ويوصي المؤتمر بالعناية التامة باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، كما يوصي المؤتمر بالأخذ بالأسباب وبالوسائل والطرق العلمية الحديثة في تدريس القرآن الكريم وتحفيظه، وبالإكثار من دور القرآن للعمل على التوسع في تحفيظ القرآن الكريم وتدريسه.

الندوة الخامسة لقضايا الزكاة المعاصرة في لبنان

برعاية دولة رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، وبحضور العديد من الفقهاء والخبراء والباحثين، عقدت في بيروت عاصمة لبنان الندوة الخامسة لقضايا الزكاة المعاصرة، بإشراف الهيئة الشرعية العالمية للزكاة، وبالتعاون مع دار الفتوى اللبنانية، في الفترة ما بين ١٨ - ٢٠ ذو القعدة ١٤١٥هـ، الموافق ١٨ - ٢٠ أبريل ١٩٩٥م، وقد اشتملت الندوة على أربع جلسات عمل، بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والختام. وقد ناقش المشاركون أربعة مواضيع هي: زكاة نهاية الخدمة، ومصرف الغارمين، ومشمولات الأموال الظاهرة والباطنة في العصر الحديث، وزكاة الأصول الاستثمارية الثابتة من خلال ثمانية أبحاث، عرضها الدكاترة والفقهاء المشاركون، وقد تم إبراز الحكم الشرعي لهذه القضايا بعد المناقشات المستفيضة، التي عبّر عنها المشاركون. وناقشت الندوة بالإضافة إلى ذلك، أربع أوراق عمل حول زكاة الحلي، والجهات التي لا يجوز للمزكي دفع الزكاة إليها، وزكاة المدخرات الثمينة، وموضوع صرف زكاة الفطر بالمبالغ المتوقعة قبل قبضها، وبيّنت الأحكام الشرعية فيها.

التوصيات الختامية

وقد أصدرت الندوة العديد من التوصيات العامة، التي تتضمن التأكيد على التوصيات السابقة، بأن تهتم الدول الإسلامية بجمع الزكاة، وتوزيعها في مصارفها الشرعية، وإصدار تشريعات تنظيمية للزكاة تُراعي الظروف والمستجدات المعاصرة. وأوصت الندوة بالإضافة إلى ذلك بالتنسيق والتعاون بين مؤسسات الزكاة والمؤسسات الأخرى ذات الصلة، ودعم الحكومات لميزانيات مؤسسات الزكاة، ودعوة الدول الإسلامية إلى تعديل تشريعات العمل لتكون موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية، ودعوة المنظمات الإسلامية العالمية إلى إنشاء منظمة إسلامية للعمل والتأمينات الاجتماعية، تقوم على أسس مستمدة من الشريعة الإسلامية، وأهاب المشاركون في الندوة بالمجتمع المسلم والدول الإسلامية أن يبذلوا بسخاء، لإنقاذ إخوانهم المسلمين في البلاد الإسلامية التي أضرت بها الحروب، والأخرى التي تخوض غمار حرب البقاء مع المعتدين■

كما يوصي المؤتمر بمزيد من الرعاية لحفظة القرآن الكريم، وتشجيعهم على ذلك بشتى الطرق، وبمزيد من العمل على تدريب الواعظين والواعظات، وتأهيلهم لتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه.

كما يوصي المؤتمر القائمين على دور العلم أن يكثروا من مقررات حفظ القرآن الكريم في جميع مراحل التعليم، لما ثبت من يسر تعلمه وحفظه، ومن عظيم الفائدة من ذلك. ويوصي المؤتمر أيضا أهل الخير بمضاعفة جهودهم لتحفيظ القرآن، ونشر علومه في الداخل والخارج، وأن تهتم دور العلم بدراسة التفسير العلمي للقرآن، ليستفيدوا بما يظهر من حقائق علمية تساعد على فهم نصوص الكتاب الحكيم، وليأخذوا بأسباب العلم فتتحقق لهم السعادة والفلاح.

كما يوصي المؤتمر بالعمل على امتثال المنهج القرآني في الدعوة إلى الله بالحجة والبرهان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على أساس من الحكمة والموعظة.

ويوصي أيضا بالعمل على التوسع في إصدار تراجم لمعاني القرآن الكريم مقروءة ومسموعة بلغات متعددة، تلبية لحاجة المسلمين في كل البلاد. كما يوصي المؤتمر ولاة الأمر في جميع بلاد المسلمين بالإسراع في تطبيق أحكام القرآن الكريم، والعمل بمقتضاه لإنقاذ المسلمين مما هم فيه■

نظام الزكاة الجماعي في الإسلام

بحضور نخبة من العلماء والخبراء الاقتصاديين، شهدت مدينة (بنجلور) الهندية يومي ١١ - ١٢ شوال ١٤١٥هـ، مؤتمرا إسلاميا يعد الأول من نوعه في شبه القارة الهندية، التي تضم عشرات الملايين من المسلمين، وسط كم هائل من العقائد والديانات المختلفة. وفي الكلمة الافتتاحية التي ألقاها فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي - الأمين العام للأكاديمية الفرقانية، رئيس دار الشريعة بالهند راعية المؤتمر - أشار إلى أن الإسلام هو الذي يزكو من بين الأديان الأخرى بأن سنّ نظاما اقتصاديا حسنا، يضمن تحسين الأوضاع في المجتمعات الإسلامية حين تنفيذه بكل دقة، بل إنه يطرد الفقر من المجتمعات الإسلامية. وأكد فضيلة الشيخ الندوي أنّ عدم إقامة النظام الصحيح في توزيع الزكاة حرم الأمة الإسلامية من المصالح الفردية والجماعية المتوخاة من وراء الزكاة. وأشار إلى أن إقامة النظام الجماعي في توزيع أموال الزكاة، إنما هو خطوة أولية نحو تحشيد المسلمين على رصيف واحد، والتأليف بين قلوبهم. وهذا المعنى مستفاد من الترتيب القرآني في ذكر الصلاة والزكاة. فكما أن الإسلام يشدد على إقامة الصلاة بالجماعة - وإن كانت جائزة أيضا لمن قام بها منفردا وحده - فكذلك الزكاة، وإن كانت ساقطة عمن وضعها في مواضعها من عند نفسه، دون دفعها إلى بيت المال، ولكن الأحسن أن يخرج الإنسان زكاة أمواله من حيث تخدم تلك الأموال المصالح الجماعية للأمة الإسلامية. ولن يكون ذلك إلا إذا كانت هناك جماعة من المشفقين على الأمة الإسلامية، تتولى استقبال أموال الزكاة، وصرفها في تحسين الظروف المعيشية في المجتمعات الإسلامية. إضافة إلى أن هذه الجماعة تقوم بالبحث والتفتيش عمن تدفع إليه من أموال الزكاة المتجمعة لديها، حتى لا يستغل تلك الأموال أولئك المتكففون الذين يطوفون على الناس على حساب المستحقين المتعففين.

هذا وقد بارك المجتمعون الخطوة الطيبة التي أقدمت عليها دار الشريعة من أجل إنهاض المسلمين، والسعي لإقامة النظام الاجتماعي للزكاة.

وأبدى جميع من حضروا وشاركوا من أطراف الهند تقديرهم البالغ لها، وعدوها مبادرة طيبة في موضوعها. واتفق العلماء والخبراء المشاركون في المؤتمر على وجود ضرورة ملحة لإقامة النظم الجماعي للزكاة، ثم تفرقوا عن عزائم مصممة على السعي إلى إنجاز الأهداف التي دعا إليها المؤتمر■



مساعدة مالية من رابطة العالم الإسلامي للمركز الإسلامي في آخن

سلم عباس فائق غزاوي – سفير المملكة العربية السعودية لدى ألمانيا، في مقر السفارة السعودية في العاصمة الألمانية بون – إلى الدكتور محمد الهواري – نائب رئيس المركز الإسلامي في مدينة آخن الألمانية – شيكا ماليا، يمثل المساعدة المالية التي تقدمها رابطة العالم الإسلامي إلى المركز بهدف تغطية نفقاته ومصاريفه، وذلك منذ حوالي عشرين عاما، باعتبار أن هذا المركز الإسلامي هو هيئة خيرية عامة، يقوم بنشر الدعوة الإسلامية، ويعمل في إطار المحافظة على الروابط الوثيقة التي تجمع بين الجاليات العربية والإسلامية من جهة، والعالمين العربي والإسلامي من جهة أخرى.

وقد أشار السفير غزاوي – بهذه المناسبة – إلى المساعدات الكبيرة التي تقدمها المملكة العربية السعودية، إلى المراكز والهيئات والمدارس والمعاهد والمنشآت الإسلامية في ألمانيا، كما أشار إلى قرب موعد افتتاح أكاديمية الملك فهد التي تشيد في العاصمة الألمانية بون في الوقت الحاضر، وسوف ينتهي بناؤها في شهر يوليو المقبل.

٣٠ مليار دولار رؤوس أموال الشركات الخليجية

بلغ مجموع الشركات الخليجية المساهمة القابلة أسهمها للتداول في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٣٤٧ شركة تبلغ رؤوس أموالها ما يعادل ٣٠,٤ مليار دولار.

وتعمل هذه الشركات في مجال البنوك، والتأمين، والاستثمار العقاري، والزراعي، والصناعي، والتجاري، والخدمات.

وقال بيان صادر عن أمانة مجلس التعاون الخليجي إن المملكة العربية السعودية تأتي في مقدمة الدول التي تحتضن شركات من هذا النوع، حيث تضم ٨٨ شركة برأسمال قدره ١٨,٢ مليار دولار.

وتتساوى سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية في عدد الشركات، حيث تضم كل دولة ٧٥ شركة، يبلغ رأسمالها في الإمارات ٣,٢ مليار دولار، وفي عمان ٠,٧ مليار دولار.

وتأتي الكويت في المرتبة الرابعة من حيث عدد الشركات حيث تضم ٤٦ شركة، ولكنها تأتي في المرتبة الثانية بالنسبة لرؤوس الأموال التي تبلغ ٥,٩ مليار دولار.

وتضم دولة البحرين ٣٤ شركة برأس مال قدره ٢,٢ مليار دولار، في حين تضم قطر ٢٩ شركة برأس مال قدره ١,٢ مليار دولار.

ويأتي السماح بالتداول وفقا لقرار المجلس الأعلى في دورته الخامسة عشرة التي عقدت بالبحرين في شهر ديسمبر من العام الماضي، والذي تم السماح بموجبه لمواطني دول المجلس تداول أسهم الشركات المساهمة.

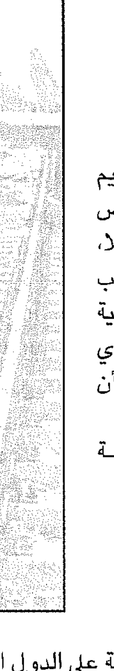
مؤتمر عام طارىء لمسلمي بلغاريا

بمشاركة أكثر من ١٥٠٠ شخص يمثلون المسلمين في بلغاريا – وبحضور عدد كبير من الضيوف من بينهم ممثلون عن دار الديانات التركية والسفير التركي في بلغاريا – عقد المؤتمر الشرعي العام للمسلمين في بلغاريا اجتماعاته بتاريخ ١٩٩٥/٣/٦، حيث تم إقرار الدستور الجديد لدار الإفتاء العام للمسلمين في بلغاريا، وبموجب التعديل لا يحق لأي شخص – كان عضوا في الحزب الشيوعي السابق – الترشيح لمنصب المفتي العام للمسلمين في بلغاريا، أو عضوية المجلس الإسلامي الأعلى، كما تم إعادة انتخاب السيد فكري صالح مفتيا عاما لمسلمي بلغاريا إضافة لانتخاب أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى والبالغ عددهم ٢١ عضوا.

عشرة آلاف دولار من الهلال الأحمر الكويتي للاجئين الشيشان

أعلن مكتب المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة أنه تلقى تبرعا نقديا لصالح برنامج المفوضية لإغاثة اللاجئين الشيشان من جمعية الهلال الأحمر الكويتي. وأبلغ مدير المكتب الدكتور مصطفى عمر أن تبرع جمعية الهلال الأحمر الكويتي والبالغ عشرة آلاف دولار أميركي يأتي في إطار تلبيتها لدعوة المفوضية للدول والجمعيات لإنقاذ أكثر من ٤٠٠ ألف لاجىء أغلبهم من النساء والأطفال في جمهورية الشيشان.

وأضاف أن تبرع الجمعية لبرامج المفوضية هو الثاني الذي يتلقاه المكتب من جمعية الهلال الأحمر الكويتي، إذ سبق أن قدمت تبرعا بلغ ١٠٠ ألف دولار لدعم برنامج إغاثة اللاجئين الروانديين.



مساعدات من بيت الزكاة لضحايا حادث التصادم في مصر

قام مكتب بيت الزكاة بالقاهرة بزيارة لمحافظة المنوفية لتفقد المصابين، وتقديم التعازي لأسر ضحايا التصادم، الذي وقع هناك مؤخراً بين أتوبيس خاص بعمال شركة الغزل والنسيج، وقطار، والذي أسفر عن مصرع ٥٠ عاملا، وإصابة ٣٠ آخرين. وأعلن مدير مكتب بيت الزكاة في القاهرة السيد شهاب أحمد العثمان أن بيت الزكاة قد خصص مساعدات عاجلة من خلال منح مالية لأسر ضحايا هذا الحادث المؤسف. وعبر العثمان في ختام تصريحه، عن تعازي بيت الزكاة لعوائل المتوفين، وعن مشاركته أحزانهم داعيا الله تبارك وتعالى أن يتغمد المتوفين بواسع رحمته، وأن يعجل بشفاء المصابين.

وأكد أن هذه المساعدات التي تقرر تقديمها، إنما تأتي تقديرا من حكومة وشعب الكويت لأشقائهم في جمهورية مصر العربية.

١٨٦ مليار دولار قيمة الديون العربية حتى عام ٩٣

أصبحت مشكلة الديون الخارجية على الدول العربية تشكل عبئا كبيرا، وتنعكس بشكل أساسي على مستوى معيشة الشعوب العربية، كما أنها تؤدي في معظم الأحيان إلى عجز الحكومات عن توفير الخدمات الضرورية، وتأجيل مشروعات مهمة مثل البنية الأساسية، التي تحتاج إلى تمويل ضخم. وأوضح الدكتور جمعة محمد عامر - المستشار الاقتصادي لمجلس الغرف التجارية الصناعية بالسعودية - أن الدول العربية تنقسم فيما يتعلق بالمديونية الخارجية إلى مجموعتين، هما مجموعة الدول النفطية التي كانت تضم حتى عام ١٩٩١ الجزائر وسلطنة عمان، ثم انضمت إليهما السعودية والكويت. وتضم المجموعة الثانية عشر دول غير نفطية، في مقدمتها مصر وسوريا وتونس والأردن والسودان والصومال وجيبوتي وموريتانيا واليمن والمغرب. وأشار إلى أن قيمة الديون العربية بلغت حتى عام ١٩٩٣ حوالي ١٨٦ مليار دولار منها ٤١,٣ مليار دولار بنسبة ٢٥٪ للمجموعة الأولى، والباقي مديونية المجموعة الثانية، موضحا أن أعباء خدمة الديون في تزايد مستمر منذ عام ١٩٨٥، ويصل متوسطها خلال السنوات الثلاث من ١٩٩١ إلى ١٩٩٣ (إلى ١٦,٥ مليار دولار).

مأساة المسلمين في بورما

أصدرت السلطات العسكرية الحاكمة في بورما عددا من القوانين التعسفية ضد المسلمين المغلوبين على أمرهم في بورما، والتي تقضي بمنع المسلمين من ارتداء الزي الإسلامي أو إطلاق لحاهم، ومنع النساء المسلمات من ارتداء أي نوع من الحجاب وتطبيقا لهذه القرارات فإن المسلم الذي يطلق لحيته لا يقبض راتب عمله حتى يقوم بحلقها، ولا يسمح له قبل ذلك حتى بركوب الحافلات، والنساء اللواتي يخرجن متحجبات يمزق حجابهن على الفور، وتلزم السلطات الحاكمة هناك النساء المسلمات بالعمل في القوات المسلحة مدة ستة أشهر تحت رعاية أفراد قوات حرس الحدود المعروفين باسم «ناساكا»، بالإضافة إلى جملة من الإجراءات التعسفية الأخرى من ضمنها عدم السماح للمسلم بحرية التنقل من قرية إلى قرية إلا بتصريح من السلطات البوذية، والعائلات التي ليس فيها شباب أو رجال تؤخذ نساؤها للعمل بدلا عنهم بنظام السخرة، ولا يسمح للمسلمين بممارسة أي نوع من أنواع النشاط التجاري. وقد أطلقت هذه الحكومة - بشكل متعمد - العنان لعصابات «الماغ» للفتك بالمسلمين ونهب أموالهم وممتلكاتهم.

نداء

وجهت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» نداء إلى العالم الإسلامي والمجتمع الدولي، لحماية المؤسسات التربوية والعلمية والثقافية في جمهورية الشيشان التي تتعرض لهجوم روسي مسلح ألحق خسائر بشرية ومادية جسيمة، ودمر المرافق في العديد من القرى والمدن حيث طال هذا الهجوم المدارس والمعاهد والمستشفيات والملاجيء.



وفاة ٥٦٤ مدمن مخدرات في فرنسا

كشفت الأرقام التي نشرها المكتب المركزي لمكافحة تهريب المخدرات، عن وفاة ٥٦٤ شخصا في فرنسا في عام ١٩٩٤م، من جراء إدمانهم المخدرات، أي بزيادة ٢٤,٢٣٪ على العام الذي سبقه. ولوحظت هذه الزيادة بشكل خاص في باريس من خلال ٢٥٢ حالة وفاة (+٤٥,٦٦٪)، وفي مدينة (ليل) (شمال) ٩٦ حالة (+٣٠٪).

ويتبقى الهيروين المادة الرئيسية في التسبب بالوفيات (٩٠٪)، في حين أن ٥٠ حالة مرتبطة بتناول الأدوية (+١٣,٦٤٪). وتشير نفس الإحصائيات - من ناحية أخرى - إلى أن ٣٥٣٦ من أصل ٧١٧٩ مهربا للمخدرات تم اعتقالهم في العام الماضي في فرنسا هم من الأجانب، (أي بنسبة ٤٩,٢٥٪)، وهذه النسبة أدنى من تلك التي سجلت في عام ١٩٩٣، والتي بلغت ٥٥,٠٥٪. ويأتي الجزائريون في المقدمة (٩٧٦) مهربا، أي ٢٧,٦٠٪ يليهم المغربيون (٦٦٢) مهربا، أي ١٨,٧٢٪، ثم التونسيون (٢٥٦) مهربا، أي ٧,٢٣٪، والبريطانيون (٢١٠) مهربين أي ٥,٩٣٪) والزائيريون (١٨٠) مهربا، أي ٥,٠٩٪، وأخيرا الإيطاليون (١١٣) مهربا أي ٣,١٩٪.



مناهج إسلامية بالنيجر

طلب رؤساء المنظمات والمؤسسات الإسلامية في النيجر من الحكومة إدخال المناهج الدراسية الإسلامية في المدارس كما وعد بذلك رئيس وزراء النيجر «هما امادو» خلال اجتماع مع قادة العمل الإسلامي.

وكان السيد امادو - الذي اصبح رئيسا للوزراء قبل بضعة أشهر - قال: سندخل العلوم الإسلامية في برنامج ومناهج الدراسة في المدارس حتى نجعل الأطفال يتعلمون بصورة أفضل دينهم وواجباتهم ويصبحوا مسلمين صالحين.

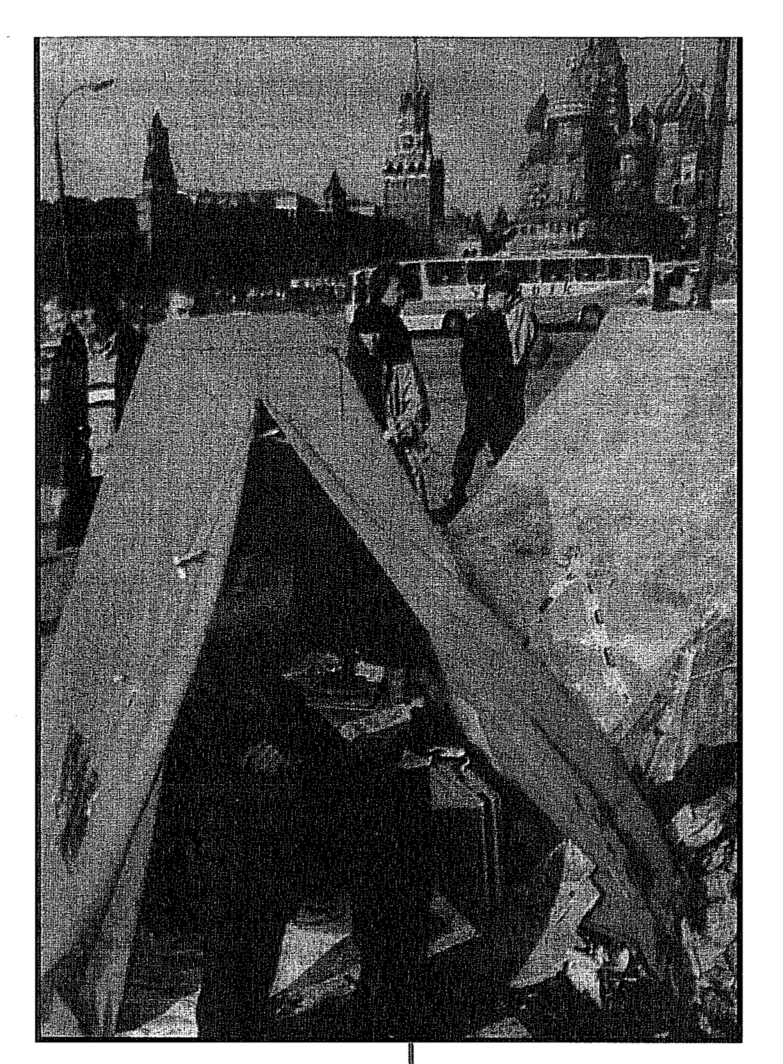
وتجدر الإشارة إلى أن أكثر من ٩٠٪ من سكان النيجر مسلمون، وأصبح الإسلام موضوعا مهما في التنافس الانتخابي لجذب أصوات الناخبين في القرى والأرياف، وكل المرشحين للانتخابات يقدمون وعودا للالتزام بالنهج الإسلامي.

مسلمو مقدونيا تحت الحصار

أصبح المسلمون في مقدونيا تحت الحصار الذي فرضته الأطراف الصربية عليهم لتحجيمهم، وأعطت المبشرين الأرثوذكس إمكانات هائلة لمواصلة التنصير.

وقد منعت السلطات الصربية مؤخرا عن المسلمين رخص بناء المساجد، ووضعت العراقيل أمام المشاريع الإسلامية، ومنعت لجان الإغاثة، ورفضت السماح للمسلمين بترميم المساجد التاريخية بحجة أنها من تراث العثمانيين.

ومن جانب آخر، قال رئيس المشيخة الإسلامية في سبليت إن الغرب يسعى لنشر الفرقة وسط مسلمي البلقان، وأن سقوط بيهاتش يفتح الطريق لإقامة صربيا الكبرى بعد أن استخدم الصرب كل الأسلحة المحرمة دوليا، ولم تعلن أية دولة من الدول المتحضرة إدانتها لهذه الاعتداءات الغادرة والوحشية، وأن اللعبة ماضية في التنفيذ، وأن التواطؤ الدولي واضح ومكشوف ويستهدف تنفيذ خطة التقسيم التي ترضي الصرب وتبقي المسلمين عاجزين.



ثلث الروس تحت مستوى الفقر

قالت وكالة (إيتار تاس) – نقلا عن لجنة الإحصاءات الرسمية التابعة للدولة – إن حوالي ٤٥ مليون روسي – أي ثلث الشعب الروسي – يعيشون تحت عتبة الفقر.
وأضافت: إن عدد الذين يعيشون من دخل دون الحد الأدنى الأساسي للمعيشة، ارتفع بنسبة ٢٣٪ في الفصل الأول من هذه السنة، قياسا على الفترة نفسها من السنة الماضية.
وقد حددت عتبة الفقر حاليا بما يعادل أربعين دولارا (١٩٥ ألف روبل)، كحد شهري في أنحاء روسيا، و٥٠ دولارا (٢٦٠ ألف روبل) في موسكو.
وتشير الأرقام الرسمية إلى أن متوسط الدخل الشهري خلال الفصل الأول من عام ١٩٩٥ بلغ ٦٥ دولارا (٣٢٦ ألف روبل).

شباب أميركا يزدادون (انتحارًا)

أفاد تقرير نشر في أتلانتا (جورجيا) – مركز مراقبة الأمراض – بأن نسبة الانتحار بين الأميركيين الشباب ارتفعت بشكل مذهل منذ العام ١٩٨٠م، خاصة بسبب توافر الأسلحة النارية، وارتفعت نسبة الانتحار بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٢م بين الشباب من ١٠ إلى ١٤ عاما ١٢٠٪ من ٠,٨ إلى ١,٧ من كل ١٠٠ ألف شخص. أما نسبة الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٩ سنة، فارتفعت إلى ٢٨,٣٪، من ٨,٥ إلى ١٠,٩ من كل ١٠٠ ألف شخص.

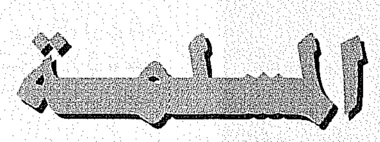
قتل المساجين السياسيين في الأرجنتين

اعترف عضو سابق في الجيش الأرجنتيني بمسؤوليته عن المشاركة في عمليات قتل ضد مئات من المسجونين السياسيين خلال فترة الحكم العسكري في البلاد، في السبعينيات. وذكر راديو لندن أن العضو فيكتور رايبانيوس أبلغ وسائل الإعلام أنه ساعد في عمليات نقل المعتقلين إلى إحدى سفن الأسطول وإلقائهم في البحر وهم أحياء. وكان أحد ضباط البحرية الأرجنتينية قد اعترف في الشهر الماضي باشتراكه في تلك العمليات. يذكر أن هذين الشخصين منحا حق الحماية من التحقيق بموجب قانون العفو الذي أصدرته الحكومة المدنية.

إدارة خاصة لمحاربة الانحراف في ماليزيا

أعلن رئيس وزراء ماليزيا أنه أنشئت إدارة خاصة في رئاسة مجلس الوزراء بماليزيا، لمحاربة الانحرافات عن الدين الإسلامي، وإعادة المنحرفين والمضللين إلى الدين الصحيح. ومن أوائل هذه الوسائل الحوار والمواجهة والنقاش وإقناع أفراد وزعماء الجماعات المنحرفة عن الدين وإعطاء النصيحة، وإدارة دورات تعليمية لمبادئ الإسلام الصحيحة. وردا على سؤال لأحد نواب البرلمان قال رئيس وزراء ماليزيا إن في ماليزيا ٤٩ جماعة تحرف تعاليم الإسلام، منها ١٣ ناشطة، وواحدة فقط على نشاط المستوى الوطني.

شكل آخر من أشكال الازدواجية لدى الشخصية المسلمة



لم يكن من العبث اعتبار جهاد النفس (جهادا أكبر).. لأن تصارع الإنسان مع ذاته لم يكن يوما بالأمر السهل، وخاصة إذا كان هذا الصراع يرمي إلى انتشالها من أمراض خطيرة، تعمل على هدم بناء النفس المؤمنة من الداخل، ثم يتواصل الهدم ليبلغ السلوك الخارجي..

والأمراض النفسية التي ينبغي للمسلم أن يكون أبعد الناس عنها، أبَتْ إلا أن تطال هذا الفرد، بعد أن سقطت الحماية الرادعة التي يفترض أن تمثلها أجهزة المجتمع من أسرة، ومدرسة، ومسجد، وأجهزة إعلام مختلفة، وغيرها من مؤسسات المجتمع التي يتفاعل معها الفرد عموما..

أمراض نفسية معاصرة

فها هي الذات المسلمة تمر اليوم بالعديد من الأمراض النفسية التي تؤذيها وتجردها من أخلاق القرآن، وتنخر في بنائها المتماسك لتحيله إلى أنقاض..

تصارع الإنسان مع ذاته لم يكن يوما بالأمر السهل.. وخاصة إذا كان هذا الصراع يرمي إلى انتشالها من أمراض خطيرة

ولأن سنة الله في الكون شاءت أن يكون الفرد هو العامل الأساسي لبناء المجتمع الإنساني، فقد كان من الطبيعي أن تنعكس أمراض هذا الفرد بجلاء على محيطه..

والصحة النفسية على الرغم من اختلافات علماء النفس في تعريفها، إلا أنهم اتفقوا - تقريبا - على أن الصحة النفسية هي (التوافق النفسي الذي يهدف إلى تماسك الشخصية ووحدتها). وأبرزوا من بين الخصائص التي تتميز بها الشخصية المتمتعة بالصحة النفسية خاصتي (التوافق الشخصي والاجتماعي)، و(الشعور بالسعادة مع النفس ومع الآخرين)..

وهذا يعني أن وحدة ينبغي أن تربط بين الجانبين الشخصي والاجتماعي، هذه الوحدة أعتبرها مجموعة القيم التي نظم بها القرآن علاقة الفرد بذاته، وعلاقة الفرد بغيره..

أما التعريفات التي تأخذ مفهوما إسلاميا، والتي عبر عنها (حمدي حنبلي)، حين اعتبر أن مظاهر الصحة تتمحور على ثلاثة محاور: (الرضا مع الذات، الرضا مع المجتمع، والرضا مع الله)..

مرض نفسي وعلاج إلهي

وعلاج هذه المحاور الثلاثة هو علاج إلهي، وتعامل المسلم مع هذه المحاور الثلاثة يأتي من خلال منهج رباني موحد ومتكامل، لا يدع مجالا للتصارع فيما بينها، إلا أن يكون صراعا بناءً يشحذ الإرادة وينميها، ويقوي المناعة الذاتية لدى الفرد المسلم.

من هذا التعريف المبسط لمفهوم الصحة النفسية، نستنتج أن سقوط أي محور من هذه المحاور الثلاثة، أو الانفصال في علاقة كل محور بالمحاور المكملة الأخرى، يتسبب في ظهور أمراض نفسية عديدة، لعل أبرزها هو انفصال الشخصية المسلمة إلى قسمين أو عالمين، هما: عالم يرضي الذات، وعالم آخر يرضي المجتمع، ويطلق على هذا المرض اسم (الازدواجية)..

والازدواجية هي واحدة من العلل النفسية التي ابتلي بها مجتمعنا الإسلامي، والتي تفوق ما سواها خطورة، لما تحدثه من تشويه لصورة الإسلام نفسه، لأن التلازم الوثيق الذي يربط بين المحاور - السابقة الذكر على الصعيد النفسي - يقابلها تلازم على الصعيد الاجتماعي، يتمثل في ارتباط وثيق بين الناحية الاعتقادية في الشخصية المسلمة، وبين السلوك الاجتماعي لهذه الشخصية، إذا انفصم كلاهما عن الآخر تسبب هذا في خلق شخصية مزدوجة في نظر المجتمع، تكون منقسمة إلى قسمين - ربما متنافرين - أحدهما نظري والآخر عملي. وعملية الفصل لمشاريع يفترض أنها متكاملة، تعتبر تدميرا لهذه المشاريع..

وما المحاولات الجادة في خلق مجتمع إسلامي يفصل بين التصورات العقائدية والتشريعات السماوية التي تقوم بها بعض التيارات العلمانية، إلا شكل من أشكال هذا الفصل المدمر. من هنا، كان انقسام الشخصية المسلمة إلى قسمين، أحدهما قولا والآخر عملا، يعتبر مرضا نفسيا لا يقتصر بالضرر على صاحبه فقط، لكنه يحدث خللا بالغا في تركيبة

القيم التي تؤسس بنيان المجتمع الإسلامي. إضافة إلى كون السلوك الذي ينتهجه المصاب بالازدواجية، يكون أشبه بسلوكين مختلفين لشخصيتين مختلفتين..

ولعل هذا الوضع يرسخ بعض المفاهيم لدى العامة، تصب كلها في التشكيك في الإسلام، ومدى قدرته على خلق انسجام وتناغم في الشخصية المسلمة..

الطامة الكبرى في انحراف القدوة

وتكون طامة كبرى حين يكون المصاب بهذا المرض هو أحد الشخصيات العامة!! كما ويخلق هذا الوضع نفورا لدى البعض من الدين، وهم يرون دعاة تنفصل أقوالهم عن أعمالهم، فتسقط بذلك أهمية القدوة على ما لها من قيمة في سلم العناصر التربوية في المجتمع المسلم. إضافة إلى أن في هذا تضييعا لأهم خصائص الإسلام، والتي تعتبر تجسيدا عمليا للنظرية، وتطبيقا لها على أرض الواقع، وإثبات صلاحيتها لكل زمان ومكان..

فالازدواجية تنتج عن كيان هش، وشخصية ضعيفة تقطعت داخلها الحلقات التي تربط بين محاورها الأساسية، فأصبح كل محور يعمل بشكل منفصل عن الوحدة التي تجمعهم، فتحقق بتجميعهم ذاك، صحة الفرد النفسية..

إننا إذا اعتبرنا القدرة على إدراك العلاقة بين محاور الصحة النفسية والالتزام بها قوة، وأن القدرة على إدراك العلاقة بين النظري والعملي، والتنسيق بينهما قوة، فلابد أن نوافق على أن عدم القدرة على هذا الأمر يعتبر ضعفا يتسبب في سقوط الشخصية المسلمة في نظر المجتمع، إذ إن القوة الحقيقية ليست في تصور القدرة على التطبيق، إنما هي القدرة على التطبيق فعلا، فعملية تصور أن الفرد قادر على الالتزام بالقيم الأخلاقية عملية سهلة وبسيطة، ولكن الصعوبة تكمن في قدرته الفعلية على ضبط نفسه، وحسن توجهها أثناء التزامه بهذه القيمة..

ويحضرني هنا (محمد قطب) وهو يصور العملية التربوية بإنسان يرى الصخرة الكبيرة عن بعد، فيعتقد أنه قادر على حملها إلا أنه عندما يقترب منها ويحاول حملها، يكتشف قدراته الفعلية، ويكتشف مدى الصعوبة أمام ذلك الأمر. لذلك أرى أن عملية التربية عملية تتواصل مدى الحياة، ليس الهدف الوصول إلى قناعات معينة فقط، إنما بهدف الوصول إلى ربط أوثق بين القول والعمل، بين القناعات وتطويع النفس على الالتزام بها..

أسباب الازدواجية والانفصام

هذا إلى جانب أن الازدواجية لدى الشخصية المسلمة اليوم، هي انعكاس لعدم وضوح الصلة والعلاقة بين (المعرفة الأخلاقية) و(العمل الأخلاقي).. فمجتمع إنساني لا تقيمه المعرفة الأخلاقية، إنما تقيمه الأفعال الأخلاقية.. والقيم والمبادىء الأخلاقية تكاد تكون واحدة عند جميع البشر، أما الفروق فتنتج عن مقدرة كل فرد على تطبيق أكبر قدر منها..

والاضطراب ينتج أصلا من هذه المفارقة، الازدواجية في إحدى أخطر صورها لدى الفرد المسلم هي في عدم قدرته الفعلية على تطبيق ما يعتقد به من سلوكيات وقيم ومبادىء، مما يجعله يشكل ـ بوضعه ذاك ـ عالمين متضاربين متناقضين أحيانا، عالم نظري يطرح من خلاله صورة مثالية لنفسه، تعكس تصورات ونظريات يعتقد هو بصحتها، وعالم عملي يعكس قدراته الفعلية على تحمل مسؤولية تطبيق تلك القيم والنظريات، وغالبا ما يكون هناك فرق شاسع بين العالمين..

والشخصية المسلمة التي تعاني من الازدواجية والانفصام بين عالمي النظرية والتطبيق، تعتبر إحدى أخطر مطعن للإسلام، لأن هذه الشخصية التي راحت تقيم لنفسها عالما تطبيقيا بعيدا كل البعد عن العالم النظري الذي تستعرضه خطابيا وكتابيا على الملأ، عالما تطبيقيا موصوفا بتصرفات منافية للقيم الأخلاقية الإنسانية، ومخالفة بشكل صريح لأي من الخلق الإسلامي السامي كانت سببا رئيسيا في نفور الكثيرين من الانضمام إلى صفوف الملتزمين..

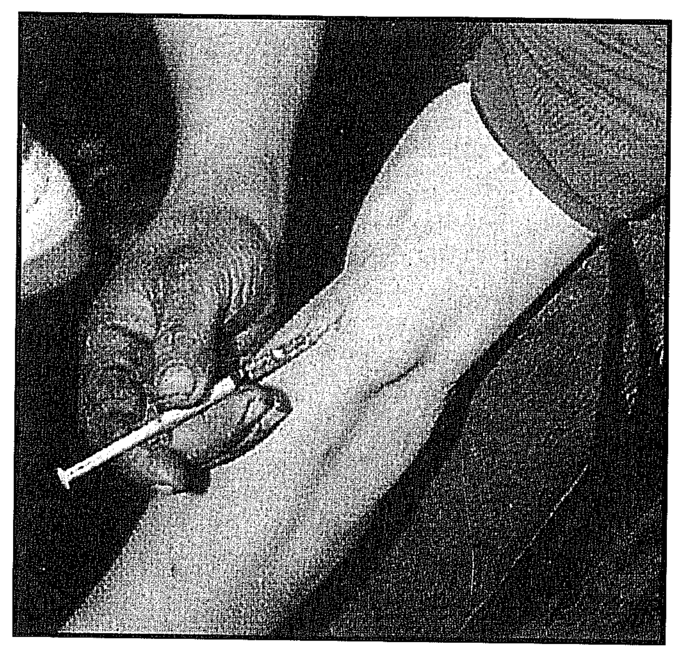
ولم يعد خافيا أن انفصال أقوال البعض عن أعمالهم، يكاد يكون أكبر صدمة للعامة أفقدتهم الثقة بالكثير من الشخصيات العامة على الساحة الإسلامية.. نعم.. إنه من المستحيل تصور معرفة أخلاقية منعزلة عن سلوك أخلاقي، وصحيح أن مدى اتصال هذه المعرفة الأخلاقية بالسلوك الأخلاقي تعد معيارا مهما من معايير تقييم الشخصية المسلمة..

الشخصية المسلمة شخصية متوازنة

إن المنهج الإسلامي في التربية يسعى إلى خلق إنسان متوازن بشكل وحدة متكاملة، يكمل كل جانب فيها الجانب الآخر، فبينما يعمل الجانب الفكري على التأمل والتحليل والمقارنة والوصول إلى نظريات سليمة، يعمل الجانب العملي على تطبيق هذه النظريات وإثبات صحتها وجدواها عمليا..

من هنا أصبح واجبا على كل مسلم تحديد ما إذا كان يعيش للنظرية أم للعمل أم للاثنين معا.. أما أن يعيش لنظرية تتجه باتجاه عاكس لما يعمل، فتلك ازدواجية من نوع آخر، تمزق أشلاء الشخصية المسلمة، وتبعدها عن الاستفادة من المقاصد الرئيسية للبناء الإسلامي.. فلا قيمة لعلم بلا عمل، ولا قيمة لمسلم لا يكمل الجانب العملي فيه الجانب النظري، ولا نرى مصلحة هذا المجتمع في أشخاص يعيشون الازدواجية فيعظمون بها مقصدا مهما من مقاصد الإسلام ويفسحون المجال لسيطرة اللاشعور، واللا إرادة، لكي تتحكم بأنفسهم، فتفقدها اتزانها■

الازدواجية لدى الشخصية المسلمة اليوم انعكاس لعدم وضوح الصلة والعلاقة بين (المعرفة الأخلاقية) و(العمل الأخلاقي)..



المخدرات والانتحار بالوهم ١/٢

تقوم الشريعة الإسلامية على جلب المصالح الخالصة والراجحة،

بقلم: فاروق حسان

سموم المخدرات وآثارها السيئة على الأفراد، والمجتمع الإنساني برمته من الأمور التي تشكل خطراً محققاً يقلق المسؤولين من السياسيين والتربويين والعلماء لما يترتب عليه من قضاء على الثروة الحقيقية لأي مجتمع بشري، وهو الإنسان..

وبالرغم من القوانين الصارمة التي اعتمدتها بعض الدول والتي تصل إلى الحكم بالإعدام على المتاجرين، وخوض دول أخرى حروباً عسكرية ضد منظمات المافيا الدولية في عقر دارها، بالرغم من ذلك كله ما زالت قوى الشر تتحرك بحرية وتطال يدها مناطق واسعة من العالم، وقطاعات أوسع من الشباب مما يستدعي تكثيف الجهود الإعلامية والتوعية عسى أن ننجح في إيجاد مناعة ذاتية تشكل وقاية صحيحة وفاعلة تقف بحزم في وجه فساد المخدرات..

والوعي الصحيح والإرادة الصادقة تفعل ما تعجز عنه القوة المادية.. وفيما يلي مساهمة من فاروق حسان تبين أخطار المخدرات وآثارها وطرق مقاومتها، خطوة على درب طويل تراه (الوعي الإسلامي) جزءاً من مسؤوليتها الإعلامية.

العقل مناط التكليف

العقل هو مناط التكليف في الإنسان، ولذلك أمرنا الدين الحنيف بأن نصونه من أي تلف أو عطب. ففي حفظه حفظ للنفس والذات، وتكريم للإنسانية، وتحقيق المصالح العامة، وهي بالاستقراء: حفظ الدين والنفس والعقل.

والمحافظة على العقل تقتضي الحيلولة بينه وبين أن تناله آفة تعجزه أو تتلفه أو تجعل صاحبه مصدر شر أو أذى للمجموع.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن الإسلام نبه كثيرا إلى قيمة العقل ومكانته، وأشاد بهؤلاء الذين يعملون عقولهم، ويستخدمون ملكاتهم في النظر إلى الكون بما فيه من بديع الصنع، وعظيم الخلق، وجمال الإبداع وتناسق الأحجام والأجرام.

وقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين ألغوا عقولهم وعطلوها عن التفكر والنظر والتأمل. ولم ينتفعوا بتلك الملكات التي كرمهم الخالق سبحانه بها في الوقوف على قدرة الصانع، وجلال الخالق، وقوة الرازق. وأيضا لم يسخروا عقولهم في مجالات الحياة التي خلقوا من أجلها والعمل على استغلال الثروات والمواد الطبيعية المتاحة من أجل سعادة الفرد وتقدم المجموع.

ورغم ذلك، فإن الحلق يغص بمرارة العلقم عندما نرى بعض أبناء خير أمة خرجت للناس، وهم يتنكرون لنعم الرحمن التي لا تعد ولا تحصى، ويفسدون صنعة الخالق، ويبددون طاقاتهم من العقل والفكر والإدارك والوعي والقوة، ويدمرونها بمعول المخدرات.

والمؤسف أن كل هؤلاء دخلوا دوائر التمزق والضياع والانحدار إلى حضيض الذراية بأقدامهم دون تبصر

أو بصيرة، مديرين الظهر للعقل والدين الخاتم، وصاروا عبئا ثقيلا على أنفسهم وذويهم ووطنهم، ومحورا من محاور الجريمة في أكثر من شكل وصورة، ناهيك عن إطفاء نور الإيمان واليقين في قلوبهم، واستبداله بوصمة الدنس والرجس، بعد أن توسطوا بؤرة الظلام فتشابهت عليهم الصور، واختلطت داخلهم الألوان ليخسروا أنفسهم وآدميتهم في آن واحد.

ولو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه، العجب العجب ممن يشتري بماله ما يفسده.

المخدرات والدين

تقوم الشريعة الإسلامية على جلب المصالح الخالصة والراجحة، وعلى درء المفاسد والمضار عن أمة المسلمين. وقد وضعت هذه الشريعة العديد من المبادئ والقواعد التي يعرف منها حكم أي أمر من الأمور، سواء أكان موجودا وقت التنزيل أم أستجد في مستقبل الأيام.

وقد حرم الإسلام المخدرات، ووضعها في صف واحد مع الخمر، وذلك فيما روته أم سلمة عن الرسول ﷺ، قالت:

نهى رسول الله ﷺ: «عن كل مسكر ومفتر» [رواه أحمد وأبو داود]. والمسكر معروف وهو الخمر، أما المفتر فهو المخدر. وما سميت المخدرات بهذا الإسم إلا - لوجود التخدير - أي التفتير فيها.

والمفتر في اللغة - كما جاء بمختار الصحاح - هو ما يكون منه حرارة في الجسد وانكسار في الأطراف مع الضعف والاسترخاء.

ويعرف المفتر شرعا بأنه:

هو الذي إذا شرب حمي الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار، ويقال فتر الرجل فهو مفتر إذا ما ضعفت جفونه وانكسر طرفه.

وقد صرح ابن الأثير في (النهاية): الفتر: هو الذي يصيب الشارب فتورا ورخوة في الأعصاب وخدرا في الأطراف.

ومن المعروف أن أحد مصادر التشريع في الإسلام هو ا. القياس - أي إلحاق أمر لم يرد فيه نص بأمر آخر ورد فيه نص لاشتراكهما في الحكم - وهذا يضع المخدرات في خط متواز مع الخمر. ففيهما يتوافر عنصر مشترك هو الإسكار والتغييب والتأثير في حكم العقل على الأشياء والأحداث.

ومن هنا، فإن حرمة المخدرات لاتقل عن حرمة المسكرات إن لم تزد عليها، ذلك لأن أضرار المخدرات إن لم تكن كأضرار الخمر فهي أشد منها اقتصاديا وخلقيا ونفسيا وصحيا.

وقديما أجمع فقهاء الإسلام الذين ظهرت في أزمنتهم تلك الخبائث على حرمتها. وفي طليعة هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال عنها في كتابه (السياسة الشرعية):

هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أو لم يسكر، وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك، فالخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه توجب الفتور واللذة، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهوة وما توجبه من - التخنث والديائة - فقدان الغيرة - ما هو شر من شرب الخمر.

ويذهب رحمه الله إلى أن متعاطي المخدرات مرتد عن الإسلام عندما يقول:

من استحل ذلك - أي المخدرات - وزعم أنه حلال فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولا يختلف التلميذ المحقق ابن القيم مع أستاذه ابن تيمية في حرمة المخدرات، يقول في كتابه (زاد المعاد):

الخمر يدخل فيها كل مسكر مائعا كان أو جامدا، عصيرا أو مطبوخا، فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور لأن هذا كله خمر بنص رسول الله ﷺ الصريح الذي لا مطعن في سنده ولا إجمال في متنه إذا صح عنه قوله ﷺ: «كل مسكر خمر» [رواه أحمد].

يقول ابن البيطار - عالم النبات المتوفى عام ١٢٤٨م:

الحشيشة التي توجد في مصر مسكرة جداً إذا تناول منها الإنسان قدر درهم أو درهمين. ويقول العلامة ابن حجر المكي في (فتاواه الكبرى):

إن المخدرات فيها مضار دينية ودنيوية، فهي تورث الفكر وتعرض البدن لحدوث الأمراض وتورث النسيان وتصدع الرأس، وتورث موت الفجاءة واختلال العقل وفساده والسل والقيء وفساد الفكر وإفشاء السر وذهاب الحياء وكثرة المراء، وانعدام المرؤة وكشف العورة وعدم الغيرة، وإتلاف الكسب ومجالسة إبليس وترك الصلاة والوقوع في المحرمات واحتراق الدم وصفرة الأسنان وثقب الكبد وغشاوة العين.

ويقول الشيخ سيد سابق مفتي مصر سابقا في كتابه (فقه السنة):

إذا كان من يقول بحل الحشيشة زنديقا مبتدعا، فالقائل، بحل شيء من هذه المخدرات - الحادثة التي هي أكثر وأكبر فسادا زنديق مبتدع أيضا بل أولى أن يكون كذلك.

علاوة على ذلك وقبله، فإن القاعدة المقررة في شريعة الإسلام تحرم على المسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة ما يقتله بسرعة أو ببطء. فالمسلم ليس ملك نفسه إنما هو ملك دينه وأمته، وحياته وصحته وماله ونعم الله التي أنعم بها عليه وديعة عنده لا يحل له التفريط فيها. وفي ذلك يقول الحق جل وعلا: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ [النساء/٢٩]. ويقول سبحانه: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى

العقل هو مناط التكليف في الإنسان، ولذلك أمرنا الدين الحنيف بأن نصونه من أي تلف أو عطب

التهلكة﴾[البقرة/ ١٩٥].

المخدرات والإنسان

ينبغي لنا أن نعترف بأن دوائر الشر التي تحيط بنا كمسلمين كثيرة ومتداخلة. وكل منها تعمل - منفردة أو مجتمعة - على العصف بنا من الجذور، لأنها تدرك أن هذه الأمة لو استجمعت قواها فسوف يعيد التاريخ نفسه، وهي تعي جيدا معنى دورة التاريخ.

ومن هنا، جاء التخطيط الخبيث لاختراقنا بسلاح المخدرات، ذلك السلاح الرهيب المدمر لأغلى ثروة قومية في البلاد.. وأعني بها الشباب.كما ينبغي لنا أن نعترف أيضا بأن تلك الظاهرة الجديدة الوافدة قد شاركت في تصديرها لنا حضارة ذات إيجابيات تدركها قلة عاقلة وسلبيات تعتنقها أغلبية مندفعة ومقلدة، حتى إن المرء ليخشى أن ننسى - في غمرة انبهارنا بمنجزات تلك الحضارة - مبادىء الرسالة الخاتمة وهويتنا العربية الأصيلة.وبنظرة سطحية، قد تبدو مشكلة الإدمان مجرد مشكلة فردية، جسمية كانت أو سيكلوجية، لا تتعدى آثارها شخصية المدمن أو المتعاطي، لكنها في الحقيقة مشكلة - أقرب إلى الكارثة - متعددة الجوانب، سواء بالنسبة للفرد نفسه من حيث تكيفه وتوافقه مع غيره، وكذلك من حيث عمله وكفاءته وتقدمه في الحياة، وأيضا من حيث ارتطامها - كمشكلة - بالقيود الاجتماعية للمجتمع سواء أكانت تلك القيود ممثلة في أخلاقه وقواعده وآدابه، أم فيما كونه المجتمع لنفسه من تقاليد وأعراف وعادات، أو في روادع القانون وأحكامه.

إنها باختصار (لعنة) تصيب الفرد، وكارثة تحل بالأسرة وخسارة محققة تلحق بالوطن

أنواع المخدرات

من المؤكد أن الحشيش والأفيون من أقدم المخدرات التي عرفتها البشرية. وقد أطلق السامريون على الأفيون عام ٤٠٠٠ ق.م. اسم نبات السعادة، كما استعمله قدماء المصريين، كما جاء ببردية ايبر عام ٥٠٠ ق.م. كدواء للأطفال ومنعهم من البكاء.

وفي السنوات الأخيرة ظهر ما يعرف بالسموم البيضاء التي يدخل في قائمتها الهيروين والكوكايين والكودايين وأقراص الهلوسة.

والهيروين أصله أفيون تمت معالجته، أما الكوكايين فيتم استخلاصه من نبات الكوكا. ولعل أخطر تلك الأنواع هو الهيروين وأقراص S.L.D التي تعطي صاحبها كل أنواع التخيلات والأوهام، إلى حد أنه من الممكن أن يتخيل نفسه طائرا فيلقي بنفسه من النافذة على أساس أن له جناحين، وقد يتصور نفسه شمشون فيحطم كل ما يقابله.

أما الكراك فهو أخطر وأبشع عقار شهدته الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك لأنه يؤثر في مخ المدمن خلال ثلاث دقائق فقط من تدخينه. وهو عبارة عن خليط من الكوكايين والمواد المخلقة كيميائيا.

ولأن ظاهرة الإدمان لا تريد أن تتوقف عند حد، فإن تلك الظاهرة تجذب كل يوم زبائن جددا لنوع جديد وغريب من الإدمان لكنه لا يوقع صاحبه تحت طائلة القانون وإن كان يحقق - في نفس الوقت - ما ينشده المدمن من حالة التخدير التي يسببها المخدر المعروف. وتلك الطريقة الجديدة تتلخص في حرق النمل وبعض الخنافس التي تحتوي أجسامها على بعض الأحماض والزيوت الطيارة.

ويتم هذا في إناء صغير يجمع بعده المدمن البخار المتصاعد داخل كيس بلاستيك ثم يشمه بقوة حيث تتصاعد الأبخرة إلى أنفه وهي محملة بحمض (النمليك) وبعض المواد الكيمائية الضارة الأخرى.. وذلك الأسلوب المبتكر في (الشم) منتشر في بعض دول آسيا.

ونستطيع أن نضيف إلى تلك الظاهرة - ظاهرة شم مالا يوقع تحت طائلة القانون - شم البنزين والتنر والجازولين والصمغ والأسيتون التي يستطيع أي فرد الحصول عليها ببساطة لتوافرها في السوق دون رقابة رغم أن المتخصصين يطلقون على البنزين والتنر إسم أكسير الموت لشدة سمية المواد الطيارة في المركبات البترولية، وتأثيرها المدمر في الجهاز العصبي بموت خلاياه حسب قدرة المتعاطي على المقاومة.

ولا تتعدى خطورة هذه المواد على الجهاز العصبي فحسب بل تتعداه إلى الفشل الكلوي وتسمم الكبد، وتؤدي في بعض الأحيان إلى فقدان البصر.

الإدمان ومظاهره

يعرف العلم الإدمان بأنه: حالة تسمم دورية أو مزمنة، تلحق الضرر بالفرد والمجتمع، وتنتج من تكرار تعاطي عقار طبيعي أو مصنع.

أما هيئة الصحة العالمية فتعرف الإدمان بأنه: حالة نفسية وأحيانا عضوية تنتج من تفاعل الكائن الحي مع العقار ومن خصائصها استجابات لأنماط سلوكية مختلفة تشمل دائما الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة متصلة أو دورية للشعور بآثاره النفسية أو لتجنب الآثار المزعجة التي تنجم عن عدم توافره. وقد يدمن المتعاطي أكثر من مادة في وقت واحد.

أما أصحاب التحليل النفسي فيرون أن الإدمان هو: لهفة شرهة مستمرة لبعض المواد أو الأنشطة بحيث يؤدي تعاطيها أو القيام بها إلى التخفف من الضيق أو الحصول على النشوة مما

قال ﷺ: «كل مسكر خمر» [رواه أحمد]

ينشأ عنه الاعتماد الفسيولوجي النفسي، وأن عدم استخدامه أو الاستمرار فيه ينتج عنه اضطرابات خطيرة في التوازن الفسيولوجي النفسي وهو ما يعرف بأعراض الانسحاب أو الامتناع.

ويلاحظ مما سبق طرحه صعوبة إيجاد تعريف شامل ومحدد لكلمة الإدمان، ذلك لأن لكل عقار إدمانا خاصا يختلف في درجة تأثيره وسرعة ربط احتياج الإنسان إليه.

ولعله من المناسب أن نؤكد الفرق بين مصطلحين يترددان كثيرا إذا ما أثيرت قضية المخدرات هما: التعود والإدمان. فالتعود هو: تعود الفرد عقارا معينا دون زيادة كمية العقار، أما الإدمان فهو: زيادة جرعة العقار بصورة مستمرة مما يؤدي إلى الاعتماد الجسماني عليه.

وفي هذا الصدد يقول بعض العلماء – وقد نتفق أو نختلف معهم – إننا جميعا مدمنون بدرجة أو بأخرى، والفرق بيننا وبين المنحرفين هو – فقط – نوع الإدمان. فبعضنا قد يدمن الشاي أو القهوة، والبعض يدمن الطعام أو الإسبرين.

الانتحار بالوهم

بشكل عفوي، أو تورط خال من الإرادة، أو حب استطلاع، أو مجاملة لعدو في ثياب صديق، يبدأ إدمان الهيروين – بتعاطيه بمجرد شمة واحدة، واحدة فقط، يشعر بعدها المتعاطي بالفرحة والنشاط والانتعاش الزائف، لكنه في غضون أيام قليلة يجد من الصعب عليه أن ينقطع عنه لشدة تأثيره في المخ الذي اعتمد عليه إلى درجة أن يصبح غذاءه ووجوده، ومن ثم يكون من المتعذر على المتعاطي أن يبتعد عن العقار لمدة ست ساعات فقط، حيث يؤدي الابتعاد إلى حدوث آلام مبرحة وضعف شديد مصحوب بإسهال وقيىء وتوتر عام يصل إلى الهياج ونوبات الصرع أحيانا.

ومثل هذه الطريقة من التعاطي – الشم – تؤدي إلى ضمور وتآكل الغشاء المخاطي للأنف، ومع استمرار التعاطي يصاب المتعاطي بثقب في الحاجز الأنفي وتشوهات بالأنف مما يؤدي إلى تكون قشور سميكة بالأنف، ينتج عند محاولة التخلص منها نزيف متكرر يؤدي إلى ضعف وذبول المدمن، وضمور الأغشية المخاطية، وفقد كامل لحاسة الشم وما يتبعها من عدم القدرة على التذوق. وبذا يفقد المدمن وظيفة الأنف كصمام أمان لوقاية الجهاز التنفسي، وتكييف هواء التنفس من حيث الحرارة والرطوبة.

ولم يأت استخدام الأنف كطريق للتعاطي من قبيل المصادفة، ولكن لأن الغشاء المخاطي يحتوي على شبكة دقيقة متشعبة من الشعيرات الدموية مما يسهل ويسرع بامتصاص العقار.

وقد يلجأ أكثر مدمني الهيروين إلى تعاطيه عن طريق الحقن بالوريد. وهذه الطريقة هي أخطر مراحل الإدمان، إذ يصل الهيروين في تلك الحالة إلى الدم مباشرة ومنه إلى المخ دون أن يمر على الكبد الذي يعد مصفاة أو مصنعا كيمياويا لتكسير واحتجاز السموم. وفي هذه الحالة يقوم الهيروين بتدمير القشرة العالية في المخ، وهي القشرة التي تفرق بين الإنسان والحيوان. وعندما تتآكل تلك القشرة يصاب الجهاز العصبي بالضمور التام، وهنا يستطيع المدمن أن يسرق بل يقتل دون وعي أو إحساس بعد أن تحول من إنسان إلى حيوان لا يهتم بالمثل أو الأخلاقيات أو علاقته بالآخرين، حتى إن علاقته الإنسانية بالأب أو الأم أو الأخ تنفصم تماما ليصيروا بالنسبة له مجرد مصدر للمال لا أكثر.

ولا يقتصر خطر التعاطي بالحقن على ما ذكرناه فحسب بل تمتد الخطورة إلى التجلطات الناجمة عن

في السنوات الأخيرة ظهر ما يعرف بالسموم البيضاء التي يدخل في قائمتها الهيروين والكوكايين والكودايين وأقراص الهلوسة



الحقن وتلوثها نتيجة إهمال علاجها من ناحية، وهروب المدمن من عرض حالته على الأطباء من ناحية أخرى. وهذه التجلطات تسبب التهابات صديدية في الرئة يؤدي إهمالها إلى تجمع صديدي في الغشاء البلوري، يؤدي في النهاية إلى الفناء.

كما تمتد الخطورة كذلك إلى احتمالات نقل مرض الأيدز بتكرار استخدام الحقنة الواحدة في حلقات الإدمان الجماعية، وهنا يكون المدمن عرضة للموت بالهيروين أو الأيدز وإن كان الأخير أشد فتكا.

وغيبوبة الهيروين سهلة التشخيص، وفيها يعاني المدمن من صعوبة شديدة في التنفس مع ضيق شديد في حدقة العين، وتراخ في العضلات وعرق شديد، مع ارتفاع في درجة الحرارة وإحساس بالبرودة.. وهي في الواقع أعراض التسمم.

ومما يثير الهلع حقيقة هو تحول غالبية مدمني الهيروين إلى تجار أو مروجين للعقار، كي يوفروا من أرباحه الخرافية ما يمكن أن يشبع نهمهم لهذا السم الزعاف.

أما المورفين فيتعاطاه المدمن عن طريق الحقن. حيث يشعر بالتخدير وتغير المزاج وبطء الحركة وثقلها، مع الإحساس بالوخز وجفاف الحلق، وقد تؤدي هذه الأعراض إلى النوم.

ويؤثر المورفين تأثيرا خطيرا على الجهاز التنفسي، لأنه يخفض من كفاءته بتأثيره على مراكز التنفس في المخ المصحوب بزيادة ضغط غاز ثاني أكسيد الكربون، ويزداد ذلك التأثير كلما زادت الجرعة المعطاة.

كما لوحظ أن المورفين يزيد من معدل إفراز الجسم لمادة الهستامين التي تلعب دورا كبيرا في انخفاض ضغط الدم، ومعظم الحالات التي تحدث نتيجة لتعاطي هذا العقار غالبا ما تكون نتيجة لتوقف الجهاز التنفسي. ونمر سريعا على الكودايين والكوكايين والقات وعقاقير الهلوسة وباقي مشتقات حلقة الموت، لنستمع إلى الدكتور خيري السمرة أستاذ جراحة المخ والأعصاب وعميد كلية طب القاهرة وهو يشرح تأثير إدمان المخدرات على مخ الإنسان.

لوحظ أن المورفين يزيد من معدل إفراز الجسم لمادة الهستامين التي تلعب دورا كبيرا في انخفاض ضغط الدم

يقول الدكتور: إن المخ مؤلف من بلايين الخلايا العصبية التي تعمل ليلا نهارا بطريقة متجانسة بوساطة إشارات كهروكيميائية. وكل مجموعة من هذه الخلايا متخصصة في أداء وظيفة معينة، فهناك مجموعة مسؤولة عن الكلام وأخرى عن السمع وثالثة عن الإبصار وهكذا. ومخ الإنسان يعمل كسيمفونية رائعة مازال الطب حتى هذه اللحظة عاجزا عن كشف طريقة عمله بالضبط. ويأتي إدمان المخدرات بأنواعها المختلفة ليربك المخ ويشل وظيفته الطبيعية، حيث تدخل هذه المخدرات تدريجيا في عمل وظائف المخ، بمعنى أنها «تنحشر» داخل الدائرة الكهروكيميائية فيصبح المخ معتمدا اعتمادا كليا على هذه المادة المخدرة حتى يقوم بوظيفته.

وبمرو الأيام - يضيف الدكتور السمرة - تضمر خلايا المخ العصبية وتتليف تدريجيا حتى يضمحل المخ تماما، وبذلك يتحول المدمن إلى مجرد حيوان مسلوب الإرادة، ضعيف الذاكرة، يعاني من القلق والإضطراب، ولا يستطيع التحكم في عمليات الإخراج، وهكذا يسري من سيء إلى أسوأ حتى تنتهي حياته التعسة بالموت.

ويكمل - الدكتور السيد الخضري مدرس العلاج بكلية طب المنصورة - الحديث عن الآثار البشعة لهذه السموم فيقول: إن مواليد الأمهات المدمنات للمخدرات يتعرضون للموت السريع، ولا يمكن إنقاذ الطفل الوليد إلا إذا تم حقنه بالمخدر. ويصمت الدكتور الخضري ليعطينا الفرصة لنتدبر ونستوعب مدى التأثير المتصل والمستمر للسموم البيضاء والتي يتعدى تدميرها الأم إلى الوليد دونما ذنب جناه أو جريرة.

أسباب الإدمان

كلما ثارت مشكلة الإدمان يفرض سؤال هام نفسه فيقول:

هل يرجع الإدمان إلى تكوين وراثي معين يدفع الفرد إلى التعاطي والإدمان، أم أن التعاطي يرجع إلى اضطراب عقلي أو ماهو قريب منه، أم أنه مجرد سلوك أخلاقي سيء أو رذيلة أخلاقية؟.

يجيب - الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة -على السؤال فيقول: هناك نوعان من المدمنين:

النوع الأول: مدمن ذو سمة غير اجتماعية، وهي شخصية تتميز منذ الطفولة بعدم الإلتزام والمسؤولية، وعدم الانتظام والهروب من الدراسة ومن ثم عدم تكملة التعليم، والكذب والنصب والشذوذ.

النوع الثاني: مدمن ذو شخصية سوية، ولأسباب اجتماعية أو لإحباط أصابه أو لمرض نفسي بدأ في تعاطي المخدرات حتى يصبح هذا السم هو أساس الحياة، ويصبح الهدف من الاستمرار في المعيشة هو الحصول عليه. وينوه الدكتور عكاشة بأن الأسلوب أو الطابع العام في تربية وتنشئة الطفل له انعكاس واضح على سلوكياته فيما بعد. فالأسلوب القائم على الإهمال وعدم الإكتراث والذي لا يعدو كونه ضربا من ضروب القسوة المعنوية، كثيرا ما يؤدي إلى فقدان الثقة ومشاعر الأمن والطمأنينة. وكذلك الأسلوب القائم على القسوة المتمثلة في الضرب والإهانة المستمرة غالبا ما ينجم عنهما شخصية غير سوية مهيأة في قابل الأيام للتعامل مع المخدرات.

فهل للآباء أن يستمعوا ويعوا جيدا ما قيل، حتى نجنب الأجيال القادمة ما سقط في هوّته بعض شباب هذا الجيل؟؟■

أخطاء لغوية شائعة

بقلم: اسماعيل عبد الفضيل

١ - يقال: (فلان بين ظِهرانِيهم) بكسر الظاء والنون والصواب أن يقال: (بين ظَهْرَانَيْهِمْ) بفتح الظاء والنون وسكون الياء، وأجاز أبو حاتم أن يقال: بين ظهريْهِمْ، يروى أن أعرابيا في حلقة درس ابن حبيب فسئل أين مسكنك؟ فقال الكوفة، فقال: ياسبحان الله، هذه بنو أسدٍ بين ظهرانَيكُمْ وأنت تطلب اللغة بالبصرة، قال الأعرابي: فاستفدتُ من كلام ابن حبيب فائدتين الأولى: أنه قال: هذه ولم يقل هؤلاء لأنه أشار إلى القبيلة فأنث اسم الإشارة والثانية أنه قال: ظهرانيْكُمْ بفتح النون.

٢ - عندما يكثر أبناء الرجل يقال عنه: (قد كثرت عَيْلَة فلان)، إشارة إلى كثرة عياله وهذا خطأ، وذلك لأن العيلة هي الفقر بدليل قول الله تعالى: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ وعيلة فعلها: عال يعيل، واسم الفاعل: عائل، قال تعالى: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ أي كنت فقيرا فأغناك، ويقول الرسول ﷺ: «لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»، وأما الذين يعالون فيقال عنهم: (هم عيال الواحد عيل)، والرجل الذي كثر عياله، يقال: رجل مُعيل، وقد عالهم يعولهم، وفي الخبر: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»، وفي كلام العرب: (والله لقد عُلْتُ حتى عِلْتُ).

٣ - (اجتمع فلان مع فلان) وهذا التعبير بعيد عن اللغة العربية إذن فهو خطأ، والصواب أن يقال: (اجتمع محمد وعلي أو فلان وفلان) لأن الفعل اجتمع واختصم وما كان على وزن تفاعل وتخاصم وتشارك يقتضي وقوع الفعل من أكثر من واحد، فمتى أسند الفعل منه إلى أحد الفاعلين لزم أن يعطف عليه الآخر بالواو، ومعنى الواو يدل على الاشتراك في الفعل ولهذا يقال اجتمع محمد وعلي ومن الخطأ القول اجتمع محمد مع علي.

٤ - يقال: (قَتلَه شر قَتْلَة) بفتح القاف والصواب (قِتْلَة)، لأن الغرض من هذه العبارة الإخبار عن هيئة القِتلة تقول: ركبت رِكبة أنيقة، وقعد فلان قِعدة مريحة. والمثل الذي يضرب للرجل المتمرس: (إن العوان لا تعلم الخِمْرة من الاختمار)، ومن القواعد: أن العرب جعلت فَعلة بفتح الفاء للمرة الواحدة، تقول: (أكلت أكلة واحدة)، وبكسر الفاء فِعلة للهيئة: (جلست جِلسة).

وقول الله تعالى: ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ يجوز في غَرفة فتح العين، ويقصد المرة الواحدة، ومن قرأ بضم الغين ﴿غُرفة﴾ أراد بها مقدار الراحة من الماء.

٥ - يقال للرجل المضيع لأمره والذي يطلبه بعد فوات أوانه: (الصيفَ ضيعتَ اللبن) بفتح التاء، ولكن النسق اللغوي يقول: (الصيف ضيعتِ اللبن) لأنه مثل والأمثال تحكي على أصل صيغتها وأولية وضعها، وأصل هذا المثل أن عمرو بن عمرو بن عدس كان قد تزوج ابنة عم أبيه، وكان ذا مال وحدث طلاق بينهما، فتزوجها عمير بن معبد، وكان رجلا مقترا، فمرت بها يوما إبل عمرو - زوجها الأول - فقالت لخادمتها: قولي له ليسقنا من لبن إبله، فلما أبلغته قال لها: قولي لها: (الصيف ضيعت اللبن)، وخص الصيف بالذكر لأنها كانت سألته الطلاق فيه، فكأنها يومئذ ضيّعت اللبن.

٦ - من الخطأ قول: (قدم سائر الحجاج)، فيستعملون سائرا بمعنى الجميع، ولكن سائرا في كلام العرب بمعنى الباقي ومنه قيل لما يبقى في الإناء: سؤر، والدليل على صحة ذلك أن النبي ﷺ قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة: «اختر أربعا منهن وفارق سائرهن»، أي من بقي بعد الأربع اللاتي تختارهن، ومما يدل على أن سائر بمعنى باق ما أنشده سيبويه:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه
وسائره باد إلى الشمس أجمع

ومعنى البيت: أن الثور يرى مدخلا رأسه في ظل كناسة لما يجد من شدة الحر وسائره بارز للشمس

٧ - يقال: (طرده الوزير) أو طرده فلان: والصواب: (أطرده)، لأن معنى طرده أبعده بيده أو بآلة في كفه، كما تقول: طردت الذباب عن الشراب، أو طردت الناموس عن الحجرة، أما إذا قلت أطرد فلان فلانا أي أمر بإخراجه، والعرب تقول في مثل هذا المثال: أطرده، كما تقول: أطرد فلان إبله أي أمر بطردها، والطرد بسكون الراء المصدر.

٨ - يقال في جمع مرآة: (مرايا) وهذا خطأ شائع، وقد وقع في هذا الخطأ شاعر من المحدثين فقال:

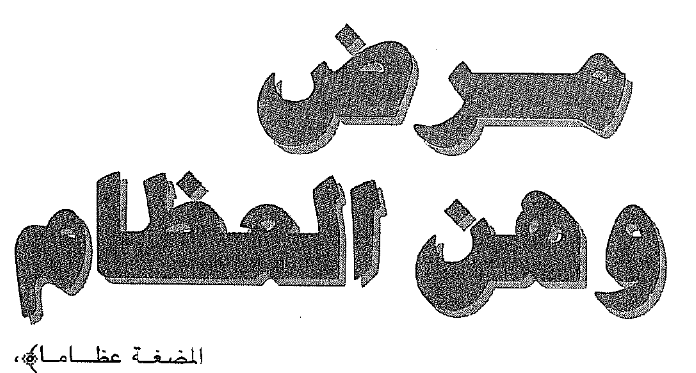
قلت لما سترت لحيته
بعض البلايا
فتن زالت ولكن
بقيت منها بقايا
فهب اللحية غطت
منه حدا كالمرايا
من لعينيه التي
تقسم في الخلق المنايا

والصواب أن يقال: مرآة: مراءٍ، أما مرايا فهي جمع ناقة مفردها مرى وهي التي تدر إذا مرى ضرعها ولذلك جمعت مرى مرايا.

٩ - يقال: (فلان تتابعت عليه المصائب) بالباء ولكن صحة الكلام: (تتايعت) بالياء، لأن التتابع يكون في الخير والصلاح، والتتايع يكون في الشر والسوء، وروى أنه لما كثر شرب الخمر في عهد عمر بن الخطاب جمع الصحابة وقال: (إني أرى الناس قد تتايعوا في شرب الخمر)، وروى أيضا أنه جاء: (وما يحملكم على أن تتايعوا في الكذب كما تتايع الفراش في النار)، فإذن السياق اللغوي: تتايعت عليه المصائب، تتابع عليه فعل الخير■

اهتم القرآن الكريم بالعظام فوردت كلمة عظام ومشتقاتها خمس عشرة مرة

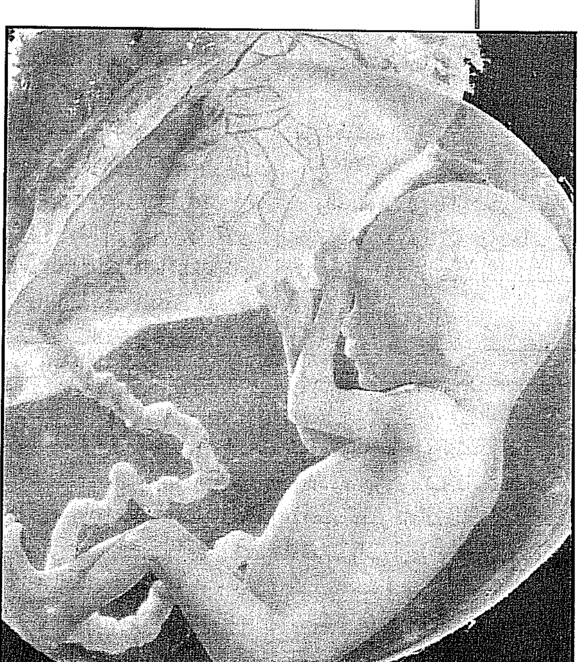
بقلم: د. سلـــوى جلبـــايـــة



وردت كلمة عظام في القرآن الكريم خمس عشرة مرة، ما بين كلمة العظام، والعظم، وعظاما، وعظامه.. وعندما نسأل أنفسنا لماذا اهتم القرآن الكريم بالعظام كل هذا الاهتمام؟ وما فائدتها؟ وما أهم خصائصها؟ نجد ما يأتي:

أهم فوائد العظام

١- يكوّن العظم هيكل الجسم، أي يعطي الجسم شكله المميز، فنجد أن الحيوانات الرخوة - التي ليس لها هيكل عظمي - ليس لها شكل محدد مثل قنديل البحر، وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون:١٤]. هنا تكلم القرآن عن مراحل خلق الإنسان، ثم يقول حتى تجيء مرحلة العظام: ﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾، فمرحلة كسوة العظام باللحم ﴿فكسونا العظام لحما﴾..



وهنا يقف الإنسان مندهشا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف - على وجه الدقة - إلا أخيرا بعد تقدم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولا في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، وتمام الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني: ﴿فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما﴾ [ظلال القرآن، ج٦، ص١٦].

٢- تسهل العظام عملية الحركة، لأنها تمد العضلات بالروافع اللازمة لتأدية وظيفتها، فجهاز الحركة يتكون من: الهيكل العظمي الذي تتصل عظامه بعضها ببعض، بواسطة المفاصل، ومن العضلات التي تحركها وتحرك العظام [تفسير الجواهر، ج١١، ص١٠٥].

٣- حماية الأعضاء المهمة في جسم الإنسان مثل الجمجمة التي تحمي المخ، والعمود الفقري يحمي الحبل الشوكي، والقفص الصدري يحمي القلب والرئتين.

٤- تكوين عناصر الدم المختلفة، وذلك في السنين الأولى من العمر.

٥- تعد مخزنا للكالسيوم لتفادي التغيرات الحادة لمستوى الكالسيوم في الدم، ويكون هذا على حساب العظام.

٦- يستفيد الطب الحديث من العظام في معرفة عمر الإنسان، عن طريق فحص مراكز النمو الثانوية في أطراف العظام، من حيث موعد ظهورها، وموعد التحامها مع العظمة الأم.

خصائص العظام

يعتقد معظم الناس أن العظام أقل حيوية من باقي أعضاء جسم الإنسان، ولكنها في الواقع عضو حساس، يتمتع بخصائص كثيرة من الحيوية، ففي الكسور، نجد أن الجزء المكسور من العظام ينزف كثيرا، حيث إن العظام غنية بالأوعية الدموية، ومن خصائصها الالتئام بعد الكسور، واستعادة شكلها نتيجة الكسور، وتلك الخاصية تعتمد على عوامل كثيرة، من أهمها السن.

وهذا يدعونا للحديث عن التغيرات التي تحدث في العظام نتيجة كبر

السن، وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ [مريم:٤].

ومن أوائل الذين اكتشفوا مرض وهن العظام (أبقراط)، كتب عنه: أنه مرض السن الكبيرة، وأنه لا يعتد مرضا بقدر ما يعتد تغييرا طبيعيا يحدث في العظام، يجعله اسفنجي البنية، كلما تقدم العمر. ولكننا لابد أن نضع في اعتبارنا أنه توجد - أيضا - أسباب مرضية تؤدي لظهور هذا المرض في سن صغيرة، ومن أهم هذه الأسباب هي: حالات الالتهاب كمرض الروماتويد، واستعمال كميات كبيرة من أدوية الكورتيزون، ولكن هذه الأسباب لا تزيد على نسبة ٥٪ من جملة أسباب هذا المرض.

وهناك نظريات عديدة وضعت لتفسير وهن العظام في السن الكبيرة، ولكن أهم هذه النظريات اللاتي لاقت اهتماما كبيرا، هي أن الله الخالق المبدع خلق كل شيء في جسم الإنسان بميزان حساس، فهناك اتزان بين تكوين خلايا العظام، وموت وتحلل الخلايا التي انتهى عمرها، وعندما يحدث أي خلل في هذا الميزان - كأن تقل نسبة تكوين خلايا العظام أو تزيد نسبة موت الخلايا - فإنه يؤدي قطعا إلى حدوث هذا المرض. وتقول الإحصائيات: إن نسبة حدوث مرض وهن العظام في السيدات أكثر منها في الرجال، فهناك إحصائية تقول: إن كل سيدة من بين ثلاث سيدات فوق سن الستين، تعاني من وهن العظام، في صورة كسور، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه بعد سن الأربعين يبدأ الإنسان سواء كان رجلا أو امرأة في فقد نسبة من خلايا تكوين العظام تقدر بحوالي ٠,٠٣٪ في العام، وتستمر هذه النسبة في الرجل دوما، أما في السيدات فتزيد هذه النسبة لتصل إلى حوالي ٣٪ في العام، بعد سن اليأس، وهذا بسبب أن الهرمون الأنثوي يقل بنسبة كبيرة عندما تصل المرأة إلى سن اليأس، ونقص هذا الهرمون يؤدي إلى زيادة نسبة موت الخلايا المكونة للعظام، وأيضا إلى نقص امتصاص الكالسيوم في الأمعاء مع زيادة إفرازه في البول.

ويكثر وهن العظام في إنجلترا وغرب أوروبا، وتقل نسبته في الشرق وإسبانيا، والدلائل التي توضح للطبيب أنه أمام حالة وهن عظام، أن هذا المريض هو غالبا ما يكون امرأة لم تنجب، أو وصلت إلى سن اليأس مبكرا، أو يكون المريض خاملا وكسولا، وغالبا يدخن السجائر.

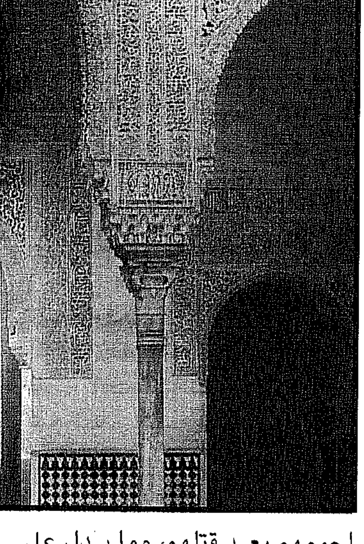
ومن أعراض هذا المرض أن المريض يعاني من ألم في ظهره، وحيث إن معظم السيدات يعانين من آلام الظهر، فإن هذه الآلام قد تكون نتيجة كسور في العمود الفقري، وهن لا يدرين، ومن الممكن عدم اكتشاف هذه الكسور إلا عند عمل الأشعة، ومما يزيد من آلام الظهر، ملازمة الفراش وعدم القدرة على الحركة، وعدم مزاولة أي تمارين رياضية. وأحيانا يصف المريض نفسه بأن طوله ينقص تدريجيا، بالإضافة إلى ظهور حدب في ظهره، ويتأكد تشخيص هذه الأعراض عن طريق عمل الأشعات والتحاليل اللازمة.

ما طرق علاج وهن العظام؟

بداية علاج هذا المرض تبدأ بعرض المريض على اختصاصي جراحة العظام لعمل الأشعات اللازمة وعلاج أية كسور موجودة، وعند التأكد من خلو المريض من أي كسور، نبدأ بعمل تمرينات رياضية خفيفة، وأهم هذه التمرينات هي المشي، وصعود ونزول الدرج، مع إعطاء المريض أقراصا من فيتامين (د)، وأقراص كالسيوم التي أثبتت أن لها دورا فعالا في تقليل نسبة الكسور، وأيضا فهي تقلل من نسبة موت وتحلل خلايا تكوين العظام، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا المريض لا يعاني من أي مشاكل في الكلى، خوفا من حدوث ترسبات أملاح الكالسيوم وتكوين الحصوات. ومن أحدث الأدوية المستخدمة في علاج وهن العظام هو دواء الكالسيترنين، وهو هرمون مستخرج من الغدة الجار درقية، ومع أن هذا الدواء غالي الثمن - ويحتاج إلى متابعة خاصة من الطبيب المعالج - إلا أنه أثبت فعالية عالية في علاج هذا المرض. ويبحث الأطباء الآن علاج السيدات اللاتي وصلن لسن اليأس مبكرا، ويعانين من أعراض وهن العظام بالهرمون الأنثوي، ولكنه ما زال تحت الأبحاث■

العظام - بخلاف ما يعتقده الناس - عضو حساس يتمتع بخصائص كثيرة من الحيوية

بلغ المسلمون أوج التطور والرقي الحضاري بفضل الإسلام متمثلا في كتاب الله العظيم وسنة الرسول الكريم ﷺ المطهرة، بالإضافة إلى ما أنجزه علماء المسلمين من تراث إسلامي فذ في شتى العلوم الشرعية والكونية، وماتركه المسلمون كذلك من آثار عمرانية خالدة، تشهد بالرقي الحضاري الكبير لهذه الأمة في الشرق والغرب.



الإشعاع الحضاري الإسلامي

بقلم: محمد علي وهبه

لم يبدأ الأوروبيون بنقل مظاهر الحضارة الإسلامية الزاهرة إلى أوروبا إلا في أواخر القرن الـ١١ الميلادي

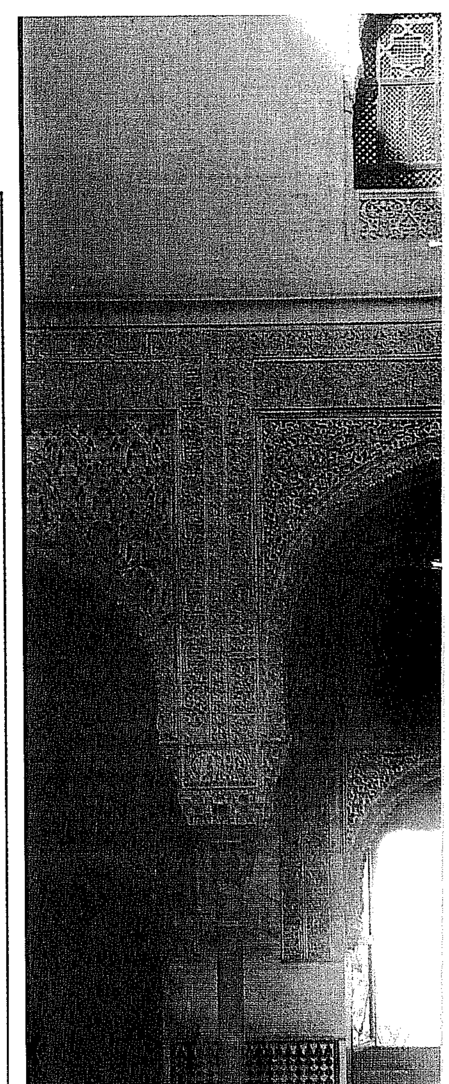
ودامت حضارتهم الزاهرة حوالي ألف عام من الزمان، وامتد ملكهم من الأندلس غربا إلى حدود الصين شرقا، ومن أواسط آسيا، وجنوب أوروبا شمالا إلى أواسط أفريقيا وجزر المحيط الهندي جنوبا. وكان ذلك منذ بدايات القرن السابع الميلادي، وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. وكانوا هم القوة العظمى الأولى في العالم، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعاني من الجهل والتخلف والمرض وإلى حد انتشار الأوبئة والمجاعات لديهم. وتكفي الإشارة إلى ما يقوله لنا المؤرخ (درايبر) من أن (الناس أكلوا لحوم البشر في مجاعة بلندن سنة ١٠٣٠م، وإن خمسة عشر ألفاً من أهل لندن هلكوا جوعا في مجاعة أخرى في سنة ١٢٥٨م)(١).

عصر الظلمات الأوروبي

كما يخبرنا أحمد بن فضلان رسول الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد الشمال الأوروبي في عام ٣٠٩هـ - ٩٢١م، يخبرنا بأنه قد رأى بأم عينيه (الوندول) وهم من الفايكنج أهل الشمال الأوروبي، الذين يسكنون بلدان اسكندنافيا الآن (السويد والنرويج والدانمرك) كانوا يعيشون في همجية وبربرية، ويمارسون الطقوس الوثنية، ويقتلون البشر، ويأكلون لحومهم بعد قتلهم، مما يدل على كثرة المجاعات لديهم. وكان ابن فضلان يطلق عليهم اسم (وحوش الضباب)، أو (أكلة الموتى)(٢).

كما أنه لكثرة انتشار الأوبئة والجهل والفقر في أوروبا فقد قضى الطاعون على ربع سكان أوروبا فيما بين عامي ١٣٤٨، ١٣٥٠م، وفيما بين عامي ١٣٤٨، ١٣٧٩م تقلص عدد سكان بريطانيا إلى النصف بسبب وباء الطاعون، بل والأخطر من ذلك أنه فيما بين سنة ١٠م، ١٨٤٦م قد حدثت في بريطانيا وحدها مائتا مجاعة(٣).

ولنا أن نتأمل بناء على انتشار الأوبئة والمجاعات في أوروبا في ذاك



الوقت إلى أي مدى كان يعيش الأوروبيون في فقر وجهل وأمراض وتخلف. في الوقت الذي كان المسلمون ينعمون فيه بالانتعاش الاقتصادي والازدهار الحضاري بشكل كان الأوروبيون يحسدونهم عليه، ويقلدون المسلمين في أشياء كثيرة، ويتباهون بتعلم اللغة العربية، ويتمنون بلوغ أي قدر من التفوق الحضاري الإسلامي.

أسرار التفوق الحضاري الإسلامي

وقد عكف الكثير من علماء ومفكري أوروبا على دراسة أسرار هذا التفوق الحضاري الإسلامي للوقوف على أسبابه، ومحاولة الاستفادة منها. ومنهم المستشرق (مونتجمري) الذي قال عن الإسلام بوصفه دينا حضاريا عالميا: (إن فكرة الأمة كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إليها. ولاتزال إلى هذا الزمن ينبوعا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين إلى الوحدة في أمة واحدة تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة. وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه، فاشتملت أمة الإسلام على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح. ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحد لينشق عليها، ويقطع الصلة بينه وبينها، بل كان المنشقون عنها يعتقدون أنهم أقرب ممن يخالفونهم إلى تعزيز وحدتها ولم شملها، ونفى الغرباء عنها)(٤). كما قال المستشرق (هيرشفيلد) عن القرآن، دستور الأمة الإسلامية: (ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها).(٥). كما قال الأديب الإيرلندي الشهير (جورج برنارد شو) عن رسول الله ﷺ: (إنني اعتقد أن رجلا كمحمد ﷺ لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم أجمع لتم له النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير، ولحل مشاكله على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة)(٦).

جسور الاتصال الحضارية

ولم يبدأ الأوروبيون بنقل مظاهر الحضارة الإسلامية الزاهرة إلى أوروبا إلا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. وقد ساعدهم على ذلك أمور كثيرة، كان من ضمنها روح الفرقة التي بدأت تسود بين بلدان العالم الإسلامي، وانشغال المسلمين بالصراعات فيما بينهم، مما أدى إلى عدم الاستقرار في العالم الإسلامي، ذلك الاستقرار الذي يعتبر الأساس للازدهار العلمي والاقتصادي والازدهار الحضاري بشكل عام. كما كان من أهم الأمور التي ساعدت الأوروبيين على نقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا سهولة وصولهم إلى مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي، التي كانت تشكل المعابر الرئيسية، التي عبرت من خلالها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وهذه المعابر هي:

الأندلس:

وقد دخلها المسلمون منذ سنة ٩٢هـ واستمروا بها حتى سنة ٨٩١ هـ - ١٤٩٢م، أي حوالي ثمانية قرون، ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية في الأندلس، تماما كما كان شأن الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي، بل إن مسلمي الأندلس قد تفوقوا أكثر في النواحي الثقافية والفنية.

وعندما بدأ الأوروبيون يدركون ما بلغه المسلمون من تفوق حضاري في الأندلس، أقبل طلابهم من أوروبا الغربية على الأندلس لدراسة علوم المسلمين(٧).

عكف الكثير من علماء ومفكري أوروبا على دراسة أسرار التفوق الحضاري الإسلامي

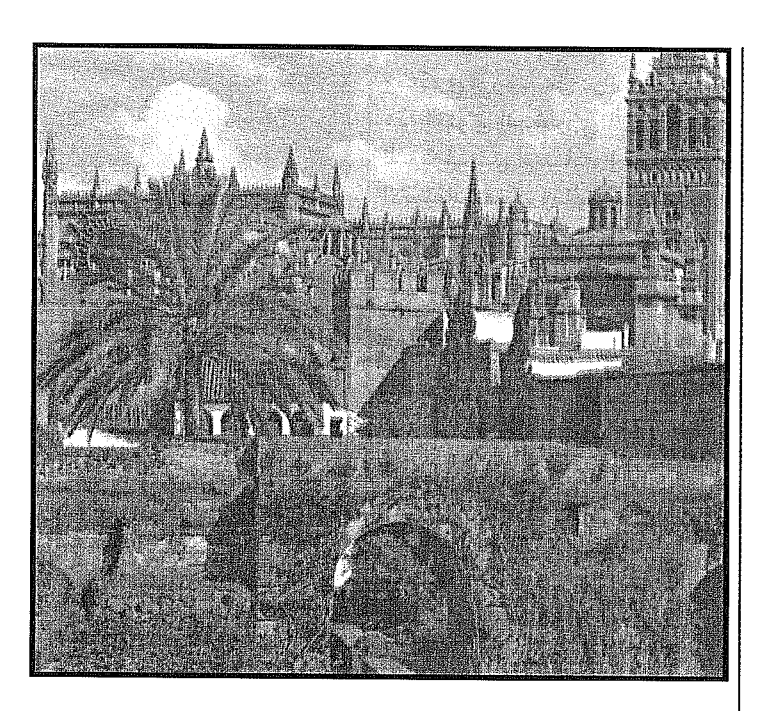
واستمر طلاب العلم من غرب أوروبا يتدفقون على الأندلس، وكانت أعدادهم تتزايد بشكل هائل، خصوصا منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، بهدف الاستفادة والاستزادة من الدراسات العربية الإسلامية في الأندلس. وقد نشطت حركة الترجمة من اللغة العربية، واستمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع الهجري). وترجموا إلى اللغة اللاتينية الكثير من المؤلفات العربية الإسلامية في مختلف العلوم والفنون والآداب، وكذلك الكثير من مؤلفات الإغريق القدماء المنقولة إلى العربية(٨).

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بصفة خاصة، كان الأوربيون حريصين بخاصة على نقل العلوم المادية التجريبية عن المسلمين في الأندلس، كعلم الكيمياء والفيزياء والميكانيكا (الذي كان يعرف عند المسلمين بعلم الحيل)، وعلوم الطب والصيدلة والجراحة، وعلوم المعادن والتعدين والرياضيات، وغيرها من العلوم التطبيقية التي نقلوها من العربية إلى اللاتينية، ثم إلى اللغات الأوروبية المختلفة بعد ذلك.

استطاع المسلمون أثناء حكمهم لصقلية وجنوب إيطاليا أن يدخلوا أساليبهم المتقدمة في الزراعة والصناعة والتجارة،

صقلية وجنوب إيطاليا:

كانت صقلية وجنوب إيطاليا ثاني مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي على أوروبا، حيث كانتا من المناطق الداخلة في إطار الإمبراطورية الإسلامية الكبرى، وكان للمسلمين وجود سياسي واقتصادي فاعل ومؤثر فيهما، بالإضافة إلى فاعلية الحضارة الإسلامية بشكل عام فيهما،



حيث مازالت آثار فن العمارة بنقوشها الإسلامية الرائعة قائمة هناك سواء بالأصل أو النقل والمحاكاة، وبما يشهد بعظمة الحضارة الإسلامية وتأثيرها في أوروبا. فكان للحضارة الإسلامية شأن كبير في صقلية وجنوب إيطاليا أثناء حكم المسلمين لهما الذي امتد من سنة ٩٠٢ إلى سنة ١٠٩١م(٩).

وقد استطاع المسلمون أثناء حكمهم لصقلية وجنوب إيطاليا أن يدخلوا أساليبهم المتقدمة في الزراعة والصناعة والتجارة، كما نشروا علومهم فيهما، مما أدى إلى سيادة الرخاء والرقي الحضاري بفضل الوجود الإسلامي هناك.

وعندما زال الحكم الإسلامي عن صقلية وجنوب إيطاليا، قدر الحكام الجدد من المسيحيين أهمية الحضارة الإسلامية، لذلك قربوا إليهم علماء المسلمين، وشجعوا على ترجمة الكتب العربية(١٠).

مصر والشام:

وتعتبر مصر والشام ثالث مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي على أوروبا، والتي كانت الحروب الصليبية مفتاحا لها.

فقد أدت الحروب الصليبية إلى صدام عسكري بين العالمين الأوروبي المسيحي والعربي الإسلامي. وقد بلغ الصدام الدامي، الذي استمر ثلاثة قرون من الزمان ذروته فوق رقعة الشرق الأدنى.

مع ذلك وجد إلى جانب الصدام العسكري احتكاك سلمي يبدو بجلاء في الناحيتين الثقافية والتجارية(١١).

فقد أدت الحروب الصليبية التي احتك فيها الصليب بالهلال إلى تهيئة الجو لظهور عصر جديد وحضارة جديدة في أوروبا كان للمسلمين وحضارتهم الفضل فيها، من خلال ما نقله الأوروبيون من أسباب الحضارة عن المسلمين

في مصر والشام بسبب الاحتكاك الثقافي والحضاري بين طرفي الصراع. فمن الناحية اللغوية انسابت الكثير من الكلمات والمصطلحات العربية في اللغات الأوروبية وتضمنت القواميس الأوروبية المئات من الكلمات ذات الأصول والجذور العربية(١٢).

وسائل أخرى لانتقال الإشعاع الحضاري الإسلامي

إن كانت مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي على أوروبا السالف ذكرها تعتبر أهم المعابر الحضارية الإسلامية إلى أوروبا، فإن هناك وسائل أخرى لا تقل أهمية عن هذه المراكز، بل تفوقها أهمية، ساهمت بقدر كبير في انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا. ومن أهم هذه الوسائل:

١ - الرحلات التي كان يقوم بها بعض مستشرقي الغرب من العلماء والمفكرين، حيث كانوا يطوفون بلاد العالم الإسلامي طلبا للعلم والمعرفة بعد فترة طويلة من الكبت والحرمان فرضتها عليهم الكنيسة اللاتينية. وقد ترك هذا آثارا واضحة في العقلية الأوروبية والفكر الأوروبي(١٣).

٢ - حركة الترجمة الواسعة:

ولكن الإفادة الكاملة من خلاصة الفكر الإسلامي تمت عن طريق حركة الترجمة الواسعة التي قامت على أكتاف فريق من المستعربين الذين نقلوا المئات من المؤلفات العربية أو المعربة عن اليونانية القديمة إلى اللاتينية، ثم إلى اللغات الأوروبية الأخرى.

الخلاصة

ان أوروبا اعتبارا من أخريات القرن الحادي عشر الميلادي فصاعدا شهدت العديد من الانتفاضات والأحداث والانقلابات الحضارية الخطيرة التي شملت كل الميادين بفضل ما نقله الأوروبيون عن المسلمين من العلوم، فأدى ذلك إلى تلك الانطلاقة الجبارة التي شهدتها أوروبا في شتى أفرع المعرفة الإنسانية، الأمر الذي أدى بها إلى نهضة القرن الثاني عشر، التي مهدت لعصر النهضة، الذي مهد بدوره للعصر الحديث وحضارته العملاقة الزاهرة(١٤).

وتجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن إحياء مثل هذا الدور الفعال والمؤثر في مسيرة الحضارة الإنسانية للمسلمين، لا يقصد به مجرد الحض على المباهاة بما كان لسلفنا الصالح من أمجاد، أو المباهاة بانتسابنا إليهم، وإنما إحياء مثل هذه الأمجاد الفذة لسلفنا الصالح، إنما يقصد به الحض على اقتفاء آثار الأجداد العظماء، والاقتداء بهم، والسير على نهجهم الإسلامي الرشيد.

وقد ضرب جل شأنه مثلا في الأمم السالفة الصالحة، ودور الخلف من الأبناء والأحفاد منها، وذلك في حديث يعقوب إلى بنيه من ذرية إبراهيم عليهم السلام، حيث قال سبحانه في ذلك: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ [البقرة/ ١٣٤].

وقد جاء في تفسير ابن كثير في قوله تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أي مضت، ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها، ولكم أعمالكم. ولهذا جاء في الأثر: (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)(١٥) وعلى الله قصد السبيل □

أدت الحروب الصليبية إلى صدام عسكري بين العالمين الأوروبي المسيحي والعربي الإسلامي

الهوامش:

١) الجانب العمراني في الحضارة الإسلامية د. محمود محمد قاسم، مجلة الوعي الإسلامي عدد ٦٤ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ يونيو ١٩٧٠م.

٢) أكلة الموتى، عن مخطوطة ابن فضلان التي صاغها روائيا الكاتب الأمريكي (مايكل كرايتون) ترجمة تيسير كامل، دار الهلال. عدد ٤٣٧ شعبان ١٤٠٥هـ، مايو ١٩٨٥م.

٣) التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي د.محمد السيد عبدالسلام، عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد ٥٠. ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ / فبراير ١٩٨٢.

٤) آراء فلاسفة وعباقرة الغرب في الإسلام، زكريا هاشم زكريا، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

٥) المرجع السابق. ٦) المرجع السابق.

٧) المدنية العربية الإسلامية. نظرية في الأصول والتطور. يسري عبدالغني. المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

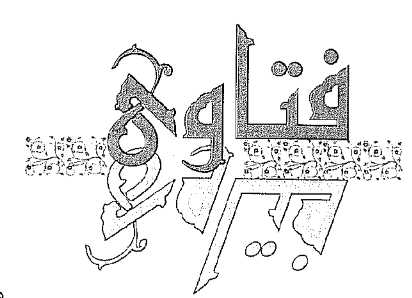
٨) تاريخ الحركة الصليبية، د. جوزيف نسيم يوسف. دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٩١م.

٩) المرجع السابق. ١٠) المرجع السابق. ١١) المرجع السابق. ١٢) المرجع السابق. ١٣) المرجع السابق.

١٤) المرجع السابق.

١٥) من تفسير ابن كثير في الآية ١٣٤ من سورة البقرة.

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..



حج المرأة عن الغير

●ورد للجنة السؤال التالي:
هل يصح أن تحج امـرأة عن شخص متـوفى ومن تـركتـه مع العلم بأن المرأة قـد حجت عن نفسها، وستكـون برفقـة محرم لها؟ وهل يصح لها أن تحج من أموال أحد أقاربه كأخيه؟

■وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
يصح للمرأة أن تحج عن رجل متـوفى ما دامت قد حجت عن نفسهـا حجة الإسلام، سـواء كانت نفقة الحج من مال المتوفى أو من غيره.

حكم استعمال الدبوس في ملابس إحرام الرجال

●ورد للجنة السؤال التالي:
هل يجوز استعمال الـدبـوس المشبـك والمكبس غير المخيط في ملابس إحـرام الرجـال، على أن يمر بين الـدبوس والمكبس أستك غير مخيط؟

واطلعت الهيئة على نموذج من ملابس الإحرام يتكون من ثلاث قطع، الإزار، ويشتمل على حجزة مركبة بـواسطة الكبس يمر من داخلـه خيط عـريض (شريـط) غير مخيط مثبت في الحجـزة بكبسات معـدنية ثـابتة، وفيها جيبـان للنقود مثبتـان بكبسات معدنية أيضـا. والرداء كذلك فيه كبسـول معدني (مشبك) يمكن فتحه وقفلـه، ومعهما ما يشبـه السروال يربط على البطن ويستر العورة من غير خياطة، وفيه كبسات.

■وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
لا يجوز لبس المحرم لأي من النماذج الثلاثـة التي فيها كباسات لأن ذلك من قبيل الخيـاطـة والإحـاطـة الممنـوعين في لبـاس المحـرم.

حـج المرأة من مال زوجـها

●ورد للجنة السؤال التالي:
١) الـزوجة ملتحقـة بالجامعـة خارج البـلاد فهل يجوز للزوج أن يصرف عليها من أموال الزكاة؟
٢) بالنسبة لحج الزوجـة هل يجوز حجها من مال زوجها؟ وما الحكم إذا كان هذا المال من الزكاة؟

■وأجابت اللجنـة عن الشق الأول من السؤال بما يلي:لا يجوز الصرف على الـزوجـة من زكـاة الـزوج بقصد التعليم أو غيره، ويجوز الصرف عليها من زكاة غير الزوج بقصد التعليم، إذا كانت فقيرة، والله أعلم.
أما بـالنسبة للشق الثاني من السؤال، فقـد أجابت عليـه لجنة الأمـور العامـة في المحضر رقم ٤٢ع/٩٣ بالآتي:
لا يلزم الـزوج نفقة الحج لزوجته مـوسرة كانت أم معسرة، لأن ذلك ليس من نفقة الزوجية، وإن كـانت الـزوجـة معسرة لم يجب عليها الحج لقـولـه تعـالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾. ولكن من حسن العشرة أن يسهل لـزوجتـه أداء هـذه الفريضة بماله إن كان مـوسرا، وبمرافقته لها، على أنه إذا حجت المرأة من مـالها أو مـال زوجهـا أو غيره سقطت عنها حجة الإسلام، لأن الحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وقـد حصلت. ولم يرد اشتراط كون حجة الإسلام من مال الشخـص نفسه، والاستطاعة المشروطـة في الحج شرط للـوجـوب، وليست شرطـا للصحـة، فإذا حج غير المستطيـع صح منـه الحج، وسقطت عنه الفريضة.

من أخر الرمي عليه دم

●ورد للجنة السؤال التالي:
هل يجوز تأجيل الرمي إلى اليوم الأخير من أيام التشريق فأرمي عن الأيام السابقة من دون عذر أم لا يجوز إلا لعذر؟

■وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
أنها ترى الأخذ بمذهب الحنفية والمالكية وهو أن من أجّل رمي الجمرات إلى اليـوم الأخير من أيام التشريق عليه دم، لأنه لم يـرم الجمرات في الأيام السابقة على اليوم الأخير في موعدها.

بين حج التطوع ومساعدة المنكوبين

● ورد للجنة السؤال التالي:

أي العملين أفضل في الإسلام: حج التطوع لمن سبق له الحج؟ أم مساعدة المسلمين المنكوبين وبخاصة مسلمي البوسنة والهرسك بالمال الذي رصده الحاج لحجته؟

■ وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إن الأفضل لمن أدى فريضة الحج ويريد أن يحج نفلا أن ينفق نفقة حجه في مساعدة فقراء المسلمين والمنكوبين كمسلمي البوسنة والهرسك والبلاد الإسلامية التي تتعرض للمجاعة. لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم جهاد في سبيل الله». قيل ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور».

ويعتبر دفع المال للمسلمين المنكوبين نوعا من أنواع الجهاد بالمال. وقد ثبت عن ابن المبارك: أنه خرج إلى الحج فاجتاز بعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على المزبلة، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا بجارية قد خرجت من دار قريبة، وأخذت ذلك الطائر الميت ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء ابن المبارك وسألها عن أمرها، وأخذها الطائر الميت فاستحيت أولا. ثم قالت: أنا وأمي هنا، وليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وكان لنا والد ذو مال عظيم فأخذ ماله وقتل لسبب من الأسباب، ولم يبق عندنا شيء نتبلغ به أو نقتات.

سمع بذلك ابن المبارك فدمعت عيناه وأمر برد الأحمال والمؤونة للحج وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار. فقال له: ابق لنا عشرين دينارا تكفينا لإيابنا، وأعط الباقي إلى هذه المرأة المصابة، فوالله لقد أفجعتني بمصيبتها، وأن هذا أفضل عند الله من حجنا هذا العام، ثم قفل راجعا، ولم يحج.

وأعتقد أن هذه الصدقة فوق الحج المبرور والسعي المشكور.

حكم من أخطأ الرمي

● ورد للجنة السؤال التالي:

حدث لكثير من الحجاج في الحملة أنهم رموا جمرة العقبة الكبرى خطأ حيث إنهم كانوا يرمون الشاخص (الجدار الذي يكون بجانب الرمي) من جهة ليس بها مرمى سواء فوق الجسر أو أسفله ولما نبهتهم إلى ذلك تعللوا بجهلهم فأمرتهم بقضاء الرمي في اليوم الثاني للعيد فكان البعض رمى الصغرى والوسطى والكبرى ثم رمى الكبرى عن اليوم الأول للعيد.. فهل يجزئ ذلك أم يجب قضاء رمي اليوم الأول أولا؟

وقد استفسرت اللجنة من المستفتي عن كيفية الرمي المسؤول عنه فأفاد بأن الحجاج الذين وردت الإشارة إليهم في السؤال كانوا يرمون الجدار المجاور لنصف دائرة المرمى، وأن رميهم كان يقع إلى هذه الجهة التي ليست من المرمى، أو بعيدا عن دائرة المرمى.

■ وبعد الاطلاع على السؤال والاستماع إلى إفادة السائل أجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

من رمى جمرة العقبة فأخطأ المرمى ثم قضى في اليوم التالي أجزأه ذلك عند جمهور الفقهاء، أما من لم يتدارك الرمي وفاته الرمي فإنه يلزمه دم ينحر في مكة ويوزع على فقرائها.

من فاته الرجم لزمه دم

● ورد للجنة السؤال التالي:

كانت خطة الحملة في الحج هو التأخر لثالث أيام التشريق ثم غيروا رأيهم فجأة لرغبة الحجاج في التعجل.. وذهب بعض النسوة إلى السوق على أساس أنهن سيرمين جمرات ثاني أيام التشريق في الليل.. فلما جئن في وقت المغرب فوجئن بتعجل الحملة فماذا يفعلن في تلك الحالة؟

■ وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

أنه يلزم النساء اللائي كن في السوق وحضرن وقت المغرب ولم يرمين جمرات اليوم الثاني من أيام التشريق يلزم كل واحدة منهن دم، وينحر بمكة ويوزع على فقرائها، فإن كانت هذه الحالة قد حدثت في الماضي ينحرن الفدية الواجبة جزاء لذلك بمكة، ويمكن لهن إرسال قيمة الفدية تشتري بها شاة وتذبح بمكة، وتوزع على فقرائها.

حكم من تأخر ولم يرجم

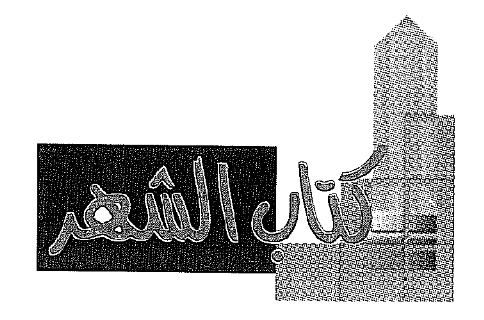
● ورد للجنة السؤال التالي:

قررت الحملة تعجيل السير وأمرت بعض إدارييها بأن يذهبوا إلى مقرها في منى لنقل العفش إلى المخازن وهناك تأخر الإداريون ولم يرموا الجمرات إلا في الليل فهل كان يلزمهم البقاء أم عليهم الفدية أم لا شيء عليهم؟

■ وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إنه يفهم من السؤال هو أن بعض إداريي الحملة بقوا في منى بعد غروب شمس اليوم الثاني من أيام التشريق لنقل العفش إلى المخازن، وهناك تأخروا ولم يرموا الجمرات إلا في الليل، وعليه ترى اللجنة الأخذ برأي جمهور الفقهاء، وهو أنه كان يلزمهم المبيت بمنى تلك الليلة ورمي جمرات اليوم الثالث من أيام التشريق بعد الزوال فإذا كانوا لم يبيتوا ولم يرموا الجمرات فعلى كل منهم دم مُدّ من الطعام وإن كانوا قد باتوا تلك الليلة، بمنى ولكنهم لم يرموا جمرات اليوم الثالث من أيام التشريق فيلزم كل منهم دم. وتنبه اللجنة من يلزمه فدية من دم أو طعام إلى وجوب أن يفعل ذلك في مكة أو منى، فإن لم يكن قد فعل فيمكن إرسال القيمة ليشتري بها الطعام أو ما ينحر ويوزع على فقراء الحرم.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ - ١٢ ظهرا ومن ٤ - ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة / ٢٤٦٦٣٠٠ .. ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



(ثقافة الطفل المسلم – مفهومها وأسس بنائها)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض). إعداد الأستاذ أحمد بن عبد العزيز الحليبي. إشراف الأستاذ الدكتور محمد رأفت سعيد.. سنة ١٤٠٥هـ. وتقع الرسالة في ٥٧٨ صفحة.

ثقافة الطفل المسلم مفهومها وأسس بنائها

الأسرة أقوى عوامل التأثير التربوي قاطبة.. وأكثرها تأثيرا في البناء الثقافي

عرض:

صلاح أحمد الطنوبي

لكل أمة مبادىء وقيم

بعد حمد الله تعالى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. قال الباحث: (من المؤكد أن لكل أمة من الأمم مبادىء وقيما ومفاهيم ومواقف تمثل شخصيتها الظاهرة، وتعبر عن نظرتها للحياة، وتنم عن تصورها للوجود، فتحرص على استمرارها والمحافظة على كيانها، ووقايتها من عوارض الزمن، وصراع الأفكار، وتبذل في سبيل رسوخها وثباتها كل ما تملك من نفس ونفيس، وجهد وجهيد..

وإذا كان هذا شأن كل ثقافة في كل أمة، فإن الحرص على الثقافة الإسلامية ونشرها، وتوريثها للأجيال القادمة، أدعى وأولى، فهي فكر دين، ختم الله به الرسالات، وتصور رسالة بعث نبيها للعالمين، ونظرة حق ورثت للبشرية هداية ونفعا، ومنهج خلافة ملأ الأرض عدلا ونورا..

وإن أقرب مسلك يحفظ لهذه الثقافة استمرارها، وأجدى وسيلة تضمن لها قوتها، هو بناؤها في نفوس الناشئة، بناء يبذر عناصرها منذ وجودهم في أحضان أمهاتهم، ويعودهم النشأة عليها، وهم في مدارج طفولتهم، لتتأهل نفوسهم لأداء دورهم في الحياة إذا بلغوا سن الرشد، بعد أن تؤمن قلوبهم، وتهتدي عقولهم، وتستقيم جوارحهم، عندها يكتب للثقافة الإسلامية التمكين).

أسباب اختيار البحث

١ – قراءة الباحث في مجلة الأمة القطرية صفر ١٤٠٢هـ، حيث استوقفه حوار تحت زاوية قضايا معاصرة بعنوان: (الغزو الفكري لأطفالنا كيف نواجهه؟). أجري بين خبراء في تربية الطفل وصحافته.. وهال الباحث ما يتعرض له الطفل المسلم من سيل عارم من المؤلفات، والمجلات، والصحف الأجنبية المعربة، التي حاصرته، وقدمت له الغث والسمين، مستهدفة مسخ شخصيته، وتشويه فكره.

٢ – تذكر الباحث أن عاماً دوليا للطفل قد انصرم، وقد أثار اهتمام العالم به وبحقوقه، مما دفع الباحث إلى البحث عن حصاد هذا العام من البحوث والاهتمامات الفكرية، انتهى منه إلى أن ما طرح فيه من بحوث باللغة العربية – وتخص ثقافة الطفل – لم تخرج غالبا عن زاويتي تربيته وأدبه.

٣ – أهمية إبراز دور الإسلام في بناء ثقافة الطفل المسلم بديلا للتثقيف الوافد، الذي يتعرض له الطفل المسلم في دياره، والتعريف بالعوامل المؤثرة فيه، بناء وهدما.

٤ – الشعور بالمسؤولية أمام هذه المرحلة الخطيرة من حياة الإنسان، وما تؤدي إليه من نتائج في مستقبل العالم الإسلامي سلبا وإيجابا، والتي تكاد أن تكون مهملة في الدراسات الإسلامية، أو لم توف حقها بعد.

أقسام البحث

قسم الباحث البحث إلى باب تمهيدي وبابين رئيسيين وخاتمة

التمهيد: أفرده الباحث باسم (باب)، لما رأى من ضرورة وقوف القارىء على تصور سريع لمفهومي الطفولة والثقافة، لتتضح له طبيعة هذه المرحلة، وحقيقة أصل الثقافة،

والمقصود منها.

مفهوم ثقافة الطفل المسلم

الباب الأول: (مفهوم ثقافة الطفل المسلم). قسمه الباحث إلى ثلاثة فصول.

الأول: بيّن فيه المقصود من تثقيف الطفل المسلم.

الثاني: بيّن فيه الضوابط التي يلزم أن يتقيد بها التثقيف الإسلامي.

الثالث: بيّن فيه العوامل المؤثرة في التثقيف.. متناولا بالدراسة أهم قوى المجتمع تأثيرا، وموضحا أصالتها في التثقيف، وأثرها الإيجابي في البناء، والسلبي في الهدم.

ثقافة الطفل المسلم

الباب الثاني: (أسس بناء ثقافة الطفل المسلم)، وقسمه إلى ثلاثة فصول.

الأول: البناء الإيماني، وهو القاعدة التي يقوم عليها تثقيف الطفل المسلم. بيّن المؤلف في هذا الفصل مفهوم الإيمان لغة واصطلاحا، ومعنى الإيمان بأركان الإسلام، وسماتها، ومعنى إيمان الطفل.. وأهمية هذا البناء في تكوين ثقافة الطفل المسلم، مبرزا أوجه هذه الأهمية.. ووضّح فيه أهم الطرق العاملة على بناء هذا الجانب.

الفصل الثاني: البناء الفكري. بيّن الباحث فيه مفهوم الفكر، ومتى يكون إسلاميا، ووضّح موقف الإسلام منه، وأوجه رعايته له.. وأشار إلى مستويات تفكير الطفل، وتناول أهمية الفكر الإسلامي، ومردود بنائه على الطفل المسلم.. ووضح أهم الطرق المؤدية إلى بنائه وتكوينه.

الفصل الثالث: البناء العبادي.. تكلم الباحث فيه عن مفهومه من حيث اللغة، ومعناه العام والخاص، وسمات الشعائر التعبدية.. ووضّح أهمية البناء العبادي في بناء شخصية الطفل المسلم، وأثره في تهيئة الشخصية المسلمة العابدة، وبيّن أهم الطرق البانية للعبادة في نفس الطفل، وأثرها في بناء ثقافته.

أهم النتائج

الخاتمة: وفيها لخص الباحث أهم الأمور التي تعرض إليها في البحث، والنتائج التي توصل إليها من خلاله، ومن أهم فقرات الرسالة:

١ - أن مرحلة الطفولة المعنية بالتثقيف، تصدق على الفترة الزمنية النامية التي يعيشها الإنسان الصغير، من ساعة ولادته إلى أن يحتلم.

٢ - أنه يتعين على كل من يتصدى لعملية تثقيف الأطفال أن يدرس مرحلة الطفولة دراسة دقيقة وواعية، يتعرف فيها على طبيعة نموها، وخصائص مراحلها.

٣ - أن مفهوم النصوص الشرعية يوحي أن الطفولة تنقسم إلى أربع مراحل: الرضاعة، والحضانة، والتمييز، والمراهقة.

٤ - أن مفهوم الطفولة هو المرحلة القابلة للنمو المتكامل في جميع جوانب الإنسان، بفضل ما زود به الطفل - وهو مولود - من قابلية للتغير، وقدرة على التعلم، واستعداد للانتفاع بخبرات البيئة المحيطة في أطوار الطفولة الأربعة، في نشوء فطري متقدم ومتجه إلى النضج، خاضع للتفاعل الحاصل بين مقوماته الطبيعية، وعوامل التأثير البيئية، التي تعمل على إمداده وتأهيله للدور المطلوب في مستقبل الحياة في فترة زمنية تبدأ من الولادة، إلى سن التكليف الشرعي.

٥ - أن الإسلام سبق الاهتمام العالمي الحديث، وميز المجتمعات السابقة ذات الديانة المحرفة، أو الفلسفات البشرية عناية بالطفل، وتطبيقا لحقوقه.

٦ - أن في اللغة العربية استعمالا للثقافة يقرب منه مفهومها في العصر الحاضر، ومع هذا لا يمكن القطع بأن هذه الاستعمالات اصطلاح قديم لعلم الثقافة.. وليس هناك ما يثبت على وجه الجزم أن لها مفهوما محددا في العصور الماضية.. وكل ما يمكن الجزم به أنها: علم حديث اقتضاه الظرف التاريخي الذي تمر به الأمة الإسلامية، وهي تواجه تحديات فكرية معادية، ومفاهيم مغلوطة وافدة، ومناهج علمية ملتوية.

٧ - أن أقرب مفهوم يحدد هذا العلم أنه مجموعة القيم والأفكار والمفاهيم والتطلعات وقواعد السلوك، باعتبارها الروابط المشتركة بين أفراد المجتمع ذات القدرة على توجيه قراراتهم وتصرفاتهم وأنماط سلوكهم، والتي تترابط في إطار مذهبي يُبنى على العقيدة، أو التصورات التي يؤمن بها المجتمع، ويدين لها أفراده، والقائمة على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

٨ - أن أبرز خصائص الثقافة الإسلامية كونها ربانية المصدر.. وأصيلة وثابتة.. وواقعية ومرنة.. وشاملة ومتزنة.. وقولية وعملية.

٩ - أن المقصود من عملية التثقيف هو: رعاية الطفل الناشيء في التعبير عن شخصيته النامية، وحفز طاقاته الكامنة، بحيث تتلاءم مع واقع المبادىء والقيم التي يؤمن بها المجتمع، بوساطة العوامل المؤثرة في تثقيفه، والتي تصل في النهاية إلى بناء شخصية الطفل السليمة - إنسان المستقبل الراشد.

١٠ - أن أبرز العوامل الاجتماعية تأثيرا في بناء ثقافة الطفل أربعة: الأسرة، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام.

يعد المسجد من أقوى العوامل تأثيرا في صياغة شخصية الطفل المسلم الثقافية

المدرسة من أقدم العوامل تأثيراً في البناء والتأسيس والتأصيل والتجديد

مركزية دور الأسرة

١١ - أن الأسرة تعد أقوى هذه العوامل قاطبة، وأكثرها تأثيرا في البناء الثقافي، وأقدرها في نقل الثقافة، إذا توافر فيها أمران:

أ - الالتزام بالإسلام في جميع أحوالها، مما ييسر على أطفالها انتهاج الطريق المستقيمة والجادة السوية، ويكسبهم مبادىء الإسلام وقيمه، ويمدهم بعناصر التثقيف النقية.

ب - الرعاية الثقافية التي تميز بين الأصيل من الثقافة الإسلامية، والدخيل عليها، والتي تنقل إلى الناشئة العناصر الثقافية الصحيحة، والتي تراقب مسموعاته، ومبصراته، وتوجه فكره.. وأنه متى فقدت الأسرة هذين الأمرين أو أحدهما، ضعف دورها الثقافي، أو توقف، ولا عجب أن يتحول إلى معول هدم، يحطم كل أجزاء التثقيف ولبناته.

المسجد و العملية التربوية

١٢ - أن المسجد يعد من أقوى العوامل الاجتماعية تأثيرا في صياغة شخصية الطفل المسلم الثقافية، ويتمثل أثره الثقافي فيما يلي:

أ - دور مباشر يمد المسجد فيه الطفل بعناصر الثقافة الإسلامية من خلال رسالته الثقافية، حيث يؤدي الطفل فيه الصلوات المفروضة جماعة، ويستمع للخطيب، ويشارك في حلق العلم.

ب - دور غير مباشر ينعكس أثره على الطفل من خلال انتفاع والديه برسالة المسجد، وتأثرهما بإشعاعه الفكري.

وعلى المدرسة واجب

١٣ - المدرسة من أقدم العوامل الاجتماعية تأثيرا في بناء ثقافة الطفل المسلم، وأن أهم واجباتها نحو التثقيف ما يلي:

أ - البناء والتأسيس، ذلك أن المدرسة من الوسائل البانية لعناصر الثقافة الإسلامية، ومن الأدوات الغارسة لمبادئها، والمؤسسة لأصولها.. بالتربية والتعليم والتوجيه.

ب - التأصيل والتجديد، إذ تجمع المدرسة بين نقل الأصيل من الثقافة والجديد منها، وتحتل مكانة مرموقة في استمرارها.

ج - التنقية والاختيار لعناصر التثقيف التي ترغب في تقديمها للناشئة قبل عرضها عليهم، حفظا لفطرهم من التبدل، أو الضعف، وصيانة للثقافة الإسلامية من التغير، أو الاندثار.

خطورة دور الإعلام

١٤ - الإعلام أداة تأثير فكري سريع، تأثر الطفل به في عصور الإسلام الأولى، من خلال مصدريه الكتاب والسنة، ووسائله: الخطب والقصص والمغازي والشعر.. ومع التقدم الصناعي الذي شهده العالم في العصر الحديث، ظهرت وسائل إعلام جديدة هيأت للإعلام عصرا جديدا من الاتساع والشيوع، وفرضت له قوة في التأثير الفكري، لا يمتلك مجتمع من المجتمعات العزلة عنه.. ومما يؤسف له أن الأمر حدث في فترة غياب الفكر الإسلامي عن ساحة التأثير الثقافي، مما جعل هذا العامل ينمو في بيئات كافرة، أو منحرفة، صنعت منه وسيلة للتغريب، ومعولا للهدم، عادت على الناشئة المسلمة بالأثر السيىء في واقعين منحرفين:

الأول: اصطبغت حياة الطفل المسلم فيه بثقافة الغرب وطرائق تفكيره.

والثاني: أنشأ لديه فوضى فكرية، واضطرابا في النظرة، وقصورا في التصور. هذا الوضع الإعلامي يستدعي من رجال الفكر والقائمين على تثقيف الناشئة المسلمة في العالم الإسلامي أن يتداركوا الطفل، وأن يحفظوه من شرور الإعلام الفاسد، وأن يعملوا على إيقافه واستبداله بالنافع المتقيد بالضوابط التي تقتضيها مبادىء الإسلام وقيمه، لتتحول وسائله إلى أدوات بناء وتكوين.

١٥ - أن عناصر التثقيف المراد بناء شخصية الطفل المسلم عليها، تحتويها جوانب ثلاثة رئيسة، تعد أسس الثقافة الإسلامية: وهي الإيمان والفكر والعبادة.

أهمية الإيمان في تكوين الطفل

١٦ - أن بناء الإيمان في شخصية الطفل المسلم له أهمية خاصة في تكوين ثقافته للأمور التالية:

أ - كونه ركيزة البناء الأولى، بحيث إن ما عداه، لا يعد صحيحا مهما كان سليما، إذا لم يستقم عليها.

ب - موافقته للفطرة البشرية وللسنن الكونية الثابتة.

ج - التزام منهجه يحقق رضا الله تعالى، وهو هدف سام يتطلع إليه المسلم ويحرص على بلوغه، ويبذل في سبيله كل ما يملك.

د - التزامه تقوية للشخصية، إذ يغرس الإيمان في نفس الطفل معاني الكمال والعزة والقوة.

هـ - تحقيقه إشاعة للاطمئنان النفسي الذي يحفظه من التمزق النفسي، والاضطراب الفكري، ويمده بالحيوية واليقظة، ويؤهله لممارسة دوره في الحياة، وهو يحمل رصيدا كبيرا من الأسس النفسية السليمة القائمة على الصلة بالله.

١٧ - أن الفكر لا يكون إسلاميا إلا إذا ارتبط بالكتاب والسنة.. وللفكر الإسلامي أهمية فذة، فهو الفكر الوحيد المتلائم مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض، والمتوافق مع



طبيعة الإنسان.

طرق بناء الفكر الإسلامي

١٨ – أنـه يمكن بنـاء الفكـر الإسلامي بالطرق التالية:

أ – رعاية محيط الطفل ثقافيا، وذلك بتقديم المعلومات الصحيحة، والخبرات السليمة، ليقوم فكره على أساس صحيح.. وبتعليمه طرق التفكير الصحيح، لحل ما يعترضه من مشكلات، والوصول إلى الحقائق مع ضرورة التقيد بتوجيهات الإسلام في ذلك.

ب – تعليم الطفل مقدمات العلوم الصحيحة، وأساليب التفكير السليم، وتعويده التزام الحق، والوقوف على البرهان.

ج – تعويده النظر في مخلوقات الله تعالى، وتأمل حكم خلقها، وتناسقها، وترابط بعضها بالبعض الآخر.

١٩ – أن مفهوم العبادة جرى استعماله على معنيين:

الأول: عام.. شمل جميع الأعمال الاختيارية، شريطة أن تكون صوابا، وموافقة لشرع الله تعالى، وأن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى.

الثاني: خاص يصدق على الأعمال المحددة، التي كلف العبد بأدائها، في صورة شعائر ظاهرة، تدل على الخضوع والطاعة لله تعالى، والتي من أبرزها: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

٢٠ – أن أبرز سمات الشعائر التعبدية ما يلي:

الوسطية، والاعتدال، والعموم، والشمول، والاستمرار، والدوام، واليسر، ورفع الحرج.

٢١ – أن العبادة تظهر أهميتها في بناء شخصية الطفل المسلم في الجوانب التالية:

أ – تحقيق معنى العبودية في نفس الطفل بمراعاة أمرين:

الأول: أن يستقر في نفس الطفل أن الحياة قائمة على عابد ومعبود، وأن الناس كلهم عباد الله تعالى، وأنه وحده المستحق للعبادات.

الثاني: أن يرافقه توجه إلى الله تعالى في كل الحركات والسكنات.

ب – تحقيق صفة النزوع إلى الخير، ومجانبة الشر.

ج – تعود الخلق الحميد ونموه بالتدريج،بحيث يصل إلى التزام الخير سلوكا، ويسعى لتحقيقه أينما كان.

د – تكون خلق الحمد والشكر لله تعالى، إذ هما من المعاني الأساسية التي رمت الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها في النفس المؤمنة، من وراء الجانب العبادي.. وأن من الواجب تحقيقهما في نفوس أطفالنا، وتعاهدها بكل الوسائل المجدية، لتمتلئ قلوبهم بمحبة الله وتعظيمه، ويجري على لسانهم ذكره، وتعتاد جوارحهم طاعته وعبادته.

٢٢ – أن من أجدى الطرق تأثيرا في تكوين العبادة في نفس الطفل ما يلي:

أ – التعويد والتعليم، لأن العبادة عمل مقصود فيه الكمال على وجه شرعي، وهذا لا يتحقق إلا بالتجربة والمران، وأن التكرار لمدة كافية عامل أساسي في تهيئة النفس لاعتياد العبادة.. وأن العادة من أقرب العوامل تأثيرا في مرحلة الطفولة.

ب – القدوة الحسنة: من الطرق المثمرة في بناء الطفل، لأن الطفل يحب المحاكاة من تلقاء نفسه.

ج – الترغيب والترهيب، وهما من الطرق القوية ذات التأثير العميق في قلب الطفل ونفسه، وذات قدرة فعالة على تحريك فطرته نحو الخير، واستثارتها للإقبال عليه، وذات تأثير في تبغيض الشر له، واستثارة فطرته للنفور منه، والكف عن المعاصي، والحذر منها.

من توصيات الباحث

١ – أن يحاط الطفل المسلم برعاية ثقافية شاملة، تقيه غوائل الفكر الوافد، وتقدم له الزاد الثقافي المتكامل، وتصنعه على مبادئ الإسلام وقيمه، وتصوراته.

٢ – أن تحقق الوحدة الثقافية الملتزمة بالكتاب والسنة. وأن ينشط المفكرون الإسلاميون في تجلية معنى التثقيف، وأهميته في بناء نشء صالح، وأثره في مستقبل الأمة.

٣ – أن تشجع الدراسات التي تعالج قضايا الطفل ومشكلاته من وجهة نظر إسلامية.

٤ – أن تخص جوانب العقيدة تصورات الإسلام، ومجالات العبادة، بالعناية والاهتمام في كل ما يطرح من حلول تعالج قضايا الطفل المسلم، أو ما يقدم له من زاد ثقافي لكون العقيدة والفكر والعبادة أسس التثقيف التي تقوم عليها ثقافة المسلم.. هذا وبالله التوفيق والحمد لله على نعمة الإسلام.. وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا■

أبرز العوامل تأثيرا في بناء ثقافة الطفل الأسرة المسجد المدرسة ووسائل الإعلام




(اللعبة الكبرى)

تعيش بلدان العالم الإسلامي ردود الفعل.. بينما يضع الآخرون الخطط ويسعون لتحقيقها

● خارطة تظهر فيها دول آسيا الوسطى

الصراع على آسيا الوسطى

كتب (باتريك فرنش PATRICK FRENCH) مقالا في (نيوزويك) الأمريكية (عدد ١٧/٤/٩٥م) بعنوان: (اللعبة الكبرى قامت على المخاوف) تعرّض فيه لتاريخ صراع الدول المستعمرة في المنطقة، وما حاكته ضد بعضها، وللعناصر التي أدت إلى حصانة الدول الآسيوية المسلمة المعنية ثقافيا وحضاريا في فترة (الاتحاد السوفياتي) المنحلّ..

وفيما يلي ترجمة للمقال تبيّن للقارىء العربي قدم التصارع الدولي على المنطقة، مع ملاحظة أن مبادرة التخطيط تنطلق من الجانب الآخر، لتكون ردّة الفعل في الجانب الاسلامي، والسؤال: أما آن لنا أن نأخذ زمام المبادرة فتكون الخطة من عمل أيدينا؟

مخاوف بريطانيه

كتب الجنرال (تشارلز ماكريغور CHARLES MACGREGOR) في عام ١٨٨٤م يقول إنه (لا يمكن التوصل لتسوية حقيقية للأزمة البريطانية – الروسية إلا بطرد الروس من القوقاز وتركستان)..

وكان للرأي الذي أبداه (ماكريغور) وزن كبير باعتباره مدير الاستخبارات العسكرية في الهند البريطانية، ونموذج رجل الاستخبارات القدير في نظر الكولونيل (غريتون) في قصة (كيم) للكاتب البريطاني الشهير (روديارد كلنغ).. وكان (ماكريغور) مقتنعا بأن روسيا كانت تخطط لضم الهند إلى سلطتها، وانه لابد من إحباط هذه الخطط.

اللعبة الكبري

وتعرف هذه الفترة – من استحكام العداءات من القرن التاسع عشر – بـ(اللعبة الكبرى).. لقد دارت آنذاك حرب سرية بين بريطانيا الفكتورية وروسيا القيصرية للسيطرة على مناطق شاسعة من آسيا الوسطى، وعلى الهند، في نهاية المطاف، فقد حاول المستكشفون العسكريون من كلا الجانبين كسب النفوذ في هذه المقاطعات الصغيرة والجبال الجرداء في آسيا العليا..

ويبدو ان (اللعبة الكبرى) التي أدت في أحيان كثيرة الى مواجهة بين روسيا وبريطانيا، بسبب مخاوف (ماكريغور) كانت مبنية على أوهام أكثر من كونها تهديدات حقيقية. وقد استطاعت روسيا من احتلال أجزاء كبيرة مما يعرف الان بدول آسيا الوسطى المستقلة الخمس. لكنها لم تشكل اي تحد حقيقي للحكم البريطاني في الهند..

ففي شتاء عام ١٩٨٩م تم لقاء عرضي في خايان اكاسي (مقاطعة زينغيانغ اليوم) بين اثنين من كبار اللاعبين في (اللعبة الكبرى) وهما الكولونيل الروسي (غرومبتشفسكي) و(الكابتن الانكليزي (فرانسيس يونغسباند) عندما كان كل منهما

يحاول ضم مملكة (هنتزا) الى امبراطوريته..

وقد شعر الرجلان بنوع من التواصل فيما بينهما وشرعا في مفاوضات دبلوماسية مباشرة، وهكذا لم تجد التهديدات الروسية باحتلال الهند مكانا لها على ارض الواقع الجغرافي.

العقبة الكبرى

لقد كانت العقبة الكبرى التي واجهت محاولات الروس لغزو الهند هي: جبال (هيمالايا) و(كاراكورام). اذ كان تفعيل حركة اعداد كبيرة من القوات في هذه التضاريس المعقدة ضربا من المستحيل. ومع ذلك فإن تزامن حدوث الصدامات الحدودية مع انتشار المعلومات المضللة، جعل من السهل على صقور الهند البريطانية ان ينسوا مناعة هذا الحاجز..

وقد تفاقمت حدة التوتر عام ١٨٩٩م عندما تم تعيين (جورج كورزون) الشخصية التي تتميز بالتطرف والحنكة، مندوبا ساميا بريطانيا جديدا في الهند، ولما لم يتجاوز عمره التاسعة والثلاثين، لقد كان (كورزون) مقتنعا بأن الخطر الأكبر على الهند البريطانية يأتي من (التبت). وقد سرت إشاعات مفادها ان (الدالايلاما) الثالث عشر قد عقد اتفاقية سرية للصداقة مع القيصر الروسي. وكان المصدر الرئيسي لقلق (كورزون) راهب بوذي يدعى (اجفان دروزييف) يقيم في الأطراف الشرقية للامبراطورية الروسية، والذي أوحى اسمه الروسي بأنه مندوب القيصر. وفي نهاية الأمر، دفعت الإشاعات والمعلومات الاستخبارية المغلوطة بالمندوب السامي البريطاني (كورزون) لغزو التبت في عام ١٩٠٣م.

مخاوف واهية

لقد كانت عملية اندفاع بريطانية، زهت لندن بعدها بتحقيق النصر، لكن هذه العملية أظهرت كم كانت المخاوف البريطانية حول الطموحات التوسعية الروسية واهية. وبعيدا عن الوحدات العسكرية القليلة من القوقاز التي كانت في مدينة (لهاسا) في التبت، لم يعثر الجنود البريطانيون سوى على ثلاث بنادق، من صنع روسي في طريقهم. وقد فر الدالايلاما إلى منغوليا..

وكان ثمن الحملة البريطانية باهظا جدا على المستويين الانساني والمالي، بالإضافة إلى الصعوبات البالغة التي تكبّدها الجنود البريطانيون لاجتياز جبال هيمالايا، وفقد البريطانيون الكثير من سمعتهم جراء هذه العملية التي اسفرت عن سقوط أكثر من ثلاثة آلاف قتيل من سكان التبت اثناء محاولاتهم الدفاع عن بلادهم مقابل هجوم لم يكن له اي داع.

سراب وأوهام

وقد كشفت عملية بحث جرت مؤخرا على الملفات في كل من روسيا والتبت انه لم تكن هناك أبدا أية اتفاقات سرية بين البلدين، وبعيدا عن كونه صنيعة القيصر، إلا ان حاكم التبت، كان يحاول التودد للروس لكسب تأييدهم، وربما كان القيصر (نيكول الثاني) وبعض القيادات العسكرية الروسية يفضلون التدخل في التبت، لكن الحكومة الروسية كانت تتوخى الحذر حيال علاقاتها مع القوى الغربية، ولم تخاطر بدعم (دروزييف)، ففي لحظات حاسمة في اللعبة الكبرى، كانت السياسة البريطانية تقوم على أساس فهم خاطيء لكثير من الحقائق والمعطيات..

وكان سوء التقدير في نهاية القرن التاسع عشر مقدمة لاندلاع الحرب الباردة، فالتجاهل قاد إلى الشك، والشك ولّد العداوة، ولم يكن الكثير مما يتسرّب إلى الصحافة سوى عملية تخمين قادت القوى المنخرطة في اللعبة الكبرى إلى أن تجر بلادها إلى مواقف ما كان ينبغي أن توضع بها..

وعلى سبيل المثال لم يكن احتلال الجنرال (كوفمان) لسمرقند في عام ١٨٦٨م واحتلاله (كيفا) بعد خمس سنوات، سوى انتصار روسي (عرضي) كان السبب الأكبر في تحقيقه طموحات بعض القادة الفردية لتحقيق المجد في ساحات بعيدة بمبادرة منهم..

حصانة بسبب الجغرفيا

وحتى هذه الأيام، فإن الحصانة المادية لدول آسيا الوسطى المستقلة تكتسب أهمية حاسمة بسبب وضعها السياسي، فقد كان لبعد هذه المنطقة أثره في إبقائها بمنأى عن الغزو الثقافي أثناء الحقبة السوفياتية، وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي ظهر نزاع لفرض النفوذ على آسيا الوسطى بين روسيا والصين وتركيا وإيران..

السيطرة الاقتصادية أولى

وفي النهاية.. بدا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي حققت الانتصار، على الأقل، فيما يتصل بالعقود التجارية وامتلاك المواد النووية، ولم تعد القوى العالمية تعتمد – كما كانت في الماضي – على مجموعة من المغامرين استطاعوا اجتياز المرتفعات الشاهقة. لقد كانت (اللعبة الكبرى) حلما عابرا، تماما كما زعم القومي الروسي (فلاديمير جيرنوفيسكي) مؤخرا بأن شعبه لن يكون آمنا حتى (يغسل الجنود الروس أحذيتهم في المياه الدافئة للمحيط الهندي) ■

يفضل الاستعمار الحديث السيطرة على العقود التجارية وامتلاك المواد النووية على أشكال السيطرة المباشرة التقليدية

صوت الإسلام من البوسنة

شعر: عبدالخالق عطيه نصير
*مفتش عام الوعظ بالأزهر الشريف

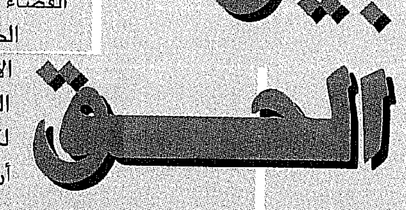
من حرقتي أبكي دما من مقلتي
مما جرى لبناتنا في البوسنة
ماذا أقول لأختنا ودموعها
تجري دما مما جرى في الظلمة
هي أمنا هي أختنا هي وحدتي
هي عزتي وكرامتي يا إخوتي
هي زوجتي وبُنيّتي، هي مهجتي
هي دعوتي وسعادتي وسيادتي
هي جدتي هي خالتي هي عمتي
كل الثكالى والأرامل أسرتي
كم من نساء شردت بل هتكت
أعراضهن وأرغمت في ذلة
هذى كلاب الصرب جن جنونها
ولغوا بعرض بُنيّتي وكرامتي
إن الكلاب تذأبت وتكالبت
فالصرب والكروات عضوا عفّتي
عقروا الحياء مع النساء ببغيهم
جعلوا البغاء سلاحهم لإزالتي
قتلوا السماحة للمسيح بكفرهم
سحقوا المحبة والسلام وأمتي
بئس التعصب والتناحر ضدنا
بئس العداء لأمتي وعقيدتي
أين الطعام لأمة قد دمِّرت
أين الدواء لطفلة في محنة
أطفالنا وبناتنا أكبادنا
فقدوا الأبوة والحنان ورحمتي
بين «الكنيست» «والكنائس» فُرِّقوا
ليُهوَّدوا ويُنَصَّروا في غيبتي
أين الكساءُ وقد تمزق عظمُنا
كستِ الثلوجُ حياتَنا بضراوة
فالبرد يقتل شدّتي وفتوّتي
والثلج يدفن صحتي وعزيمتي
بنفوسِنا وقلوبِنا ودمائِنا
نحمي العقيدةَ في ربوعِ البوسنَةِ
يا إخوتي ماذا أقول لأمتي
إن التعاون والتكافل قوتي
رغم المجاعة لن تموت عزيمتي
رغم الإبادة سوف تبقى قدرتي
فحضارتي قُصِفت بكل مدمِّر
رغم المذابح لن تضيعَ حضارتي
يا إخوة الإسلام صونوا عِرْضَكم
بحياتكم، وسلاحكم في رفعة
لا أنحنى رغم المجازر والردى
فوق الجماجم سوف أرفع هامتي

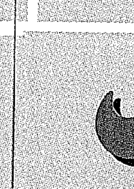
فمصارع الزهر النّدِيّ «تضوّعت»
«مسكا» بجانب وردتي وبُنَيّتي
حب الشهادة نعمةٌ سيقت لنا
والموتُ أحلى من حياة الذلة
يا من سقيتم أرضكم بدمائكم
لن تظمأوا فرحيقكم في الجنة
قم يا ضمير المسلمين ولا تنم
فالنوم أيقظ صرختي وفجيعتي
قم يا صلاح الدين في أولادنا
واشهد هلالك في سماء البوسنة
وادْخُلْ ربوعَ القدس من أبوابها
وأْمُرْ جنودَك عند أشرف صخرة
كن يا صلاح الدين في أجنادنا
وارفع لواء النصر فوق القبّة
يا ساحة القدس الشريف ترقّبي
فالمسجد الأقصى يعانق قِبلتي
يا من يجير حياتنا وجهادنا
ارحم عبادَك من لهيب الفتنة
اللهُ يجمع شملنا ويعيننا
والله يكشف غُمتى ومصيبتي
يا من يُصرِّف أمرنا وقلوبَنا
أنت المعين وأنت صانع قدرتي
فالمسلمون تفرّقوا وتشتتوا
والكفر يجمع أهله لإبادتي
وإبادة الشعب العظيم بشاعة
أين الضمير العالمى لنجدتي؟
مات الضمير العالمى وشُيِّعت
تلك الجنازةُ في جحيم البوسنة

إن الخديعة والخيانة أُحكمت
في مجلس الأمن العزيز لذلتي
فكر الثعالب في المكيدة ماكر
والغدر وحش هائج في غابتي
والواقع المر الأليم أذاقني
كأسَ الهموم بلوعة «وَاحُرقتي»
بئس السكوت على إبادة شعبنا
بئس السكينة في مذلة أمتي
يا هيئة الأمم اعدلي وتعاوني
فالظلم زاد مذلّتي ومصيبتي
العدل ينظر بالعداوة ضدنا
والعدل أعمى عند طرح قضيتي
كم من قرار لم ينفذ عُنوةً
والعالم الغربي يحصد نصرتي
عار على أمم تباع وتشتري
قتلوا العدالة في سبيل اللقمة
الله أكبر لن تداس كرامتي
وجند الإله على مشارف نُصرتي
الله أكبر لن تُزال مساجدي
والله أكبر لن تغيبَ فريضتي
دين الحضارة والسماحة ديننا
إن الأخوّة والمحبّة دعوتي
يا جنةَ الفردوس إني قادمٌ
فاللهُ فوقَ العرش ينظر جَنّتي
يا ربِّ أنت وليُّنا وملاذُنا
فانصرْ عبادَك إنّ نصرَك غايتي
فاللهُ أكبرُ فوقَ غدر المعتدي
واللهُ أكبرُ لن تموتَ عقيدتي

فازت هذه القصة الواقعية التي تتحدث عن رحلة هداية كاتبها بالمرتبة الأولى في المسابقة الثقافية الثانية التي أجرتها إدارة الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.. و(الوعي الإسلامي) ستقوم بنشر المواضيع الفائزة تباعا، إن شاء الله.

بين الحق والباطل





بقلم:
عبد الله جوزف ميشال

حكمت المحكمة على المتهم (جوزف ميشال) بالسجن ست سنوات مع الشغل والنفاذ والإبعاد..

كدت أسقط مغشيا عليّ، وأنا أستمع إلى الحكم الصادر بحقي من محكمة الجنايات.. تحاملت على نفسي.. اعتراني الذهول.. لا أدري كم من الوقت مضى وأنا أقف مشدوها من هول المفاجأة.. كان الشرطي المتين يرمقني بنظرة فيها الكثير من العطف والشفقة.. ويحمل الأصفاد في يديه.. مددت يداي.. كبلها ليسوقني إلى مصيري!؟

الزنزانة رطبة.. نظرات حائرة مستفسرة ترمق القادم الجديد.. وجوه شاحبة.. مرهقة.. بلغها اليأس والإحباط.. أشار لي أحد الموجودين، إلى ركن أضع فيه حاجياتي.. تهالكت على الركن المخصص بي.. دفنت وجهي في كفي.. وأجهشت بالبكاء.

دقائق مرت وأنا على هذه الحال.. ربت أحدهم على كتفي برفق وقال: (ما يا الطيب)؟

مسحت دموعي.. تناولت الكأس.. ورفعت رأسي لأشرب.. تسمرت عيناي في وجه محدثي.. صفاء وجهه أذهلني.. النور يشع من عينيه.. بسمة ملائكية ترتسم على وجهه.. كان وجها واعدا يحمل إشراقة الأمل.. بعكس بقية الوجوه.

سألته: من أنت؟

قال: أحمد.. أحمد علي.

وماذا فعلت أيها المسكين لتدخل السجن؟

قال: حكمة الله في خلقه.. القضاء والقدر.

وما دخل القضاء والقدر فيما نرتكبه نحن بإرادتنا.

قال: هذا ما هو مكتوب عليك يوم ولدت.. ان الله سبحانه وتعالى يبتلي عبده .. وعلى العبد الاعتصام بالصبر إن كان مؤمنا.. فهذه حياة فانية.. مصيرنا فيها إلى الزوال.. وعلينا قبولها بحلوها ومرها.. أما السعادة الأبدية فهي في الحياة الأخرى التي وعد الله المؤمنين بها.. هيا.. تشجع فالصبر زاد المؤمن ومعينه في البلاء.

. يبدو أنك قدري يا أحمد؟

بل أنا مسلم والحمد لله.. وقد أوصانا الله بالصبر والصلاة في كتابه العزيز.. فقال سبحانه وتعالى ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾! على كل حال سأتركك الآن لأصلي صلاة الظهر.. تشجع ولا تخف.. إلى اللقاء.

تركني أحمد غارقا في التساؤل: القضاء والقدر؟!

الصبر والصلاة! الإيمان.. الإسلام..! كلمات تحمل الكثير من سمو المعاني، لكن كان من الصعب عليّ أن أفقه أبعاد مضمونها..

فأنا من بيئة تدين بالنصرانية.. لكن كان لهذه الكلمات بالتأكيد تأثيرها الواضح على تصرفات أحمد.. في شخصيته.. وفي أسلوبه الفذ في تحمل البلاء.. هذا اللقاء القصير ترك في نفسي شعورا مزدوجا من الإعجاب والفضول.. فكان عليّ التقرب أكثر من أحمد!

على مدى أشهر.. كنت أراقب تصرفات أحمد.. كان مثالا في الخلق والتهذيب.. يحث دائما على عمل الخير.. ينصر المظلوم.. كلماته تنزل بلسما على قلوب مستمعيه.. عطوفا.. محبا.. كان يستشهد دوما بآيات القرآن الكريم.. وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي حفظها عن ظهر قلب، وكان مواظبا على الصلاة.

توطدت أواصر الصداقة بيننا.. كان نعم الأخ والرفيق.. قال لي ذات يوم أريد أن أكسب أجرا عظيما عند الله!

قلت كيف؟

قال: أعرفك بالإسلام.. حاولت التملص.. قلت: وما الفرق كلنا يعبد الله.

قال: لا الفرق كبير.. أنتم معشر النصارى تشركون بالله.. وهذا إثم كبير ترتكبونه عن جهل منكم.. وهذا ما لا يغفره الله لكم.

قلت: وكيف نشرك بالله؟

قال: بادعائكم أن عيسى عليه السلام ابن لله.. وأن مريم أمه.

قلت: هذا صحيح.. وما يقول الإسلام؟

قال: لا إله إلا الله.

قلت: ولكن الوصية الأولى من وصايا الله التي علمنا إياها أحبار الكنيسة، تقول: أنا هو الرب إلهك ولن يكون لك إله غيري.. وهي بنفس معنى لا إله إلا الله.

قال: إذن فمن فمك أدينك.. فما دامت الوصية الأولى من وصايا الله التي علمك إياها أحبار الكنيسة تقول أنا هو الرب الهك ولن يكن لك إله غيري، وهي بنفس معنى لا إله إلا الله فكيف جعلتم لله سبحانه وتعالى ابنا

أليس هذا هو التناقض بعينه ـ وهل من إثم أكبر من معصية الله في وصاياه، اسمع يا صديقي هل سبق واطلعت على القرآن الكريم؟

قلت: لا فكتابنا هو الإنجيل.

قال: إنها فرصتك لتطلع على القرآن الكريم وتقارن بينه وبين الإنجيل.. فقد تتوضح لك حقائق كنت تجهلها عن الإسلام فليس من العدل أن تنظر إلى أمر مصيري كهذا بعين واحدة.. لن يضيرك شيئ فما دمت تؤمن بوجود الله فالقرآن الكريم كتاب من كتب الله.

اندفع أحمد ناحية أحد الرفوف.. تناول المصحف الشريف.. دفع به إليّ وقال: هذا كتاب الله أضعه بين يديك.. وهذه فرصتك للهداية فلا تضيعها! تعرَّف على الإسلام! وأضاف: في العادة أقوم بشرح الحقائق شفهيا لمن لا يدين بالإسلام.. هذا أسلوبي في التعامل.. مع ذوي الثقافة المتوسطة.. أما أنت فبحكم الصداقة التي ربطتنا تبين لي أنك إنسان مثقف علميا.. لكن معلوماتك عن الدين الإسلامي سطحية فمن الأوفق الاطلاع بنفسك على القرآن الكريم.. وأنا واثق من أن رجاحة تفكيرك سوف تضعك على طريق الهداية إن شاء الله.

ثقة أحمد بنفسه لا حد لها.. قلبه مفعم بالإيمان.. صلابة عقيدته سر هدوئه واتزانه.. لم يكن بحاجة ليشرح لي ما الإسلام.. كانت كل تصرفاته تدل على أنها نابعة من إيمانه.. كان في الحقيقة مثالا يحتذى.. إن كان هذا هو الإسلام فماذا أنتظر! لأفتح القرآن الكريم وأبدأ.

اهتزت مشاعري فور قراءتي للسورة الأولى، وجدت نفسي أسبح الله بصورة عفوية.. وكلما قرأت سورة ازددت شوقا إلى ما يليها من السور.. وإذا استعصى علي فهم بعض الآيات سارعت الى المتوافر من كتب التفسير أنهل منها خوفا من أن تفوتني آية أو كلمة أو حتى حرف. بلاغة المعاني تدل على عظمة الخالق.. فالقرآن الكريم بحر لا ينضب من التشريع السماوي في أمور الدين والدنيا.. ستة أشهر بلياليها وأنا أطلب المزيد.. وكلما ختمت قراءة القرآن الكريم مرة.. عدت من جديد مرات ومرات لا أذكر عددها.. وكثيرا ما كانت الدموع تنهمر من عيني وأنا أقرأ آيات الله البينات.. وأذكر كأن زلزالا ضربني، وفاضت عيناي بالدمع وأنا أقرأ الآية الكريمة ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾، ووجدت نفسي أصرخ، استغفرك يارب.. ارحمني يا رب.. لا إله إلا الله.

حكمة هذه الآية أبلغ من أن توصف.. فالإنسان في غيه وطغيانه يندفع وراء ملذاته وتحكمه الشهوات فينسى خالقه.. ويتيه في الضلالة.. وفجأة وبرحمة من ربه يقع في البلاء.. فلا يجد ملاذا إلا الرب سبحانه وتعالى.. يستجير به.. وهذا البلاء إما أن يكون منفذ خلاصه.. فيتوب ويعود إلى عبادة الخالق.. أو يستمر في ضلاله فيخسر الدنيا والآخرة.

ومع مرور الأيام كانت قناعتي تزداد رسوخا.. وإيماني يزداد صلابة.. وشعرت أني على طريق الهداية.

في صبيحة أحد أيام رمضان الكريم وبعد ليل طويل من التأمل وتلاوة القرآن الكريم كنت في خلوة ضمير مع نفسي، وكان علي اتخاذ قرار مصيري له انعكاساته السلبية والإيجابية، كان حدا فاصلا بين الحق والباطل بين الخلاص والهلاك.. بين نقمة مجتمع نشأت وترعرعت فيه وتأثير هذه النقمة على حياتي وعائلتي وبين أسمى هدف.. هدف مرضاة الله كانت الحقائق واضحة فالشرك بالله إثم كبير أرتكبه ومن واجبي التخلص من هذا الإثم لكن بقي سؤال وحيد يحيرني: لماذا يكذب أحبار الكنيسة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام دون دليل أو حجة؟ بل أعذار غير مقنعة ولا منطقية كان علي أن أجيب بنفسي على هذا السؤال.

قلت لنفسي لو فرضنا جدلا أن محمدا، عليه الصلاة والسلام، لم يوجد لسبب أو لآخر، فماذا كان مصير مليار مسلم اليوم يعبدون الله.. أليس من المنطقي أن يكونوا من عبدة الأوثان.. ومحمد عليه الصلاة والسلام هو الذي حطم هذه الأصنام، ودحر دعاتها وتحمل ما لا طاقة للبشر على تحمله في سبيل إعلاء كلمة الله هل كان يدعو إلا لعبادة الله الواحد الأحد؟ ويحث على عمل الخير وطاعة الخالق والتسامح ونكران الذات ان من يعيد مليار إنسان من عبادة الأصنام إلى عبادة الله عز وجل ويدعو إلى إحقاق الحق بين البشر. ماذا نقول عنه؟ أليست هذه من صفات النبوة بل هو نبي بلا جدال ودعوته دعوة الحق والكتاب الذي أنزل عليه هو كتاب الله إذن.. الإسلام هو دين الحق وتعاليمه هي الهداية فماذا أنتظر؟!

كان أحمد يغط في نوم عميق بعد صلاة الفجر.. ناديته ثلاثا.. رفع رأسه متثاقلا.. رمقني بنظرة مستفسرة.. قلت: أحمد كيف يشهر نصراني إسلامه؟ قفز واقفا.. واندفع نحوي.. استقر أمامي وهو يحملق في وجهي بعينيه الكبيرتين قال بلهفة هل قررت؟

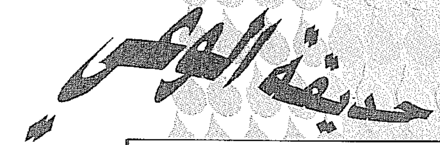
قلت: نعم.

قال: الحمد لله كنت واثقا من ذلك.

اغرورقت عينا أحمد بالدموع وهو يضمني إلى صدره قائلا عليك أن تنطق بالشهادتين قلت وبعد.. قال دع الباقي لي..

في ١٩٩٣/٨/١٧م وأمام أحد الشيوخ الأجلاء.. نطق عبد الله جوزف ميشال بالشهادتين ودخل دين الإسلام■

هذا اللقاء القصير ترك في نفسي شعورا مزدوجا من الإعجاب والفضول.. فكان عليّ التقرب أكثر من أحمد!



إعـــداد: التحـريـر

قد ركنت على الأولى

كـان الإمـام محمـد بـن إسماعيل البخـاري صـاحب تجارة وزرع.. وأراد أحـدهم أن يشتري منه بضـاعـة بخمسـة آلاف، وعرض ذلك على البخـاري.. فوافق البخاري في نفسه ولم يتلفظ بالقبول، أي أن البيعة لم تتم لأنه لم يتلفظ القبول بالقول، وجاء تجار آخرون.. واشتد التنافس وتضاعف سعر البضاعة أضعاف أضعاف سعـر المساومة الأولى، ولكن البخاري قـال «لا، قد ركنت إلى الأولى» أي أن نفسه ركنت إلى المسـاومة الأولى خمسة آلاف، فالبيعـة لصاحب خمسة الآلاف.

وأما الذين ضاعفوا الثمن فلم يكـن لهم نصيب في البضاعة، فقد آثر أن يقبل خمسة الآلاف نتيجة لرضاء نفسه داخليا، وأعرض عن الآلاف المضاعفة.

حرص بخيل

كان بعض البخلاء يأكل في نصف الليل فقيل له:

وما السبب في ذلك؟

فقـا ل: في منتصف الليل.. يبرد الماء.. وينقمع الذبـاب.. وآمن فجأة الـداخل وصرخة السائل.. وصياح الصبيان!!

أضعف الإيمان

قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيـده، فإن لم يستطع فبلسـانـه، فـإن لم يستطع فبقلبـه.. وذلك أضعـف الإيمان». [رواه مسلم وأحمد عن أبي سعيد].

النعمة

قـال الحجـاج لخريم النـاعم: مـا النعمة؟

قـال: الأمن.. فإني رأيت الخائف لا يتمتع بعيش.

قال له: زدني.. قـال: الصحة فإني رأيت المريض لا ينتفع بعيش.

قـال له: زدني.. قـال: الغنى، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش.

قال له: زدني.. قـال: الشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش.

قال: زدني.. قال: لا أجد مـزيدا بعد هذا.

من فقـه الزكـاة

ليس العلم المطلـوب شرعـا محصـورا في علم الدين وحـده، بل بكل علـم نافع يحتـاج إليـه المسلمـون في دنياهم لصحـة أبدانهم، وتنميـة اقتصـادهم وعمرانهم، وتمكينهم من التفـوق العسكري على عـدوهم، ونحو ذلـك من الأغراض، فإنـه فرض كفـاية كما قرر المحققـون من العلماء.

وعلماء الإسلام يقررون في أحكام الزكـاة أن يعطي منها المتفرغ للعلم، على حين يحرم منها المتفرغ للعبادة، وذلك لأن العبادة في الإسلام لا تحتاج إلى تفرغ، وكذلك العبادة للمتعبد نفسه، أما علم المتعلم فله ولسائر الناس.

قال فقهاء الإسلام: (يجوز للفقير الأخذ من أموال الزكاة لشراء كتب العلم التي يحتاجها ولا بد منها لمصلحة دينه ودنياه) والله أعلم.

بين المؤمن والمنافق

المؤمن مشغول بالفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل.
والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق يرجو كل أحد إلا الله.
والمؤمن آمن من كل أحد إلا الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا الله.
والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله.
والمؤمن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك.
والمؤمن يحب الخـلوة والوحـدة، والمنـافق يحـب الخلطـة والملأ واللهو والعبث.
والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد.
والمؤمن يأمر وينهى ليصلح ، والمنافق يأمر وينهى ليفسد.

لم يفلت غيري

سافر أحد التجار في رحلة وكان له ابن أحمق.. كان قد أوصاه أن يرسل إليه بأحوالهم.. فجاء كتاب من ابنه يقول فيه:

(كتبت إليك يا أبت لأطمئنك.. نحن كما يسرك.. وأحوالنا على ما نشتهي.. لم يحدث لنا منذ سفرك إلا كل خير.. غير أن حائطا لنا وقع على أمي، وأخي الصغير، وأختي، والجارية، والحمار، والديك، والشاة.. ولم يفلت غيري.. والسلام!!).

عقبة بن نافع

قريشي، رباه والده على الفروسية والشجاعة منذ صغره. واشترك مع عمرو بن العاص في فتح مصر، وتعلم منه أصول القيادة العسكرية وإدارة الشؤون السياسية.

وبعد أن أتم فتح الشمال الأفريقي، أقام مدينة (القيروان)، فكانت ثاني عاصمة إسلامية في أفريقيا بعد (الفسطاط) بمصر. وحين بلغ شاطىء المحيط الأطلسي، اندفع بفرسه في مياه الشاطىء وهو يقول: (يارب.. لولا هذا البحر، لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك).

الفؤاد واللسان

قال الشاعر:

لا يعجبنك من خطيب خطبة
حتى يكون عن الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤاد و إنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

الصبر والهجر والصفح

الصبر الجميل الذي لا شكوى معه، والهجر الجميل الذي لا أذى معه، والصفح الجميل الذي لا عتاب معه.

نظرة تفاؤل

قال الشاعر أبو ماضي:

قال: السماء كئيبة وتجهما
قلت: ابتسم؛ يكفي التجهم في السما
قال: الصبا ولى. فقلت له: ابتسم؛
لن يرجع الأسف الصبا المتصرما
قال: التي كانت سمائي في الهوى
صارت لنفسي في الغرام جهنما
قلت: ابتسم؛ واطرب؛ فلو قارقتنا
لقضيت عمرك كله متألما
قال: البشاشة ليس تسعد كائنا
يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت: ابتسم؛ ما دام بينك والردى
شبرٌ؛ فإنك بعدُ لن تتبسما
قال: العدا حولي علت صيحاتهم
أؤسر والاعداء حولي في الحمى؟
قلت: ابتسم لم يطلبوك بذمهم
لو لم تكن منهم أجلّ وأعظما

أمر الدنيا والآخرة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري، يطلب إليه أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فأجابه: (إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإن ندمت فاقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فامسك.

الخوف من سجوده

سكن جحا في منزل متهالك.. فكان كل يوم يسمع خشب سقف حجرات المنزل يحدث فرقعة.

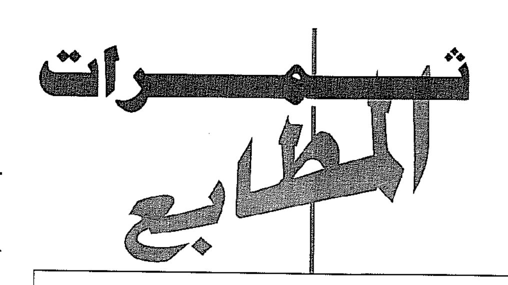
فقال جحا لصاحب المنزل: أصلح المنزل.. فإن السقف يفرقع.. حتى أدفع لك الأجرة بانتظام.

فرد صاحب الدار: لا بأس عليك فإنه يسبح الله!

فقال جحا: أخاف أن تدركه خشية الله.. فيسجد.

صفات الخليفة الراشد

قال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: كان عالما برعيته، عادلا في قضيته، عاريا من الكبر، قبولا للعذر، سهل الحجاب، مصون الباب، متحريا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقريب ولا مجاف للغريب.



إعــــداد: التحـــريــــر

• (مجلة) الإنسان المعاصر

○ مركز البيان الثقافي / بيروت

○ العدد (الأول) شتاء ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

أراد (مـركـز البيـان الثقـافي) من دوريتـه (الإنسـان المعاصر) أن تجيب على التحديات التالية:

– التعـرف على المشكلات والأخطـار التي تحيق بعالمنـا العربي والاسلامي.

– اقتراح التصـورات الأولية والأسـاليب والآليـات التي ينبغي تـوسّلهـا لإدارة حـوار مخلص يتـوصل الى رؤيـة مبدئية سليمة.

– إشراك علماء ومفكري الأمة في البحث واقتراح الحلول ورسم التوجهات.

– تطـوير تقـاليد قـائمة على تنميـة المعرفـة ومراكمـة التجارب عبر الحوار الحي المفتوح.

– التركيز على دراسـة سبل التواصل الثقـافي والتراكم المعرفي مـا بين المراكز والمؤسسات والجامعـات من جهة، ومراكز اتخاذ القرار من جهة ثانية.

ومن كتـاب العـدد الأول: منير شفيق، د. طـارق د. متري، د محمد سعيد البـوطي، د. اسماعيل فاروقي، د. عماد الـدين خليل، نـدى ابو رسـلان يحيى، د. هشـام الطالب، ناصر الظنط..

وعنـوان المراسلـة: ص.ب: ١١٣/٥٦١٨ – بيروت – لبنان

الغزو العراقي للكويت

• ندوة بحثية

○ عالم المعرفة / الكويت – عدد ١٩٥ – شوال ١٤١٥هـ

لقد وجد (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) ان الأوان قد حان لكي يعالج مـوضوع الغزو العـراقي للكويت معـالجة علمية موضـوعية، تتجنب صخب الـدعـايـة وضجيج الشعـارات، وتـركز على الحقـائق والمعلـومـات والوثائق، وذلـك في كتاب يكون مرجعا مـوثقا بأقلام مجموعـة من الباحثين المشهود لهم في هذا الميدان..

وقد اختـار لذلك أسلـوب (الندوة العلمية المغلقـة) لمعالجة هـذه القضية، حرصا منه على أن يتضمن هذا الكتاب وجهات نظر متعددة في هذا الموضـوع، وحتى يعطي المشاركون فيها من بـاحثين ومعقّبين ومناقشين كل ما عندهم في مناخ من التحاور الموضوعي، الذي يؤدي إلى تصحيح الكثير من المعلومات الخاطئـة وغير الدقيقـة، ويستبعد الإثـارة الصحفية التي سـادت الكثير من الكتابات منذ بداية الأزمة..

وأبحاث الكتـاب: (الكويت بين الصراعات الـدولية وتـوازنها منذ منتصف القـرن التاسـع عشر إلى القـرن العشرين)، (العلاقـات الكويتيـة – العراقيـة ١٩٢١–١٩٩٠م دراسـة تاريخية)، (الغـزو: الأساليب الموضوعية والمبررات الإيديولوجيـة)، (الاحتلال العراقي للكويت: الممارسات والوقـائع من شاهد عيان)، (الأبعاد الاقتصـادية للغزو)، (ردود الفعل العربيـة على غزو وحرب تحرير الكويت)، (ردود الفعل الدولية إزاء الغزو)، (دراسـة في الآثار النفسية والاجتماعية للغزو العراقي لدولة الكويـت)، (النتائج العربية والدولية لأزمة الخليج الثانية من منظور الاقتصـاد السياسي).

وقفة تربوية

(المجموعة الأولى)

○ عبد الحميد البلالي

○ دار الدعوة / الكويت – الطبعة الأولى

جمع الكـاتب مـا كـان قـد نشره – متفرقا – في مجلـة (المجتمع) الكويتية من مقالات تهدف الى تلمـس الطريق، والإبصار من خلالها مـواضع الأقدام للتأكـد مـن بقـائهـا على الصراط المستقيم..

وهذه (الوقفـات) لم تتم في موضـع واحـد، لأن الطبيعـة البشريـة ليست متماثلة مـع الماكنة الصناعيـة، فليس لها اوقـات محددة للنشـاط والهمـة والكسل، ثم التوقف لالتقاط الانفاس، كما انها ليست بنبرة واحدة، فهي بين انخفاض وارتفاع بحسب تقلبات هذه الطبيعـة البشرية ممـا يجعلها أقـرب للواقع الذي يعيشه الداعية في صباحه ومسائه وأثناء الأزمات وبعدها.

الحديث المرسل.. حجيته وأثره في الفقه الإسلامي

○ أ. د. محمد حسن هيتو

○ دار البشائر الإسلامية / بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

لاختلاف الفقهاء في الحديث المرسَل وردّه اثر عظيم في الفقه الاسلامي يتجلى ظاهرا عند مطالعة مدارك الأحكام المختلف فيها في كتب الأئمة. ولذلك عنى الأصوليون قاطبة ببحثه في كتبهم، وذهبوا فيه مذاهب شتى، ما بين رادّ له لا يحتج به ولا يعوّل عليه، وقابل له يحتج به ويصير إليه..

ولما رأى المؤلف الأصوليين يتمايزون في مقدار ما يكتبونه عنه بين موجز ومطنب، ومختصر ومتوسع، ولم يجد أحدا منهم استقصى فيه البحث وأتى على جميع جوانبه، رأى أن يجمع شتات ما كتبوه في هذا الموضوع. ثمعرض بعد ذلك لمذهب الامام الشافعي في الحديث المرسل وللخبط الذي وقع فيه كثير ممن تكلم عن رأيه فيه، فحقق مذهبه، وبين رأيه، ودلل عليه، وبين خطأ من أخطأ في فهمه أو نسب إليه غير مراده..

ثم تكلم عن مرسل الصحابي، وعن الخلاف الذي وقع فيه، وعرض بعد ذلك أمثلة يتجلى فيها أثر الخلاف في المرسَل واضحا.

البث المباشر (الآثار والمواجهة تربويا وإعلاميا)

○ د. إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج

○ دار القبلة / مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

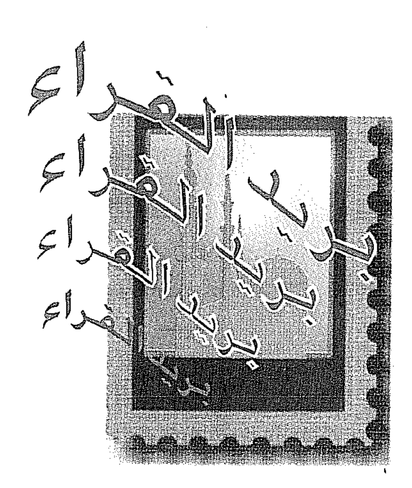
محور الكتاب الكشف عن الآثار التربوية والإعلامية بوصفهما طرفي قضية البث التلفازي المباشر، ومن ثم فقد تناول الكتاب الآثار التربوية الإيجابية والسلبية، وكذلك الآثار الإعلامية الإيجابية والسلبية للبث التلفازي المباشر، وتطرق إلى كيفية المواجهة التربوية والاعلامية لهذا الضيف والتعرف على مسؤولية كل من الجانبين في توجيه أفراد المجتمع للأخذ بما ينفع والابتعاد عما يضر فيما يبث اليهم.

● عكا.. تراث وذكريات

○ متّى سمعان بوري، ويوسف أحمد

○ نشر: دار الحمراء - بيروت

يعتبر الكتاب وثيقة مفيدة يعرض فيها المؤلفان ببساطة الأسلوب، وواقعية وصدقية إلى تراث وتاريخ وتقاليد مجتمع (عكا) قبل الاحتلال الصهيوني الغادر، والكتاب يفصح عن أعماق ذاكرة تتوق بحنين إلى ماضي الطفولة، وينطق جاهرا بصخب المكان وعمق الحياة وتجذرها فيه، فالفلسطيني العربي ابن عكا يرث تاريخا يمتد لأكثر من خمسة آلاف سنة، وهو الإنسان العادي البسيط الذي يعشق العيش الحر بعيدا عن أية سيطرة أو هيمنة غريبة، ويحلم ويجني ويمرح فوق أرضه، ويجاهد بشجاعة مشهودة وعناد وشرف، وذلك مما يكشف زيف الادعاء الصهيوني إن فلسطين (أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض) وتدور فصول الكتاب وخرائطه وصوره لتؤكد حقيقة الهوية وحقيقة الانتماء مؤكدة للأجيال القادمة مسؤوليتها تجاه أرض الآباء والأجداد، ومؤكدة في الوقت ذاته للصوص الأرض أن جولة الباطل ساعة، وجولة الحق قائمة ظاهرة إلى قيام الساعة.



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

عتاب على استخدام مصطلح

●القاريء مصطفى بابكر من تشاد، طالب بالأزهر الشريف بالاسكندرية، يعاتبنا على استعمال مصطلح (الأمريكيون السود)، وجاء في رسالته، بعد السلام:

... وإنه ليطيب لي أن أكتب لمجلتكم الغراء، التي ملأت بأريجها قلبي من أول نظرة، وأشيد بالمجهود العالي الذي تبذلونه من أجل قضايا الإسلام..

واسمحوا لي أن أقدم نفسي، فأنا مصطفى بابكر علي، من جمهورية تشاد، وعمري ٢٠ سنة، طالب بالأزهر الشريف بمصر، أرغب بأن أكون صديقا دائما للمجلة..

وأريد أن أشير إلى مقال نشر بعنوان (المسلمون السود في أمريكا) في العدد ٣٤٨ [شعبان ١٤١٥هـ]، ص٨، بشأن ما كتب في الحوار وهو: [(للأمريكيين الأفارقة) وهو تعبير يفضّلونه على تعبير (الأمريكيين السود أو الزنوج)]. فأنا مندهش جدا لذكركم نفس العبارة التي يبغضها اخوتنا الأفارقة في أمريكا، ونحن كذلك في أفريقيا، فمثل هذه الكلمات ينبغي ألا نذكرها نحن المسلمين لانها لا تمت الى الاسلام بصلة، فهي عبارات اطلقها علينا المستعمر الاوروبي، وما زلنا نتألم حتى الآن لسماعها، وهذه هي بعض الامثلة التي ذكرت في المقال (بنات المجتمع الزنجي، فالمجتمع الزنجي الامريكي.. الخ.)..

فأرجو منكم ان تتجنبوا استخدام مثل هذه الكلمات مستقبلا، وأدعو الله العلي القدير ان يسدد خطاكم على درب النجاح والتطوير. ولكم مني خالص تحياتي وتقديري.

●(الوعي الإسلامي) ترحب بالأخ مصطفى بابكر صديقا للمجلة، وتشكره على غيرته الإسلامية، وتؤيده في اقتراح الابتعاد عن استخدام المصطلحات التي ذكرها، لاسيما إن كانت تؤذي المعنيين بها.

أخطاء مطبعية

●وصلنا من القاريء علي محفوظ محمد علي محفوظ - من الأقصر بجمهورية مصر العربية - تحية طيبة للعاملين في المجلة - وتصحيحا لما ورد في طباعة الآية الكريمة: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾، في مقال (المثل الأعلى في سورة الواقعة) العدد رقم ٣٥١ ذوالقعدة ١٤١٥هـ ص١٣، حيث طبعت خطأ (فسلام من أصحاب اليمين)..

●وجاءنا من (قارئة من الكويت) سؤال عن صحة ما ورد في كلمة العدد ٣٥٢ [ذو الحجة ١٤١٥هـ] ص٣، من تعداد للأشهر الحرم، وهي: ذوالقعدة، وذوالحجة، والمحرم، ورجب. حيث ورد شهر (صفر) ضمنها بطريق الخطأ، وهو ليس من الأشهر الحرم..

●ولفت القاريء أحمد سيد عبد الرحمن زهير - مشغل كمبيوتر بجامعة الزقازيق - نظرنا إلى ضرورة اعتماد قراءة نهائية متأنيّة قبل اعتماد النص في الطباعة الأخيرة، وذلك لتجنّب الأخطاء المطبعية، لاسيما عند ورود الآيات القرآنية..

●وإدارة (الوعي الإسلامي) إذ تشكر للإخوة والأخوات القراء حرصهم وكبير ثقتهم بالمجلة، وتسعى جهدها للتخلص من الأخطاء المطبعة، إن شاء الله، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

●بالنظر إلى ما يعانيه شبان وفتيات اليوم من جراء النظر المحرم، والاختلاط المدمر، فإن تنبيه المسلمين إلى أمر غض البصر، وفوائده التي تعود على الإنسان والمجتمع بالخير الوفير في الدين والدنيا، وما يجره الاختلاط وإطلاق البصر في المحرمات من الغفلة المهلكة عن الله، وعن العلم، وعن شرف الأمة وطهارتها، ثم ما ينتج عن ذلك من غضب الله وسخطه، ورفعه البركة في الأعمار والأرزاق، والوهن الذي يصيب الأمة فيجعلها لقمة سائغة في فم الأعداء..

وقد وصلنا من الأخ حازم فاروق احمد حامد – من الفيوم بجمهورية مصر العربية – رسالة مطوّلة عن فوائد غض البصر نقتطف منها مايلي:

●إن ما نراه الآن من ارتكاب للجرائم الفظيعة التي تقشعر منها الأبدان، ويندي من خزيها الجبين، والتي ما عرفناها – معشر المسلمين – على مدى التاريخ من قتل واغتصاب وغير ذلك، إلا وكان السبب – من وراء ذلك كله – هذه النظرة المحرمة الشيطانية، والتي تعتبر أولى خطوات الشيطان الذي أمرنا بمخالفته في قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [البقرة/١٦٨]. وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «إياكم والجلوس على الطرقات»، فقالوا: ما لنا بُدّ إنما هي مجالسنا، نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه»، قالوا وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر» [رواه البخاري ومسلم].

هكذا بيّن لنا الرسول الكريم ﷺ أن للطريق آدابا يجب أن تُلتزم، وأن فيها سنّة يجب أن تتبع، ألا وإن من آدابها غض البصر. ومن الأدب النبوي الرفيع، الذي يرشد المسلمين لما فيه صلاحهم وفلاحهم قوله ﷺ: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم» [حديث حسن، رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي].وسئل الجنيد: بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك إن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظره. وقيل: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة، وكفى بها فتنة. وقيل: لا يزني فرجك ما غضضت بصرك. وقيل: رب نظرة كانت بذرة لأخبث شجرة.

سرقة مقال

○الأخ حريري عبد الكريم – من القنيطرة بالمغرب – كتب إلينا عن موضوع (دور المرأة في الصحوة الإسلامية) المنشور في العدد ٣٤٥ [جمادى الأولى ١٤١٥هـ] ص٣٦، للأخت (خديجة شعبان)، مبينا انها أخذته بالكامل من حوار للدكتور يوسف القرضاوي، أجرته معه مجلة (الأمة) القطرية، العدد٦٦، السنة السادسة [جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ]، تحت عنوان (دور المرأة في الصحوة الاسلامية المعاصرة) ص٤٠ وما يليها، دون أن تشير إلى ذلك لا من قريب، ولا من بعيد.

○(الوعي الإسلامي) إذ تأسف لمثل هذا التصرف، وتشكر للأخ (حريري عبد الكريم) غيرته، وتذكّر الإخوة والأخوات بسياستها القاضية بعدم نشر الموضوعات المنشورة سابقا، وتدعو الأخت كاتبة المقال وسواها – ممن يكتب للمجلة – أن يراقبوا الله تعالى فيما يفعلون، فالكلمة أمانة، وأية أمانة. ومن سياسة المجلة حرمان أي كاتب يقوم بمثل هذا العمل من المساهمة بالكتابة على صفحاتها مستقبلا، حفاظا على ما ينبغي من المستوى.

المستشفيات أو (البيمارستانات)

●الاستاذ نادي ع.ع. حافظ – المدرس بكلية الدراسات العربية والاسلامية بالفيوم في مصر – كتب لنا عن نشأة (البيمارستانات) العربية، موضحا قيمتها الحضارية والصحية، ومما جاء في عرضه:

●الطب هو أحد العلوم والمجالات التي كان للحضارة الإسلامية دور كبير في تطويره، والإسهام فيه، والإضافة إليه، فقد اهتم علماء المسلمين بالبحث في مختلف العلوم، وأولوا – في بحثهم – الطب عناية كبيرة، واتصلت دراسة الطب لديهم بدراسات أخرى مثل: الكيمياء، وعلم النبات، والجغرافيا، وإذا كان لابد للبحث النظري من تطبيق عملي، فإن أطباء المسلمين اهتموا بالبيمارستانات وكيفية بنائها، وتنظيم إدارتها، فكانوا أول من أنشأ بيمارستاناً.

وكلمة (بيمارستان) كلمة فارسية الأصل، تنقسم إلى مقطعين: (بيمار)، وتعني بالفارسية (المرض)، و(ستان) التي تعني الموضع (أي موضع المرض). والبيمارستان تعني أيضاً المكان الذي يلجأ إليه المرضى للعلاج.

واهتم الأطباء المسلمون بنشأة البيمارستانات، فالمكان الذي تتوافر فيه الشروط الصحية، هو أفضل الأماكن التي يمكن أن يؤسس فيها البيمارستان، ومن ثم فضّل الأطباء العرب بناء البيمارستانات على الروابي وقرب شواطىء الأنهار.

ولم يغب عن بال الأطباء المسلمين أن يفصلوا بين الرجال والنساء في الأماكن، فقد كان البيمارستان ينقسم إلى قسمين: قسم للرجال، وآخر للنساء، وكل قسم قائم بذاته، وكان في كل قسم من الأقسام قاعات واسعة للأمراض بحسب أصنافها، وكان لكل قاعة أكثر من طبيب، ولكل قسم من الأقسام رئيس للأطباء. وأما عن نظام القاعات فقد خصص الأطباء قاعة لكل مرض، فهناك قاعة للولادة، وأخرى للأمراض الباطنة، وهكذا .. وكل قاعة من القاعات مجهزة بكل الأدوات الطبية اللازمة للطبيب، و(الساعور) هو الاسم الذي يطلق على رئيس الأطباء جميعاً، أو رئيس البيمارستان.

ولم يغب عن بال الأطباء المسلمين استخدام الغلمان كموظفين، أو مساعدين صحيين، فمنهم من يضمد الجروح، ومنهم من يهتم بنظافة البيمارستان، ومنهم من يسهر على راحة المرضى، كما فطن الأطباء العرب إلى ضرورة إلحاق صيدلية بكل بيمارستان حتى يسهل على المريض الحصول على العلاج، وكانوا يطلقون على الصيدلية (الشرابخانة).

وكانت تقيّد أسماء المرضى عند دخولهم المستشفى وتنزع عنهم ثيابهم وتؤخذ نقودهم، وتودع أمانة عند أمين البيمارستان ويتسلمون ثياباً نظيفة بدل التي خلعت عنهم، ويتناولون الأدوية والأغذية بإشراف الأطباء مجاناً، حتى يبرأ المريض.

فقد سبق العرب عصرهم بقرون، إذ كان هناك (صاحب الحسبة)، الذي يرشحه الخليفة أو وزيره للتفتيش على البيمارستان، والوقوف على حالة المرضى، والاهتمام بهم، وما إذا كانوا يشتكون من قلة الطعام، أو سوء العناية بهم، أو تقصير الأطباء في واجبهم الطبي نحوهم، وكان لكل مريض بطاقة فيها يدّون الطبيب ملاحظاته عن المريض، ولكل طبيب سجل خاص بالمريض الذي يعالجه، يضع فيه تجاربه وملاحظاته واختباراته.

كما استخدم الأطباء المسلمون نظام النوبات أو (النوبتجيات) بينهم، فمنهم من كان يعمل ليلاً، ومنهم من كان يعمل نهاراً، كي يسهروا على راحة المرضى، ويتابعوا خطة العمل في البيمارستان.



بقلم: أ. د. حاتم محمد أبوالعباس

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القاريء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..



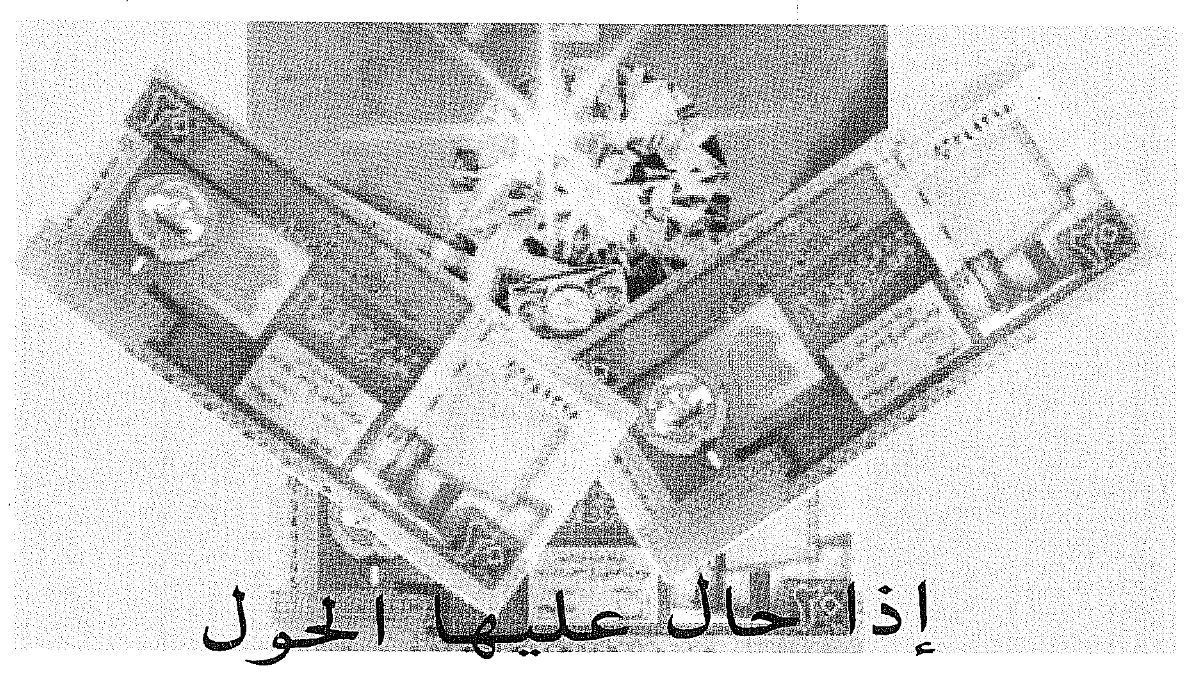
ليست هناك حادثة واحدة تتوسط تاريخ الفتح الإسلامي لتدل على انتشار الإسلام بحد السيف، ذلك لأن الإسلام حينما انتشر في مكة واجه صعوبات عديدة من أجل القضاء عليه وكانت الهجرة تمثل المحاولة الجادة للخروج من الأزمة الاضطهادية للمسلمين في مكة، وأمام هذا التعرض اللاإنساني للاضطهاد والتعذيب كانت الهجرة إلى المدينة بمثابة الشعاع الذي فتح للمسلمين بلادا كثيرة وبقاعا عديدة.. والقائل بأن الغزو الإسلامي للبلاد الجديدة في شمال المغرب العربي وشبه الجزيرة العربية كان بحد السيف، فهذا التعبير يحمل مزيجا من تسلط هوى النفس واستلاب الشيطان لإرادة قائله فهو لا يحمل اسانيد تبرر وجهته وتمحص آراء طرحه فهو يطرح رأيه دون أي حقائق فالغزو الإسلامي كان فتحا وتحريرا للإنسان من ظلم الإنسان وتسلطه على رقاب الناس وكان فتحا لتطلعات العقول البشرية لإنجاز التقدم البشري والإنساني.

ولو كان الإسلام قد انتشر بحد السيف لكانت هناك انقلابات وثورات عديدة على الحكومات الإسلامية، بل إن هناك بعض المستشرقين الذين يقولون إن بقاء الدولة العربية لفترة طويلة يرجع الفضل فيه إلى الإسلام، وهذه العبارة أكثر تعبيرا وتدقيقا في فهم الإسلام بسماحة توجهه وصفاء تعامله ونقاء سريرته، فهو يحمل أسباب العطاء والتواصل الفكري الحضاري لكثير من الأمم التي وجدت في الإسلام رمزا حيا لتحرير الإنسان من بطش الأنظمة القائمة على الاضطهاد والحرمان، وسلب الإنسان حقوق إنسانيته وأهلية تفكيره وإبداعه في جميع مراحل حياته□

مقدار الزكاة

لِمالِكَ وَحُلِيِّكَ

%2.5



إذا حال عليها الحول

سنة قمرية

للإستفسار : ٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة والخيرات | بيت الزكاة | نحقق الكثير

